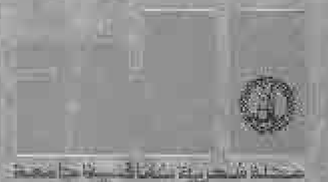



مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية


# ناقد كبير يفتري على شكسبير

عبد الحق فاضل



# الطائر المهزوم في مقبرة أركان

رؤوف توفيق





# حسن البنا: صورة إنسانية بعيدة عن السياسة

الدكتور الطاهر أحمد مكي

"الفلاشا".. قصيدة جديدة للشاعر السوداني الدكتور تاج السر الحسن

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

# الدوحة



العدد ١١٥ شوال ١٤٠٥هـ - يوليو / تموز ١٩٨٥م

## مجلة شهرية ثقافية جامعة
## تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش


### مكاتب توزيع الدوحة

● قطر : دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة

● السودان : دار التوزيع ـ ص . ب ١٥٨ ـ الخرطوم .

● مصر : مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

● سوريا : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٣٠١٢ ـ دمشق .

● العراق : الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة ـ ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .

● ليبيا : الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازي ـ ص . ب ٢٦٠ ـ بنغازي .

● الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .

● البحرين : مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .

● السعودية : الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة .

● الكويت : شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٩١٩٣ ـ الصفاة .

● لبنان : الشركة العربية للتوزيع ص . ب ١١٠٨ ـ بيروت .

● الجمهورية العربية اليمنية : الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع ـ ص ب ١٢٦٣ المحافظة الأولى ـ عدن .

● الإمارات العربية المتحدة : مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار القديم ـ أبو ظبي ص . ب ٧٩١

● سلطنة عمان : وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان

● تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص ب ٤٤٠ ـ تونس .

● المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع والصحافة ـ ص ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .

MAROC
SOCHEPRESS
B.P. 13683
CASABLANCA

● الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٣ نهج الحرية ـ الجزائر .

ALGERIE
S.N.E.D.
3 BOULEVARD ZIROUT YOUCEF
ALGER

### المراسلات :

التحرير والإدارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .

العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة

تيلكس : 4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢٩٣٣٦
التحرير : ٤١٦٦٧٤
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٠٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٠٣٩

### الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا للدوائر الحكومية والشركات : داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

### الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسؤول الاعلانات

### الأسعار :

| | |
|---|---|
| قطر | ٦ ريالات |
| البحرين | ٦٠٠ فلس |
| الإمارات العربية | ٦ دراهم |
| عمان | ٣٥٠ بيسة |
| الكويت | ٥٠٠ فلس |
| السعودية | ٦ ريال |
| الجمهورية اليمنية | ٤ ريال |
| اليمن الديمقراطية | ٢٥٠ فلسا |
| العراق | ٥٠٠ فلس |
| المملكة الأردنية | ٢٥ قلسا |
| سوريا | ٣٣٠ قرشا |
| لبنان | ٣٥٠ قرشا |
| مصر | ١٥٠ مليما |
| ليبيا | ٥٠٠ درهم |
| السودان | ٣٠ قرشا |
| تونس | ٥٠٠ مليم |
| الجزائر | ٥ دينار |
| المغرب | ٥ دراهم |
| باقي دول العالم : | ما يعادل دولارين امريكيين |


مطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

نظـرة على الجديـد في أنحـاء العـالم من حولنـا

# القرن الواحد والعشرون يـدق الأبـواب

## فهل يستمع العرب إلى الطَّرقات العالية؟



بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري



انشغال الفكر العربى بهموم البيت العربي الكبير وشئونه وشجونه واجب يومي لا مفر منه. وإن فررنا منه ساعة أعادتنا إليه نشرات الأخبار المدلهمة ساعة بعد ساعة. غير أن إرسال النظر إلى ما وراء الحدود العربية، حيث العالم الانساني الرحب، يتفاعل ويتمخض بالمفاجئ والجديد والمدهش .. أمر نحتاج إليه أيضاً .. لنشم نسمة هواء نقي بين دخان الانفجارات العربية وحروب المدن والأحياء، خاصة وأن بيتنا العربي الكبير يقع في مفرق الطرق من الدنيا كلها بين آسيا وأفريقيا وأوربا، ويعنى الكثير للقوتين الأعظم، ويقع فى القلب من عالم اسلامي كبير يحيط به، وعالم ثالث أوسع يشاطره همومه وأحزانه وتطلعاته.

ومنذ أقدم العصور وحضارتنا العربية الاسلامية تحاور الحضارات وتفتح ذراعها للأمم والثقافات، متفاعلة، هادية، مؤثرة .. فلنطل قليلاً برؤسنا فوق الجدار، لنرى ما يدور هناك فى الأفق الواسع .. لعله يعطينا بعض التبصر وبعض الحكمة فيما يعتورنا من شجون.

وأول ما يلفت النظر فى المشهد العالمي الراهن وأبعاده الجديدة تلك الحيوية المستجدة التي أخذت تسرى في اقليم أمريكا اللاتينية بعد عهود طويلة من التعثر والانقلابات والثورات المضادة والشقاء الطويل مع الجار الأمريكى الشمالي الثقيل الظل!

ففي بلدان أمريكا اللاتينية اليوم تصنيع يصل إلى مرحلة النضج، رغم مشكلات الاقتصاد.

وفي بلدان أمريكا اللاتينية اليوم صحوة ديمقراطية، تعكس نضج مجتمع التصنيع، وتحاول أن تستبق العنف والعنف المضاد فى بعض أطراف القارة الجنوبية، بعد أن تنفض عن نفسها عبء المسلسل الطويل لانقلاباتها العسكرية فى العقود السابقة.

غير أن أهم وأعمق ما يلفت فى عالم أمريكا اللاتينية، البعيد عنا مسافة، القريب منا معاناة، هو ذلك الأدب الجديد الذى أخذ يبهر العالم كله.

إن أدباً إنسانياً عميقاً وجديداً بدأت تتمخض به مجتمعات أمريكا اللاتينية بما يوحي أنها على عتبة تطور حضاري نوعي بحكم ما يحمله ذلك الأدب من ارهاصات ومؤشرات خصبة .

ولقد احتفلت أوســاط النشر والترجمة لدينا ، في فترات سابقة ، بالأدب الأوربي الغربي في مدارسه المعروفة ، وبالأدب الروسي ، وبالأدب الوجودي .. على بعد المسافة الحضارية والنفسية والذهنية بيننا ـ في مجتمعاتنا العربية ـ وبين تلك الآداب .

وأعتقد أنه سيكون باعثاً إيجابياً وحـافزاً مشجعاً للغاية لو شهدنا حركة ترجمة ونشر في عواصمنا العربية تعنى بالأدب اللاتيني الجديد ، وتقدمه في ترجمات أمينة وفي دراسـات شاملة فالمشكلات تـكاد تـكون متشابهة ، والمعاناة الانسانية لواقع التخلف والتطلع واليأس والأمل تنبع من خلفية مشتركة ، كما أن ما يحفل به ذلك الأدب الجديد في ذلك الطرف القصي ، من اصرار وصمود وصبر ووضوح يمثل افتراقاً نوعياً عن العبث واللامبالاة والغموض الذى وفد إلى أدبنا وشعرنا المعاصر من خلال المؤثرات الوجودية والسيريالية التى غزت المكتبة العربية في العشرين سنة الماضية .

أتمنى هذا وأنا أعلم أن واقع النشر في بيروت ، وواقع النشر في القاهرة ـ وهما عاصمتا الكتاب العربي ـ ليس بالواقع السهل الميسور .

ولكني ، مع هذا ، اعتقد بأمانة أن التفاعل الدافئ المنفتح ، العميق مع الأدب الجديد في بلدان أمريكا اللاتينية ، بمشاكلها المتشابهة مع مشاكلنا ، وتراثها الأسباني المتخالط مع تراثنا العربي ، ان ذلك التفاعل قد يكون منعطف التصحيح وشرارة التوقد ، الذى نأمله لأدبنا المعاصر الذي طال رقاده .. !

وطبيعي ان الحيوية تنبع من داخل الذات ، بلا جدال ، ولكن المؤثرات المواتية والمشجعة قد تكون باعثاً على اطلاق حيوية طال ركودها واستقت من منابع غير ملائمة لها ..

ومن المؤشرات المهمة في عالم أمريكا اللاتينية ، قبل أن نغادره إلى مكان آخر ، ظاهرة « لاهوت التحرر » .. وهو فكر مسيحى انساني تقدمي وتحرري جديد ، يرفض الكثير من مواقف الكنيسة الرسمية وابتعادها عن معاناة الشعوب وتطلعاتها ، وسكوتها عن ظلم القوى الكبرى والنظم الاجتماعية غير العادلة .. ( وقد اضطر البابا إلى حظر بعض تيارات هذا الاتجاه ) .

انه فكر دينى ودنيوى يذهب بالرهبان إلى حيث يعيش الناس ويعملون ويعانون ليأخذ بيدهم ، بدل الانغلاق داخل الكنيسة بين المراسم والطقوس الكهنوتية .

وهذا التوجه التحرري المسيحى الجديد يحاول السير على خطى التوجه الاسلامي السليم في الجمع بين الدين والدنيا ، وبين الايمان والعمل ، وبين المثال والواقع ، وبين الروح والمادة .. كما أنه يرفض إلحاد الماركسية وماديتها ، وإن حاولت بعض أوساطها التقرب منه من حيث التكتيك السياسى . وبلاشك فإن المهتمين بدراسة الصحوة الاسلامية ومظاهرها المختلفة على الصعيدين الاجتماعي والسياسى ، يمكن أن يجدوا بعض المقارنات والتوازيات بين الظاهرتين هنا وهناك بما يوفر مجالاً خصباً لدراسة مقارنة مفيدة لظاهرة دور الدين في التأثير على حياة العالم كله في غربه وشرقه .

وإذا ما نجح « لاهوت التحرر » في تقديم بديل ثالث مستقل عن الرأسمالية والماركسية لبلدان أمريكا اللاتينية ، فإن ذلك سيقدم دليلاً جديداً آخر على أن شعوب العالم الثالث ستكون قادرة في عالم القرن الحادي والعشرين على السير في نهج حياتي وحضارى مستمد من روحها وتراثها وأصالتها رغم كل تحديات التحديث والتكنولوجيا المتقدمة .

ومن أقصى الغرب إلى أقصى الشرق .. حيث الظاهرة اليابانية وصعود القوة الشرقية الجديدة في اقليم الشرق الأقصى ، وهى ظاهرة تحدثت عنها كثيرا ، ولن أمل من تكرار الحديث عنها ، ولفت نظر العقل العربي والوجدان العربى اليها ، لأنها تمثل ببساطة القوة العالمية الأعظم التي سيتوجب علينا التعامل معها في عالم القرن الحادي والعشرين الذي لم يعد بعيداً عنا .

● أدب أمريكا اللاتينية أقرب إلينا من أدب الغرب

● قيعان المحيطات مليئة بكنوز أثمن بكثير من النفط

فإذا كانت بلدان امريكا اللاتينية تمثل نموذجاً مشابهاً لأوضاعنا ويمثل تطورها نموذجاً لما يمكن أن يكون عليه الخط العام لتطورنا ، فإن قوة الشرق الآسيوي الجديد تمثل البديل الحتمي للقوة الغربية التى تعاملنا معها طويلا ، ووقعنا تحت سيطرتها ، والتى تعاني اليوم مشكلات ذاتية عميقة رغم ما يبدو عليها من اقتدار . فكيف سنتعامل مع القوة الجديدة ؟ وهل سنعرف ان نستفيد منها ، مع الوقوف بازائها موقف الند للند ، أم سيعيد التاريخ ذاته ونكرر الخطأ الذي وقعنا فيه في تعاملنا غير المتكافئ وغير الصحى مع القوة الغربية ؟

والواقع ان اطالة التأمل في مسار القوة الشرقية الجديدة يعطينا في أوضاعنا العربية الراهنة ، نماذج صحية لكيفية نهضة الأمم وصمودها وعملها وانتاجها ، ويقدم لنا دليلاً ينقض كل ما تعانيه من احباط ويأس .. دليلاً حياً تحت ضوء الشمس المشرقة على أن حياة الأمم ليست كلها تمزقاً وهدماً وعقماً واحباطاً .. وأنه يمكن أن تنهض أمم شرقية متخلفة وتلحق بركب التقدم ، بل وتتسلم قيادته .

لذلك فإن اهتمام الفكر العربى ، ليس فقط بتفوق اليابان ، وإنما بنهوض الصين في ظل نظام آخر ، وبتقدم كوريا في ظروف أخرى ، وبتوحد فيتنام بمنهج مغاير .. كل ذلك من شأنه أن يقدم للوعي العربي شواهد حية وخيارات كثيرة لكيفية نهوض الأمم ، عندما تقرر أن تنهض .

أما البعد الثالث الذي أريد أن الفت إليه في هذه الاطلالة على الأفق الرحب وعلى الغد الواسع ، بعد البعد اللاتيني ، والبعد الآسيوى ، فهو البعد المتعلق بالثورة التكنولوجية الثالثة .. ثورة علوم الكمبيوتر وتقنياته .

فبعد الثورة الصناعية الأولى القائمة على البخار والفحم ..

وبعد الثورة الصناعية الثانية القائمة على الكهرباء والنفط .. تبدأ اليوم الثورة الصناعية الثالثة .. ثورة الالكترونيات .. ثورة الرقائق والدقائق المتناهية في الصغر .. ثورة الأدمغة الالكترونية التي تفوق ، في بعض الجوانب ، قدرة العقل البشرى ذاته ، كما في العمليات الحسابية المعقدة الفائقة السرعة ..

ان ثورة الكمبيوتر كوسيلة معلومات واتصالات قد اخترقت حياة العصر كلها بالطول والعرض .. من العمليات الحسابية الى تسجيل أدق حركات القلب إلى التحكم في العمليات العسكرية إلى رصد حركات النجوم .

# القرن الواحد والعشرون يـدق الأبـــواب

## فهل يستمع العرب إلى الطَرقات العالية؟

لن تستطيع أمة أن تهرب من حضور الكمبيوتر سلباً أو ايجاباً . وإذا تجاهلته فسيأتيها في عقر دارها بأيدي أعدائها الطامعين .

ولا أدل على ذلك من أن القوة الآسيوية الجديدة قد أدركت ـ فى صراعها مع القوة الغربية ـ هذا السر .. فقررت أن تنازل الغرب فى عقر داره بسلاح الكمبيوتر .

ان صناعة الالكترونيات وأجهزة الكمبيوتر هي الصناعة اليابانية الأقوى والأكثر صموداً حتى فى الأسواق الغربية .

وقبل فترة قصيرة طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من اليابان التعاون معها في حقل الكمبيوتر الحربي والالكترونيات العسكرية . وهي الدولة التي حرمت عليها أمريكا ذاتها التعاطي فى شئون الحرب !

ورغم مدهشات الكمبيوتر فهو مايزال صبياً فى خطواته الأولى . وسؤال المستقبل هو : ماذا لو تمكن الكمبيوتر من التحول إلى طاقة؟ طاقة تحل محل النفط والكهرباء والفحم ؟ أو على الأقل أصبح وسيلة ناجحة لتوليد الطاقة من الشمس أو الهواء أو الماء أو أية مواد مصنعة رخيصة ؟

ذلك سؤال للمستقبل .. عندنا نحن على الأقل . لكنه ـ لدى بعض الأمم ـ قد دخل حيز التنفيذ ، وتحول من علامة استفهام إلى فعل مضارع !

ويلي بُعْد الكمبيوتر ، بُعْد اكتشاف الفضاء .

ان البعد الفضائى سيكون أحد الأبعاد الأساسية لعالم القرن الحادي والعشرين ، تماماً مثلما كان بعد الكشوف الجغرافية فى القرن السادس عشر .

ان مركبات فضائية تبحر اليوم في العالم اللانهائي عبر سنوات ضوئية ، إلى كواكب وأجرام ونجوم لا حصر لها ، وتبث صوت الانسانية في تلك الاصقاع الفلكية .

وتطور الكمبيوتر يعد الانسان بغزو أكثر ثمارا للفضاء . والمسألة ليست مسألة معرفة علمية فلكية . ان حرب الكواكب التى بدأت بين العملاقين الدوليين تدخل فى صلب المسألة الفضائية . كما سيكون بالامكان اجراء تجارب على الكائنات العضوية وعلى تركيب العناصر والمعادن بعيداً عن جاذبية الأرض ومؤثراتها بما يفتح المجال لظهور تكوينات عضوية وكيميائية جديدة فى منظومة الكائنات التي نعرفها ، بما لا يمكن التنبؤ بشكله وخطورته منذ الآن ..

أما البعد الأخير ، الذي نود الالماح إليه في نظرة الطائر هذه ، فهو بعد استثمار قيعان البحار واستصلاح الصحاري واستغلال الطاقة الشمسية .

ان قيعان البحار تمثل مساحة أكبر وأغنى من كل القارات مجتمعة . وإذا كان العالم قد ذهب بعيدا إلى الفضاء الخارجي ، فإنه لم يهمل الإعداد للنزول إلى تحت مياه المحيطات لاستثمار قيعانها الفسيحة والغنية بميزات كثيرة .

ان استثمار قيعان البحار يحمل امكانات ثروة ووفرة ستقف منها ثروة النفط ووفرته موقف التواضع الشديد ! والعالم العربي محاط بأطول الشواطئ وأعرض البحار والمحيطات . وعندما سيأتي وقت استثمار قيعان البحار نأمل ألا تقوم بذلك ـ نيابة عنا ـ شركات أجنبيه للاستثمارات البحرية ! !

وإذا جاء عصر الصحاري الخضراء .. فالعرب أيضاً أبناء الصحاري لا ينازعهم فيها منازع ..

وإذا جاء عصر الطاقة الشمسية الرخيصة ، فحرارة الشمس فى بلادنا من أغنى ما يكون !

ولكن .. !

مع كل هذه الأبعاد الرحبة الواعدة أمامنا ، فإن البعض منا مازال يقاتل على مسافة أمتار لتحديد حدود كيانات الطوائف ! .. فهل من عاملين على امتداد هذه الأبعاد الجديدة بالتضحية ؟

وتعظم فى عين الصـغير صـغارها
وتصغر فى عين العظيم العظـائم

ورحمك الله يا أبا الطيب .. فها نحن كما تركتنا .

محمد جابر الأنصارى

أصبحت صناعة أجهزة الكمبيوتر هى الصناعة الأكثر صموداً حتى فى الأسواق الغربية

● نحن بلاد الشمس المشرقة والشواطئ الطويلة والصحارى الضخمة .. فهل نتنبه إلى ثروة: الشمس والماء والصحراء ؟

● أمامنا أبعاد رحبة للنمو والتطور .. ولكن خصوماتنا الصغيرة تهدد المستقبل العربي كله

### كتاب صغير ولكنه خطير

# رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

بقلم: فتحي رضوان

ظهر فى مصر أخيراً كتيب صغير من تأليف الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى ، الذى لم يكن من الضباط الأحرار الذين هيأوا ودبروا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الا أنه مع ذلك لعب دوراً فى حياة هذه الثورة ، وفى توجيه أحداث السياسة المصرية ، وفى تحديد بعض المفاهيم الوطنية ذات الخطر والقيمة ، وكان هذا الدور بارزاً ومؤثراً وباقيا فى تاريخ مصر والسودان معاً .



ويتناول هذا الكتيب جانباً عظيماً من أحداث السياسة الكبرى التى وقعت فى النصف الثانى من القرن العشرين الحافل بأكبر التطورات ، ولكنه للدهشة الكبيرة جانب غاب فى أطواء التاريخ حتى لكأنه لم يقع ، ولكأن هذا الذى أحدثه تافه وضئيل القيمة ، وهو مايناقض الحقيقة ويتحداها . ولكيلا أطيل على القارىء الكريم ، أقول ان عنوان الكتاب الذى أعنيه ، والذى أنا بسبيل تلخيصه وتقديمه ، هو «ثورة يوليو واتفاقية السودان» .

ولعل القارىء العزيز يذكر أن الشعب المصرى تشبث بالسودان ، واعتبره جزءاً مكملاً لوطنه ، وأن الله خلق هذين الشعبين ليكونا وحدة لا تنفصم ، وكياناً لا يتجزأ ، وأن المفاوضات التى بدأت تجرى بين السياسيين المصريين أمثال سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس ومحمد صلاح الدين وأحمد خشبة ، فى عهود وزارات متباينة الاتجاهات ، مختلفة النزعات ، كانت تتحطم على صخرة السودان ، فالانجليز كانوا لا يريدون أن يفرطوا فى السودان ، فلا يدعونه يرتبط بمصر ارتباطاً وثيقاً لأسباب عديدة أولها أن التسليم بارتباط هذين الشعبين أحدهما بالآخر يؤدى ان آجلا وان عاجلاً الى قيام امبراطورية ضخمة واسعة المساحة مترامية الأطراف ، ذات موارد اقتصادية هائلة فى موقع من الأرض ، هو أغلى المواقع وأغناها . وأعنى به موقع مصر فى الشمال الشرقى من أفريقيا المطل على البحرين الأبيض والأحمر وهما بحرا الحضارة والتجارة والحروب على مدى القرون المتعاقبة ، وعند التقاء القارتين الضخمتين : أفريقيا وآسيا ، وفى طريق الحجيج إلى الحرمين : المكى والمدنى ، وطريق الحجيج إلى القدس وبيت لحم والناصرة ، هذا كله قبل أن يتفجر البترول فى السعودية والخليج العربى ، ويصبح عصب الحياة ، فى الحرب والسلم ، ومجال الصناعة والتجارة .

وكان السبب الثانى الذى عملت بريطانيا من أجله على عدم توطيد علاقة مصر بالسودان ، هو أن ايصال مصر بالسودان اذا توثق واشتد ، معناه ايصال مصر بأفريقيا السوداء ، بمدخراتها الطبيعية الهائلة واتصال العرب بهذه القارة العذراء . ولا يعدو أكثر من ذلك دواعى الاستعمار البريطانى والفرنسى ، للوقوف فى وجه كل صلة بين مصر والسودان ، والعمل على قطعها وقصمها وإلقاء الوقيعة بينهما . وكانت أحداث التاريخ المصرى السودانى ، وأثر فتح محمد علي للسودان بجيش مصرى رأسه أحد ابنائه ، وهو اسماعيل ، تتيح فرصة للحكام البريطانيين والفرنسيين الذين وضعوا أيديهم على مصر ابتداء من سنة ١٨٨٢ ، وعلى أقطار أفريقية شديدة الاتصال بالسودان مثل الكونغو وأوغندا وكينيا وتشاد ، لاحداث الوقيعة بين المصريين فى شمال وادى النيل والسودانيين فى منتصفه وجنوبه فقالوا إن صلة مصر بالسودان كانت صلة غزو وفتح واستغلال يعنى صلة استعمار شبيه بالاستعمار الغربى ، وإن تجارة الرقيق نمت وازدهرت فى السودان فى ظل الحكم المصرى ، حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ، كان الضابط حسين ذو الفقار صبرى أركان حرب القوات المصرية العسكرية فى السودان ، وكان من

## رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة
## ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

تقاليد الحكم المصرى البريطانى فى السودان ، منذ الغزو الانجليزى لمصر ، أن ترسل مصر عدداً من الجنود المصريين ، وعلى رأسهم بعض الضباط ، وكانت هذه القوة العسكرية الصغيرة ، مجرد رمز للعلاقة بين مصر وبين السودان ، ولكنها قوة غير قادرة على أن تفعل شيئاً ذا قيمة ، إذا تأزمت الأمور ، وكان مؤلف الكتاب الذى هو موضوع حديثى ، أركان حرب تلك القوة العسكرية المصرية الصغيرة عندما قامت الثورة ، وكان عمله قليلاً فاستطاع أن يتأمل فى العلاقة التقليدية بين مصر والسودان وموقف الوطنيين المصريين من السودان ، وموقف الوطنيين السودانيين فخرج من تأملاته أن ما جرى عليه العرف عند الساسة المصريين من أن الوحدة بين الشعبين ، هى وحدة يؤكدها التاريخ ، وتؤكدها علائق الاخاء والمودة بين الشعبين ، هو خطأ كامل ، وانه لابد من إعادة النظر فى كل ما ورثناه عن سنى ما قبل الثورة ، لنحقق أمرين : الأول أن نخرج الانجليز من السودان ، والثانى ان نقيم علاقات بين مصر والسودان ترتكز على حقائق الواقع ، لا على تصورات وتمنيات .

ولما انتهى إلى نتيجة لتأملاته ، قرر أن يعرض هذه النتيجة على الضباط الذين قاموا بالثورة ، لكى يحذرهم من الاسترسال فى الأفكار السائدة فى أوساط الوطنيين المصريين والتى يحسبون العلاقات المصرية السودانية على أساسها .

ولم يكن ذلك سوى ثورة ، فقد كان ما انتهى إليه الضابط حسين ذو الفقار صبرى ، تصادماً صريحاً مع الفكر السياسى المصرى ، وعزم ذو الفقار أن يسافر إلى مصر ، ويحدث ضباط الثورة برأيه الذى اهتدى إليه وآمن به على ضوء احتكاكه بحقائق الأمور فى السودان وعلى ضوء ما سمع ورأى فى السنوات التى قضاها فى هذا الاقليم . وسافر فعلاً ، ففوجىء بأن أعضاء مجلس قيادة الثورة ، غير مستعدين لاستقباله ، وغير مستعدين لسماع أى كلام بشأن السودان ، فقد استغرقتهم أمور السياسة الخاصة بمصر ، والمصاعب التى صادفتهم ، والمقاومة التى اعترضتهم والتى انبعثت من بعض زملائهم الذين لم يتح لهم أن يشاركوا فى الحكم ، وبقى حسين ذو الفقار ، واقفاً بباب مجلس قيادة الثورة ، يروحون أمامه ويغدون ، ويتقدم لكل فرد منهم يخرج من قاعة الاجتماع أو يدخل فيها ، ويحاول أن يستوقفه ، ولو للحظة ، ليحدثه عن السودان ، وليعرض عليه مذكرة أعدها فى موضوع علاقات مصر بالسودان ويمضى الأعضاء إلى حال سبيلهم دون أن يلقوا إليه بالا وهو شاعر بخيبة الأمل وبالحيرة ، وبقلة الحيلة ، رجاؤه فى أن يسمع هذا المجلس الثورى رأيه يتضاءل



حسين ذو الفقار صبرى



محمد نجيب

ويضعف إلى درجة الذبول ..

ويسرنى أن انقل لك الصورة التى رسمها المؤلف لنفسه فى تلك الفترة ، قال :

« طرت إلى القاهرة ، حاملاً مذكرتى ، تحدونى الآمال مدفوعاً بحماس أى حماس ، فاذا بى أمام حجب كثيفة من أشياء .. مجلس قيادة الثورة فى حالة انعقاد مستمر أو يكاد ، دونه أبواب موصدة بالضبة والمفتاح .

أمكننى أن أتصيد بعضاً من الأعضاء ، أولا الذين كان لى بهم معرفة سابقة .. ما ان ألمح منهم خارجاً من قاعة الاجتماعات أو داخلا إليها ، حتى أسارع بغية مفاتحته فى الموضوع ، ملحاً على ضرورة عرضه ودراسته ولكنهم لاهون عما أقول مشغولون يتمتمون بتحيات عجلى بينما كيانهم مشدود إلى اهتمامات أشعر أنها بعيدة كل البعد عن العالم الذى فيه أعيش .

كانت مشكلة السودان قد استحوذت على تفكيرى بشكل عميق ، وأصحو بها وعليها ، تلازمنى تداخلاتها ، فى غدواتى وروحاتى ، أتوه بخيالى الى احتمالاتها اذ ما جلست إلى طعام وتستنهضنى اذا ما حاولت أن أخلد إلى راحة بعد عناء تفكير ، تنخر فى كيانى حتى النخاع فاذاما أقبل الليل تملكتنى حسرة على هذا اليوم الذى فات ، فكم من أيام أخر هى أيضاً إلى ضياع ، وأتساءل فى قلق ممض ما اذا كانت البقية الباقية من الفترة المتاحة لنا ، والتى ينتهى أجلها بحلول الثامن من نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو التاريخ الذى حددته الادارة الانجليزية فى السودان لاعلان ( دستور جديد للسودان ) سوف تتسع فتتخذ ما يلزم من قرارات » .

وأخيراً سمح لحسين ذو الفقار أن يعرض مذكرته ( الخالدة ) على أعضاء مجلس قيادة الثورة ، فقد دعى إلى اجتماع لهذا المجلس فى القاعة المخصصة له . ويصف حسين ما جرى فى هذا المجلس وهو يتلو مذكرته قال : « بدا لى أنى قد شحنت تقريرى بملامح عن أوضاع ما كان يتصور أحد من السامعين بأنها قد بلغت هذا القدر من التعقيد فألاحظ انصراف البعض الى أوراقهم الخاصة . وكأن لسان حالهم يقول :

هو احنا يعنى ناقصين مشاكل ، ويتظاهر البعض الآخر من قدامى الأصدقاء بالانصات الى ما أقول . بينما اشعر بأن اهتماماتهم الحقيقة مشدودة الى ما كان يسيطر على أذهانهم من مشاكل تواجههم فى نطاق ما كان وكل إليهم من اختصاصات .

شعرت بخيبة أمل تجرفنى ، فيتبخر الحماس الذى كان يحدونى ، ولكنى أمضى قدماً وقد خفت صوتى الى وتيرة من رتابة ، وكأنى أكلم نفسى ، فقد انفضت من حولى دائرة الاهتمام . كان على أن أغالب نفسى فأصل الى ختام تقريرى ، وقد دخلت بعد أن استنزفنى الجهد ، فارغ القلب ، مشاعرى خاوية كأنما تبددت الى متاهات من يأس واحباط . القلقة من حولى تنذر بأن أعضاء المجلس قد ضاقوا ذرعاً يتعجلون نهاية الجلسة لينفضوا ، وقد ازيحت عن كواهلهم أثقال يحملونها على مضض » .

ولكن جاء القدر ليمد يده إلى حسين صبرى ، وهو يتحفظ فى عالم متجهم ، يدير له ظهره ، ويسمعه بنصف أذن ، أو بلا أذن مطلقاً ، فقد تغيرت الوزارة الأولى التى شكلت فى أعقاب الثورة ، والتى كانت برياسة على ماهر ( باشا ) وحلت محلها وزارة برياسة اللواء محمد نجيب ،





علي ماهر



عبد الرزاق السنهوري



صلاح سالم

ومحمد نجيب سوداني مع انه من ريف مصر ومن مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية ، الا أن والده وجده وخاله جميعاً عملوا في السودان وماتوا ودفنوا فيها ، وكان قد قضى طفولته في إقليم السودان وتعلم في مدارس السودان ، وكان كثيرون من زعماء السودان زملاءه في المدرسة ، ولذلك كان محمد نجيب على نقيض الضباط الشبان ، شديد الاهتمام بمشكلة السودان . وكان وجوده على رأس الحكومة المصرية ضماناً ليرى الزعماء السودانيون على أن مصر تضمر الخير للسودان .

ويمضي حسين ذو الفقار فيقول :

« نعم ... يأتيني صوت محمد نجيب من بعيد ، عن حدود المكان ، أسمعه يشكرني على الصورة الكاملة الواضحة ، التي قدمت ، وعلى الجهد الصادق الذي بذلته ، وهي الكلمات التقليدية التي تلقى في مثل هذه المناسبات إيذاناً بانتهاء الجلسة إلا أنه اثلج صدري ملمست فيها من صدق وحرارة ، شأنها شأن الكلمات الرقيقة التي تقدم حين العزاء . فاستأذن البعض خارجين ، وتحول الآخرون إلى مجموعات يتجاذبون أطرافاً من حديث أو من نقاش هامس تتخلله أحياناً ضحكات . هي عنوان روابط وثيقة من زمالة وألفة فأشعر بأني عليهم غريب .

وأنصرف الى جمع أوراقي المتناثرة ، فقد حطت على بلادة تخفونها مشاعر من احباط ، ولكني أفاجأ بصلاح سالم يجذبني من ذراعي فينتزعني من مكاني الى أحد أركان المجلس حيث محمد نجيب وجمال عبد الناصر وقد انهمكا في الحديث ان صح أن يوصف كذلك . فقد لاحظت ان محمد نجيب كان منفعلا بحماس ، تتدفق على لسانه الكلمات بينما جمال عبد الناصر لايكاد ينطق بحرف واحد ، وانما ينصت في سكون ، فيطرق برأسه بين الحين والحين » .

وتدب الحياة في مذكرة حسين ذو الفقار ، ويبدو أن سعيه بدأ يشق طريقه ، انما تجد في طريقه ، صعاب أخرى ، اذ تشكل لجنة للتفرغ لمشكلة السودان ، ويكون من بين أعضائها الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا رئيس مجلس الدولة ، الذي كان مهتماً قبل الثورة بالسودان وكتب في شأنه مذكرات ، ولكن السنهوري رجل قانون وان انغمس بالسياسة كثيراً ، وكانت هناك معاهدات بين مصر وبريطانيا معاهدات تنصب على السودان وكانت هذه المعاهدات تحتوي نصوصاً تمنح مصر حقوقاً وتشرك مصر في السيادة على السودان ، وكان السنهوري مهتماً بهذه النصوص ومتمسكاً بها . وكان حسين ذو الفقار يرى أن هذه النظرة القانونية ستغضب الزعماء السودانيين ، وتقربهم من الحكومة البريطانية ، فدارت لذلك مناقشة بين حسين والسنهوري ، تحولت الى مشادة ثم الى أكثر من مشادة ، وكان ذلك حدثاً تاريخياً ذا أهمية وطرافة . فالسنهوري شيخ من شيوخ القانون ، كان استاذاً في كلية الحقوق ، ثم عميداً لها ثم وزيراً للمعارف وكان حسين ذو الفقار ضابطاً في الدرجات الدنيا في السلك العسكري ، ولكن الزمن جمع بين الشخصين ، وجعل كلا منهما على طرف ، فحدث ما يرويه حسين ذو الفقار على النحو التالي . « كان محمد نجيب قد افتتح المناقشة مشيراً إلى المذكرة التي سهرت الأيام والليالي في إعدادها ثم ينسحب إلى سكوت ، أما صلاح سالم فقد أطرق برأسه منذ اللحظة الأولى لا ينبس بكلمة — على غير عادته — وكأن الأمر لايكاد يعنيه . وهكذا تحولت الجلسة إلى مساجلة بيني وبين الدكتور السنهوري ، شرع يهاجم بنود المذكرة عنيفاً ، بينما أحاول جهدي أن أرده إلى تفهم ما يكتنف الموقف من ظروف واعتبارات .

حاولت جهدي أن أقنع عبد الرزاق بأن بنود المذكرة انما هي سبيلنا الوحيد للقضاء على النفوذ البريطاني في السودان . وأن التمسك بنصوص ليس من ورائها إلا الأصرار على الاحتفاظ بسيادة شكلية لمصر ، فإنما هو التكريس الأكيد للهيمنة الاستعمارية على أراضي السودان . وكنا ندور في حلقة مفرغة حيث لا تلاق .

وانفجر حسين فصاح في السنهوري :

« يا دكتور سنهوري خروج الانجليز من السودان هو بيت القصيد وهذه المذكرة هي سبيلنا الى ذلك ولا سبيل سواها في ظل ما يحيط بنا من ظروف .. متكاتفين مع السودانيين فنكسب ثقتهم ولا نحولهم الى اعداء .

فيرد السنهوري محاولا تسفيه آراء حسين :

« أسمع يا حسين يا ابني . يابني دول بيضحكوا عليك دي ألاعيب سياسية بكره تفهمها لما تكبر بيستغلوك وأنت مش حاسس » .

وانتفضت واقفاً وقد تحول كياني كله الى صوت هادر زاعق .

« وأنت ايش فهمك في السودان .. هو أنت تعرف حاجة عن السودانيين » .

واختم كلامي عن هذا الكتيب بهذه الصورة التي تبين أنه ، بقي أكثر المصريين يجهلون ما يجري وراء الكواليس من أحداث جسام في مجالات العلاقات المصرية السودانية ، وهو ما عرضه حسين ذو الفقار صبري بأسلوبه الممتع ، وتصويره الحي المتقد ، الذي جعل كتابه الصغير وثيقة تاريخية وأدبية جديرة بان تلهم المؤرخين والأدباء ..

فتحي رضوان

على هذه الصفحات يواصل عميد الأدب القومي العربي المعاصر الأستاذ الكبير أكرم زعيتر ذكرياته الرائعة عن الشاعر « بدوى الجبل » وقصائده وكفاحه الطويل ، وتدور أحداث هذه الحلقة الجديدة بين دمشق وبغداد فى ثلاثينات هذا القرن :

## بدويّ الجبل .. وإخاء أربعين سنة






الشاعر العربى بدوى الجبل



● تعرفت عليه سنة ١٩٢٧ في المكتب القومي بدمشق

● صداقة حميمة تحوّلت إلى أخوّة حميمة امتدت أربعًا وأربعين سنة

● عندما هرب الشاعر الكبير من طغيان الفرنسيين في دمشق ووصل إلى بغداد ليعمل مدرِّسًا بإحدى مدارسها

كنت فى الرابعة عشرة من عمرى فى مدرسة النجاح النابلسية أتوقد حماسة قومية متأثراً بالبيت الذى فيه نشأت ، والمدرسة الوطنية التى فيها تعلمت . وقد أشربت حب الثورة العربية . وحدث أن زار عمان أبو الثورة ، شيخ قريش ، الحسين بن علي ، فاعتمرتها وفود من بلاد الشام تحييه وتناجيه وتبثه شكواها من الانتدابين الانكليزى والفرنسي . وشاعت بينها أبيات من قصيدة ترحيب به قالوا : انها لشاعر فتىً يدعى « بدوى الجبل » .. وقد نقلتها ورتلتها واستظهرتها ، ومطلعها :

ألف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين
وارث البردة عن صاحبها
أحمد المختار خير المرسلين

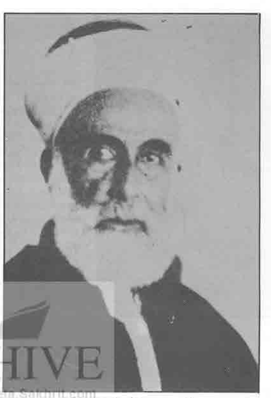
وكانت لا تبرح ذهني قصيدة الفرزدق فى زين العابدين : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته » وأنا أردد قول البدوى :

يعرف البيت اذا طاف به
أنه ابن الطائفين العاكفين
تعرف الأستار اذ يلثمها
أنه ابن الساجدين الراكعين

وفى الموكب يقول :

حوطوا الموكب باسم المصطفى
وبنيه من عيون الحاسدين
وانثروا الدمع على موكبه
ودعوا المسك لحور و لعين
أدمع البشر وقد يبكى الفتى
سره الدهر كما يبكى الحزين

الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع السوري في العهد الفيصلي ، وقد استشهد في معركة ميسلون



الحسين بن علي أبو الثورة العربية

فيصل بن الحسين



وفي قصيدته التي أربت على السبعين بيتاً مجد الوحدة العربية وناشد الحسين ان يعمل لها .. ومن ابياتها ما ظل البدوي يرددها :

انا بالروح جواد فاغفروا
زلتي إن رحت بالدمع ضنين
لا ترى الاعداء دمعي جارياً
انني أبغض عطف الشامتين

وقلت يومئذ لفتى الشعر النابغ صديقي ابراهيم طوقان : « ما ترى في بدوي الجبل ؟ » فقال : « شاعر كبير وهو دون العشرين فما يكون شأنه في المستقبل ؟ » ..

قلت : ليت له ديواناً ..

ومضت شهور .. وعاد ابراهيم من الجامعة الأمريكية ببيروت الى نابلس ، وأقبل علي متهللاً يقول : « هذا ديوان بدوي الجبل صدر منذ أشهر جئت به من بيروت وآثرتك به على نفسي » ، ورحت اترشف شعر البدوي حيناً وأتعبه آخر ، وأعجبني أن جعل إهداء الديوان « إلى مثال البطولة العربية ، إلى الشهيد الراقد في مسيلون . الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وقد شِمْتُ في ترحيب اعلام في الأدب : كرد علي ، والمغربي ، وخليل مردم بك ، وبشارة الخوري وجبران التويني وعفيفة صعب بالديوان ، مخايل شاعر المستقبل الأكبر . وظل ذاك الديوان المطبوع سنة ١٩٢٤ قنية نفيسة لدي وقد رجعت والبدوي إليه بعد أربع وخمسين سنة لنختار منه البواكير في ديوانه الكبير ..

* * *

كنت سنة ١٩٣٧ اتولى الإعلام الفلسطيني لثورتنا الكبرى ، وجعلت مكتبي في المكتب القومي العربي الذي أسسه زعيم شباب سورية فخري البارودي ، وهو من تجمعت فيه مناقب الشام الشهمة . وفوجئت ذات يوم ، وأنا في مكتبي بشاعر الحركة العربية محمد الشريقي قادماً من عمان .. ويصطحب فتى نحيفاً أسمر ذا عينين براقتين وأنف أقنى وثغر باسم .. ويقول لي : « هذا هو بدوي الجبل الذي أعلم اعجابك به وترديدك شعره » .. فأهلت ومرحبت به ، وما لبثنا حتى انضم الينا روح دمشق المرحة فخري البارودي ، وأزهرت مجلسنا ذكريات الشعراء الثلاثة عن العهد الفيصلي .

وانعقدت بيني وبين البدوي آصرة صداقة صميمة سرعان ما غدت أخوة حميمة امتدت أربعاً وأربعين سنة حفلت بذكريات ما اعطرها وما اوفاها ! وأرجو اذا ساعف العمر وواتت الطاقة أن يتألف منها ومن رسائله اللؤلؤية كتاب يحلق فيه نثر البدوي الفخيم تحليق شعره العظيم .

كان البدوي عضواً في البرلمان السوري نائباً عن بانياس في محافظة اللاذقية ، وقد تعاهد ونواب اللاذقية على الاخلاص للوحدة السورية ومكافحة كل نزعة تجزئة اقليمية أو طائفية . وكانت لقاءاتنا موصولة واجتماعاتنا ندوات نتذاكر فيها في ما يحتمه الواجب الوحدوي من مواقف ، ويستوي في اهتمامنا القومي عمل لوحدة سورية وعمل لمظاهرة الثورة الفلسطينية .

ويبدو أن اندفاع البدوي في التنديد بدعاة التجزئة من عملاء فرنسا قد غاظ كثيراً صحيفة « البشير » التي كانت تصدر في بيروت شعوبية النزعة ، فرنسية الميلان ، جزويتية التحرير ،

# شاعر كبير وهودون العشرين

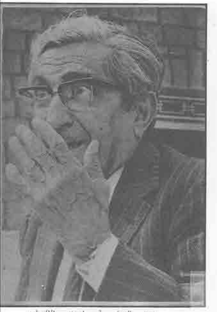
فحملت على البدوي وعيرته برسالة كتبها منذ سنوات يستروح منها تودد إلى فرنسا ، يوم كان عضواً في المجلس التمثيلي العلوي الذي ألفته الحكومة المنتدبة . وتلقفتها جريدة دمشقية كان صاحبها على خلاف حزبي وانتخابي مع الكتلة الوطنية التي ينتمي إليها البدوي . وبادرت الى بيت البدوي لأعرب له عن ألمي مما قرأت فوجدته قد أعد رداً على « البشير » وفيه يقول : « قد تعود البشير أن يهاجمني .. ولو أراد غير ذلك لما رضيت عن نفسي ، لأن في سكوت البشير عني غضاضة لا أحتملها وتصغيراً لبلائي وجهادي ، وما وثقت من عمل كما وثقت اليوم ، فلو أردت أن أتقدم الى الأمة العربية بدليل على بلائي في خدمة قضيتها لما وجدت دليلاً أقوى حجة وأمتن برهاناً من هذا الموقف الذى تقفه البشير مني ومن هذه الضغينة التي تحملها لي هي وأسيادها » ، وقال : « لقد وطنت نفسي عندما سلكت هذا الطريق على احتمال كل أنواع الأذى ، وكنت أترقب من أسياد البشير السجن والنفي ولا أزال أترقبه .. أما أن تزعم أنني أريد في وطنيتي عرضاً من أعراض الدنيا فهذا هو الكذب والوقاحة معاً لأن أعراض الدنيا ومغانمها عند أسيادها لا عند الوطنيين الذين يلاقون أنواع المظالم والارهاق كل يوم وليلة ، فما يأوى أحدهم إلى فراشه إلا وهو على نذير في سجن أو نفي وتشريد » وقال : « وانني أحمد الله على أنني جهرت بالوطنية وهي جذوة تحرق أكف لامسيها ، وأنني رفعت لواءها بين سمع الدنيا وبصرها ، والقوة تلوح بالسجون والمنافي ، وبما هو شر من السجون والمنافي فما زادني ذلك إلا ايماناً وبصيرة واطمئناناً » .

وحرضت البدوي على أن يوجه إلى صاحب الجريدة الدمشقية كتاباً خاصاً ، فكتب في غير تلبث أو غمغمة رسالة إذا أنا اقتبست منها بعض فقرات فلأن ذلك يستوفي سيرة الشاعر العظيم ، ويقول في الكتاب : « ليست وطنيتي جديدة ياسيدي ، وليس جهادي في سبيل هذه الأمة ابن عامين أو ثلاثة أعوام ، بل هو جهاد قديم ينتظم صباي وشبابي ، فقد فهمت معنى الحرية والقومية في ظلال المدينة الخالدة دمشق في أثناء حكم المغفور له فيصل الأول ، ومع أنني لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري يومئذ فقد شاركت في الحركة الوطنية بالقدر الذي أستطيعه ولم تقتصر هذه المشاركة على ماكنت ألقيه من القصائد الوطنية في النادي العربي ، بل تجاوزته الى أبعد من ذلك ( وهنا تحدث عن جهوده في العهد الفيصلي وحين دخول الفرنسيين دمشق وتوقيفه من قبل ديوان الحرب الفرنسي ، وقد أوجزته فيما سردته من سيرته ) ثم قال : « وقد قاومت وقاومت حتى تعذرت كل عناصر المقاومة والنضال فاعترفت بالأمر الواقع عن يأس وقنوط وغمرني التيار ، فما أنكر أنني أسأت وأخطأت ، وهذا ضعف أعترف به ، ولم يكن في وسع انسان في ظروف كظروفي ومحيط كمحيطي أن يفعل غير ما فعلت ، على أنه ذنب لا أنكره بل أعترف به واستغفر الله عليه » وبعد أن استشهد باخوانه أعلام الوطنية كمردم والقوتلي ورسلان والجابري في ترسيخ دعائم الوحدة ومقاومة دسائس التجزئة أشار إلى تضحيته في سبيل الغاية الوطنية المقدسة وهو مرتاح الضمير إلى هذا كله « راحة لا أستبدل بها كل ما في الدنيا من مجد وجاه ونعيم .. لقد أسأت وأحسنت وحسبي أن تكون الحسنة بدل السيئة ، وأنا في هذا الحساب لن أكون أمام أمتي العربية ولا أمام ضميري مديناً ، بل أنا واثق أنني سأكون الدائن الغني ، وأستغفر الله على هذا الزهو فما أريد به مناً ولا فخراً » وأنهى كتابه المفاض : « وبعد فأنا رجل فيه جفاء وخشونة وعناد ، وفيه ايمان بالله وثقة بالنفس وتقدير العمل الذي يقوم به وقد صارحتك بما في نفسي ولك بعد ذلك الا تصدق كل ما ترميني به دوائر معروفة بحقد علي ولاذنب لي الا أنني لا أساومها في تقطيع أجزاء الوطن وبترها ، ولك أن تتلاقى معها بتحطيمي حتى لا يرتفع صوت علوي بوحدة ولا عروبة ، وأنا على حالتيك راض عن نفسي مطمئن الى عملي واذا أرضيت ضميري فقد أرضيت ربي وأرضيت أمتي وحسبي ذلك والسلام » .

وفي نيسان سنة ١٩٣٩ تبادلنا الالتياع حين فوجئنا بمصرع الملك غازي بن فيصل ملك العراق .. وقلت للبدوي : « أنا ذاهب إلى بغداد ، ولعلي أرثي فيها الملك غازي كما رثيت أباه فيصلاً » .. فأجاب : تعال غداً إلى المجلس النيابي واستمع لكلمتي في غازي » .

وحرصت على حضور الجلسة أصيل السادس من نيسان ١٩٣٩ وقد افتتحها الرئيس العبقري فارس الخوري بكلمة بليغة ثم دعا النائب محمد سليمان الأحمد الى القول فسمعت ثم سمعت صديقي البدوي يعرب عن لوعة الدنيا العربية لمصرع غازي ويهتف : « يا دنيا العرب ، يريدك الظالمون ضيقة صغيرة ويلوحون لك بالعدة والعديد ، والنار والحديد والأقدار الظالمة القاسية ونريدك واسعة كالأمل ، كبيرة كالايمان ونلوح لذلك بالعراق وبتاج العراق وبالأنجاد المغاوير على ضفاف الرافدين . يا دنيا العرب لقد روعك مصرع الملك الشهيد وحول أعراسك إلى مأتم ، ولكن لوعة الشام فوق كل لوعة وحزنها فوق كل حزن ، ومن أولى ببكاء الملك الشهيد من المدينة الشهيدة تنحني على القبر المنور وتضع عليه جراحها وأمجادها ، فما ترك الظلم والطغيان ريحانة واحدة في الغوطتين لترف على القبر الذكي الندي » ..

« إن الشام التي تنوء بألف جرح وجرح من الحراب فلا تئن ولا تشكو ، بل تزداد عنفاً وكبرياء . هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتنمرة لعوادي الزمن يخونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي . وفي وسع الذين تكبرت دمشق على طغيانهم فما أرتهم دموعها . في وسعهم أن يروا هذه الدموع في مأتم الملك الشهيد ، وأن يقولوا للدنيا وللعالم : لقد رأينا دمشق تبكي . يا أبا فيصل ويا ابن فيصل ثم هانئاً بين آبائك وأعمامك الأقيال الغطاريف من عبد مناف ودع الحلم الوردي المعطر الذي أغلق أبوك العظيم أجفانه على هناءته ، دعه يهدهد آلامك وآمالك في رقادك الطويل . دع هذا الحلم المعطر يجلو صوره أمامك واحدة واحدة ، فيلمع فكرة كما تلمع الحباحب في الليل الداجي ثم ينير عقيدة كما تنير الشمس في الأضحيان ، ثم يتوثب حقيقة قوية عنيفة لا تبالي بالحدود والتخوم ثم يتراءى ذلك في صورته الأخيرة الرائعة وقد اكتملت الظلال والألوان والخطوط ملكاً عربياً يظلل الفيحاء والزوراء ، وكتائب ظفر تسيل بها الصحراء الظامئة فتزدهر الرمال وتخضوضر وتنبت الحديد والمران ، وفتى من بني أبيك يحمل النجدة



بدوي الجبل في إحدى المناسبات يلقي بعض قصائده الرائعة



الشريف حسين فى عمان سنة ١٩٢٣ ، ووراءه موسى كاظم باشا الحسيني الزعيم الفلسطيني ، والشيخ عبد القـــادر المظفر ، وعلي بشاره فالب باشا الشعلان رئيس الديوان الأميرى

والظفر إلى الغوطتين فتواكب أمية وغسان وصلاح الدين فتى هاشمياً على مفرقه تاج العرب ترمقه نصرانية وإسلام ، وتتوحد عليه بغداد والشام ، وفى تلك الجلسة تبارى النواب فى الدعوة إلى اتحاد القطرين السورى والعراقى ..

ويممت العراق ، وكانت العلاقات الفرنسية السورية قد تدهورت ونفر إلى بغداد أحرار من سورية ولبنان ، وطارد الفرنسيون أحرار الفلسطينيين فلاذوا بالعراق ، فنشطت الحركة القومية التحررية نشاطاً جعل الكثيرين يطلقون على العراق « بروسيا العرب » ..

* * *

وكنت ذات يوم فى مكتبى بوزارة المعارف وقد عينت موجهاً قومياً واذا بالبدوى يباغتنى أشعث أغبر فى « بنطال » قصير ، قد أضناه السفر ونهكته الوعثاء فما أحر اللقاء ! ! وما أطيب العناق ! بعد ذاك الفراق ! .. ولخص لي الرحلة وهو يكاد يتهاوى من الأعياء .. وحمد الله أن نجاه من بطش الفرنسيين ، وأقبل رجال المعارف يحيونه ويرحبون به ثم صحبته إلى مكتب وزير المعارف المرحوم صالح جبر الذى بالغ فى الترحيب به وأعرب عن رجائه أن تفيد معارف العراق فى احدى مدارسها من فضله ، ومع أنه لم يكن يحمل الشهادة التى يشترط أن يحتازها كل معلم . فقد كان اسمه هو الشهادة التى تفتح أمامه أبواب التدريس . ومما أذكره انه ردد أمام الوزير : « الحمد لله خلصنا من واسط وأصبحنا أحراراً .. » فسألناه : وما حكاية واسط هذه ؟ فروى لنا : حدث حين مات الحجاج بن يوسف ، باني مدينة واسط ، أن اطلق سراح السجناء ، وسئل أحدهم عن أسباب سجنه ، فأجاب : لقد شوهدت ذات يوم أبول فى قارعة الطريق فأمر الحجاج بطرحي فى السجن منذ أمد بعيد وظللت فيه هذه المدة الطويلة حتى مات الحجاج فأطلقت ؛ ثم ألقى عباءته على كاهله وغادر واسط مهرولاً ، وسمع وهو ينشد :

اذا نحن غادرنا مدينة واســـط
...وبلنا حيث شئنا من الدنيا

وأمر الوزير بتعيين البدوى مدرساً للعربية فى احدى مدارس بغداد .

* * *

ونشرت صحف بغداد نبأ لجوء البدوي إلى بغداد ورحبت به وأخذ الأدباء وأصدقاؤه من الأحرار اللاجئين الى بغداد يتوافدون على مكتبى للسلام عليه ، وبينما هو فى المكتب ، رن جرس الهاتف .. إنها الآنسة الراقية أمة سعيد مديرة دار المعلمات تهتف بي : « صديقك بدوي الجبل فى بغداد ... ليس لدار المعلمات نشيد .. ياليت شاعرنا الكبير ينظم لفتيات العراق نشيداً ننشده فى احتفالنا بأربعين غازى .. ويحيى فيه ملكنا الطفل الحبيب فيصلاً .. » ونقلت للبدوى رغبة المربية الفضلى ، فاهتش لها قائلا : « مع أنني لا أنظم بتكليف فقد انشرح صدرى .. وسأرى ! » وفى أصيل اليوم نفسه زارنى يحمل النشيد .. وأعطانيه بخط يده ، فرتلته . وبادرت إلى دار المعلمات وأمليته على المديرة .. واحتفظت بالأصل وهو غير مدرج فى الديوان .. وهذا هو ينشر اليوم فى الدوحة أول مرة :

الفتيـــات .. الفتيـات
حـيـاتـنــا سـر الحياة
الزهـــرات العطـــرات
لـــــدجـلـة وللفـرات

* * *

تـوسعى دنـيـا الـرشـيـد
نـريـد والمجـــد يـريـد
من جوهر المـاضي البعيد
سنخلق الغـد الجـديـد
انـــا نـهز الـوجـــود
حـيـن نـهـز المـهـــود
تكبرى تكبرى ! هذي السماء فاطفري
بالأمل المنتصر ، نحن الرجاء فاخطري
بحلمك المعطر :
الفتيـــات ..

## ● قصـــة طريفـــة عن مدينـــة واسـط والحـــجاج وشـــاعرعربي ســاخــــر




## نشـيد الفتـيات
### لبدوي الجبل بخط يده

الفتيات . الفتيات
حياتنا سر الحياة
الزهرات . العطرات
رجالة ..

توحي دنيا الرشيد
من جوهر الماضي المجيد
وانا نهر الوجود

تكبري تكبري
الملك المظفر

الفتيات ....

نسقي الجنود تحت البنود
ونسكب النصر دما بالنشيد
نضفر الغار يوم الفخار
والغار للفاتح او للشهيد
الشام . والشاطئ البسام
لآلئ صيغت بتاج الرشيد
خولة بنت الازور قومي انظري . رد قديم الاعصر فهللي وكبري
للأمل المنور

الفتيات ....

الغوطة الفيحاء من ديارنا
والقدس أندى باقة من غارنا
والابيض الرجراج من بحارنا
والنيل كل النيل من أنهارنا
حضارة العالم من آثارنا
من شاء فلينسج على غرارنا
يا راية العرب اظفري وفيئي ونضري ووحدي وحرري تهللي
فالتاج منضور الحلي
على محيا فيصل

الفتيات ....

ونسقي الجنود ، تحت البنود
ونسكب النصر دمـاً بالنشيد
نضفر الغار ، يـوم الفخـار
والغـار للفاتح أو للشـهيد
الشـام ، والشـاطيء البسـام
لآلئ صيغت بتاج الرشـيد
خولة بنت الأزور ، قومي انظرى
رد قديم الأعصر ، فهللي وكبرى
للأمل المنـور
الغوطة الفيحاء مـن ديارنا
والقدس أندى باقة من غارنا
والأبيض الرجراج من بحارنا
والنيل كل النيل من أنهارنا
حضارة العالـم مـن آثارنـا
من شاء فلينسج على غرارنـا
يا راية العرب اظفري : وفيئي ونضري ..
ووحدي وحرري
تهللي ، تهللي ، فالتاج منضور الحلي
على محيا فيصل

الفتيات ..

وكنت في اللجنة التحضيرية لتأبين الملك غازي في أربعينه ، ودعى إليه أعلام في السياسة والشعر والأدب في مصر وسورية ولبنان والأردن وفلسطين ، وقلت للبدوى فور وصوله إلى بغداد : «علي الجارم وعبد الوهاب عزام وشبلي الملاط ومحمد الشريقي سيكونون شعراء الحفل ولكن العقد لا ينتظم إلا بواسطته : بدوي الجبل ، فأجاب : «مصرع غازي هزني وقد سمعتني أرثيه نثراً .. ورثاؤه شعراً مما ساورني وأنا اقطع البادية إلى بغداد .. والقصيدة تختمر في خاطرى» ..

**أكرم زعيتر**

هــامــش

في المقال السابق ان الشاعر ولد في قرية ديفة والصحيح ديقة وجاءت عبارة : ارخت لبانات روحه وصحيحها : أرضت لبانات روحه وجاءت : منوها له وصحيحها منوهاً به .

وفي صورته في احدى جلسات البرلمان اشير إلى ان النائبين كانا عن يمينه والواقع انهما عن شماله وان الذى كان عن يمينه هو النائب فاخر الكيالي .

• ورد في الحلقة الثالثة خطآن هما سرادة والصحيح أنها سراوة ، وكلمة المتعة والصحيح أنها المتعبة .

# القضية الفلسطينية

# في الكتب المدرسية الأمريكيّة

## تبرئة كاملة لإسرائيل واتهامات باطلة للعرب

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

ازداد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بموضوع التنشئة السياسية Political Socialization كأحد أبعاد دراسة النظام السياسي فى مجتمع ما . ويقصد بالتنشئة السياسية تلك العملية التى يكتسب بواسطتها الأفراد الاتجاهات والمشاعر تجاه النظام السياسى كما يتعلمون أدوارهم ومسئولياتهم ازاء هذا النظام ، وبعبارة أخرى فإن عملية التنشئة السياسية هى عملية نقل الثقافة السياسية السائدة فى مجتمع ما بما تتضمنه من قيم ومعتقدات ومعايير الى الأجيال الجديدة .

وتنبع أهمية دور التنشئة السياسية من الوظائف التى تقوم بها فهى تضمن استمرار نظام القيم والمعتقدات السياسية فى المجتمع من جيل الى جيل . وهى تغرس روح التضامن الوطنى والقومى بين المواطنين ، ومن ثم فهى أداة دافعة للتكامل ، وهى أخيراً أداة للضبط الاجتماعى ، تقوم بتأكيد قيم معينة دون قيم أخرى .

ويتفق الباحثون على أن عملية التنشئة هى عملية مستمرة لا تقتصر فقط على صغار السن ولكن تستمر عبر مراحل الحياة المختلفة . ومن أهم أدوات التنشئة السياسية وأكثرها فعالية وتأثيرا النظام التعليمى ، ومن هنا أهمية دراسة الكتب المدرسية كمؤثر لعملية التنشئة السياسية وللقيم والمفاهيم التي تسود فى مجتمع ما حول إحدى القضايا الداخلية أو الخارجية .

وترجع أهمية الكتب المدرسية كمؤشر الى أكثر من اعتبار . أولها أنها تندرج ضمن الأدوات المؤسسية للتنشئة والتى تقدم المعلومات والقيم الى الجمهور المستقبل لها بشكل مرتب ومنظم ، وثانيها أن الكتب المدرسية وبالذات تلك المتعلقة بالتاريخ أو العلوم الاجتماعية عادة ما تزعم الموضوعية . لذلك فإنه ينظر إليها على أنها حقائق ، لا تتضمن آراء منحازة لطرف أو لآخر . وثالثها أن الكتب المدرسية تخاطب جمهوراً فى مقتبل العمر ، غير قادر على التمحيص ، ومن ثم تلعب دوراً رئيسياً فى تشكيل رؤيته ونظرته للقضايا المختلفة خاصة عندما نتذكر أن المعلومات الدراسية بخصوص عديد من الموضوعات كثيراً ما تكون نهاية المطاف بالنسبة للعديد ممن لا يهتمون بهذه الموضوعات وأخيراً فإن دور الكتب المدرسية يزداد أهمية عندما تدعم أدوات التنشئة الأخرى فى المجتمع الاتجاه الوارد فيها .

فى هذا الاطار تبرز أهمية دراسة كيفية تناول الكتب المدرسية للقضية الفلسطينية والصراع العربى ــ الاسرائيلى . ويركز هذا المقال على الكتب المدرسية الأمريكية باعتبارها نموذجاً يعكس الرؤية الغربية عموماً للقضية . ويعتمد هذا التقرير فى النتائج التى يشير إليها على عدد من البحوث الميدانية التى قام بها أساتذة الاجتماع والسياسة فى الجامعات الأمريكية (١) . وسوف يعرض المقال لنتائج هذه الدراسات فيما يتعلق بالحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ وأسبابها ، وحرب ١٩٦٧ وأسبابها ، وصورة العرب واسرائيل عموماً ، ونصل فى النهاية الى عرض لأهم الاستخلاصات .

### الحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى ١٩٤٨

تعرض الكتب المدرسية الأمريكية عادة الجذور التاريخية للصراع من وجهة نظر صهيونية ،



فتذكر أن اليهود عاشوا لأعوام طويلة يحلمون بالعودة الى « أرض الميعاد » وأن الحلم قد تحقق فى عام ١٩٤٨ عندما أعلنت دولة اسرائيل . ولا تشرح هذه الكتب تاريخ فلسطين ، والوجود العربى الطويل فيها ، والأهداف السياسية للحركة الصهيونية بل تشير الى أنه فى خلال عشرين عاماً بعد اعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ استوطن آلاف اليهود فى فلسطين حيث حققوا تقدماً كبيراً فى الزراعة والصناعة وأن الهجرة قد ازدادت نتيجة اضطهاد النازية لليهود .

وتشير جميع الكتب الى قرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والذى أوصى بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية وأخرى عربية باعتبار أن هذا القرار يعكس التأييد الدولى والشرعية الدولية لقيام اسرائيل . ويعرض بعضها لهذا القرار بشكل متميز سافر فيذكر أحد الكتب أن الأمم المتحدة قررت تقسيم فلسطين الى نصفين فصار نصفها بلداً حراً للشعب اليهودى وصار النصف الآخر جزءاً من الأردن .ويلاحظ استخدام المؤلف لكلمة حر فى الاشارة الى اسرائيل فقط ، كما يلاحظ أن كل الكتب المدرسية تتجاهل ما حدث بعد ذلك وهو ابتلاع اسرائيل لجزء كبير من المساحة المخصصة لانشاء الدولة العربية الفلسطينية قبل بدء الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، كما لا يشير أى منها الى النص الكامل لقرار التقسيم والذى يتضمن جعل القدس مدينة دولية ولا تناقش حق الأمم المتحدة فى تقسيم المناطق الموضوعة تحت الانتداب ومدى اتفاق قرار التقسيم مع مبدأ حق تقرير المصير بل اعتبره البعض أعظم انجازات الأمم المتحدة وأخيراً لم تتعرض هذه الكتب لدور الولايات المتحدة فى الضغط السياسى لتمرير قرار التقسيم .

وتشير معظم الكتب المدرسية ان لم يكن كلها الى أن العرب كانوا المعتدين ، فقد غزوا « دولة اسرائيل الصغيرة فى أعقاب اعلان استقلالها مباشرة » ويذكر أحد الكتب أن اليهود أعلنوا دولة اسرائيل فى الجزء الذى خصصته لهم الأمم المتحدة وهذا غير صحيح تاريخياً . ففى ١٥ مايو وقبل أية معارك بين العرب واسرائيل كانت الهاجاناه والقوات العسكرية الصهيونية قد استولت بالفعل على مناطق عديدة من تلك التى كانت مخصصة للدولة العربية الفلسطينية .

وتصف كتب التاريخ ردود فعل البلاد العربية لاعلان اسرائيل بكلمات مثل الحرب ، والعدوان والغضب والهجوم والغزو فيذكر أحد الكتب أنه عندما أعلنت « الأمة اليهودية قيام اسرائيل كدولة مستقلة أعلنت ٥ بلاد عربية الحرب عليها » ويزعم آخر « أن العرب قرروا تحطيم اسرائيل الدولة الوليدة واحدى الديمقراطيات القليلة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة » . وهنا يلاحظ أن كلمة العرب ترتبط بعدد من التعبيرات السلبية مثل عارض ، وهاجم ، وغزا ، وطرد ، وغضب ، وألقى فى البحر .. الخ ، بينما ترتبط كلمة اليهود أو اسرائيل بتعبيرات ايجابية مثل الاستقلال والوطن ، والديمقراطية ، والحرية .

هذه المعلومات والايحاءات التاريخية المضللة والمشوهة تجعل الطالب متحيزاً ضد العرب . وهى لا تنقل لهم وجهة النظر العربية فى الموضوع ولا تناقش نشاط الجماعات العسكرية الصهيونية فى فلسطين قبل حرب ١٩٤٨ بوقت طويل ، ولا تذكر أسباب نزوح الفلسطينيين عن ديارهم ، وتتجاهل كيف أنهم أكرهوا على ذلك ، ولا تناقش حق الأمم المتحدة فى اصدار قرار التقسيم والضغط السياسى الأمريكى الذى رافق اصدار القرار ، كما أنها تتجاهل الوقائع التاريخية التى قد تؤذى صورة اسرائيل مثل واقعة اغتيال مندوب الأمم المتحدة السويدى الكونت برنادوت فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ فى القدس وتكتفى بالاشارة الى أنه قد قتل بل ان بعض الكتب ألقت بتبعة قتله على الفلسطينيين .

وتشير أغلب الكتب الى أن اسرائيل قد قامت نتيجة قرار الأمم المتحدة دون الاشارة الى أن قيامها كان فى الواقع بالقوة واغتصاب الأرض وتشريد الفلسطينيين من ديارهم . ويندر أن نجد عرضاً موضوعياً يذكر وجهات النظر المختلفة كما يندر عرض قضية اللاجئين الفلسطينيين باعتبارها مسألة أساسية فى أى تسوية للقضية .

## حرب ١٩٥٦ وأسبابها

تميل معالجة الكتب المدرسية الأمريكية لحرب ١٩٥٦ أيضاً الى التحيز بل وفقا لأحد الكتب يبدو كأن مصر لم تتعرض لهجوم على الاطلاق وان كل ما حدث هو « أن الحرب قد اشتعلت » . ويذكر كتاب آخر أن عبد الناصر كان يعادى اسرائيل الأمر الذى أثار قلقها ودعاها الى غزو مصر فى أواخر عام ١٩٥٦ ، وأنها هاجمت مصر أيضاً خوفاً على سلامة قناة السويس بعد تأميم مصر لشركتها وضماناً لاستمرار الملاحة الدولية فيها ، ويدعى كتاب آخر أن الحرب قد حدثت بسبب اغلاق عبد الناصر لخليج العقبة ولوضع حد لهجمات الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعد مصرية ، وبررها كتاب آخر بأن مصر رفضت السماح للسفن الاسرائيلية أو لسفن بلدان أخرى تحمل شحنات لاسرائيل بالمرور فى قناة السويس فغزت اسرائيل سيناء . ولاشك أن مثل هذا العرض لحرب ١٩٥٦ لابد وأن يشعر الطالب الأمريكى بالدهشة لتبنى الرئيس ايزنهاور وجهة نظر معارضة لاسرائيل وتصرفه فى اتفاق مع الاتحاد السوفيتى لاجبار الدول الثلاث الصديقة للولايات المتحدة ـ بريطانيا وفرنسا واسرائيل ـ على سحب قواتها من مصر . ولم تحاول أغلب الكتب عرض وجهة النظر العربية مثل ذكر هجوم اسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والذى أدى الى مقتل عدد كبير من الجنود المصريين كما لم يتعرض أى كتاب لحقيقة أن هذه الحرب كانت بناء على تدبير سابق بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا .

## حرب ١٩٦٧ وأسبابها

تنحو جميع الكتب المدرسية فى هذا الصدد باللوم على العرب وعبد الناصر ، فيدعى أحد الكتب « أن العرب شنوا هجوماً على اسرائيل بقيادة مصر فدمرتهم اسرائيل » ، ويذكر كتاب آخر أن مصر أغلقت منفذ اسرائيل على البحر الأحمر وحركت جيشها على الحدود ودعا عبد الناصر جميع الدول العربية الى سحق اسرائيل ، وتربط بعض الكتب بين العرب والسوفيت .

ولم يذكر أى من الكتب المدرسية سلوك اسرائيل العدوانى خلال الشهور التى سبقت حرب ١٩٦٧ وعدوانها على قرية السموع الأردنية ودخول الطيران الاسرائيلى سماء دمشق وسلسلة التصريحات الاسرائيلية التى هددت باسقاط نظام الحكم فى سوريا واحتلال دمشق وهو السلوك الذى أدى الى تصعيد التوتر وايجاد الأزمة التى نجمت عنها الحرب . وبصفة عامة فان معالجة حرب ١٩٦٧ فى الكتب المدرسية لا تمكن الطالب من ادراك تعقيدات الأزمة ولا تساعده فى الوصول الى فهم سليم فيما يتعلق بأسباب الحرب ونتائجها .

## صورة العرب واسرائيل

تفسر العديد من الكتب استمرار الصراع فى المنطقة بالقاء اللوم على العرب وتزعم أن الكراهية التى يشعرون بها نحو اسرائيل هى سبب الأزمة ويبرر أحد الكتب هذا العداء بأنه ناجم من أن اسرائيل بلد ديمقراطى الأمر الذى يهدد الكثير من الأنظمة غير الديمقراطية العربية . ويلاحظ فى هذا المجال أن الكتب لا تتعرض لنظرة الاسرائيليين الى العرب ولا لوضع العرب داخل اسرائيل والتمييز العنصرى ضدهم .

وتهتم الكتب بابراز انجازات اسرائيل فى كافة المجالات فتكرر كيف حولت الصحراء الى واحة مزدهرة وتقارن ذلك مع تخلف العرب وتأخرهم وعجزهم عن التنمية رغم مواردهم الكبيرة ، ويؤدى ذلك بالطبع الى تبنى الطلبة مشاعر متعاطفة مع اسرائيل . كما تمتلىء الكتب بالصور التى تبين كيف كانت الصحراء حينما وصلها اليهود وكيف جعلوها تزدهر وتنتج ويذكر أحد الكتب أنه عندما عاد اليهود الى فلسطين « وجدوا أن الأرض مازالت كما كانت عليه فى أيام أجدادهم الأوائل » . وبينما توصف اسرائيل بالتقدم والمدنية وأنها دولة عصرية متقدمة وديمقراطية يوصف العرب بالتخلف والفقر والجهل والعدوان . فيؤكد أحد الكتب على الطابع

الديمقراطى لاسرائيل ويذكر آخر أن اليهود الأوربيين حملوا معهم المدنية الى فلسطين بعد أن عاش العرب فى ظل الاقطاع والفقر والجهل لمدة طويلة . ويربط ثالث بين العداوة العربية لاسرائيل والدين الاسلامى ، وفى كثير من هذه الكتب تستخدم كلمتا العرب والمسلمون كمترادفين .

وفى هذا المجال أيضاً فان ما يرد فى الكتب المدرسية الأمريكية يجانب الحقيقة . فالتاريخ يدحض خرافة تحويل الصحراء الى واحة مزدهرة . فأجزاء كبيرة من فلسطين كانت منذ عهد بعيد خصبة ومنتجة كما تشير كافة الوثائق التاريخية وشهادات الرحالة الأجانب : ولا تخبر الكتب المدرسية القارىء أن مشاريع الرى فى صحراء النقب قد تبين أنها غير اقتصادية منذ عام ١٩٥٥ الا أنها استمرت فى نطاق محدود لأسباب عسكرية .

وأخيراً فان هذه الكتب تتعمد عدم الاشارة الى ما يهز صورة اسرائيل مثل اضطهاد اليهود الشرقيين ودعوتهم من أجل المساواة أو وضع العرب داخل اسرائيل أو استيلاء اسرائيل على المناطق المنزوعة السلاح بينها وبين كل من سوريا ومصر .

## استخلاصات ونتائج

من عرض ما تقدمه الكتب المدرسية الأمريكية عن القضية الفلسطينية والصراع العربى ــ الاسرائيلى يمكن الوصول الى الاستنتاجات التالية :

١ ــ أن جميع الدراسات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبالصراع العربى الاسرائيلى موالية لاسرائيل بشكل صريح وسافر ولا يمكن اعتبار أى منها موضوعياً أو يعرض وجهة النظر العربية بشكل علمى غير متحيز .

٢ ــ من حيث المساحة المخصصة لمعالجة اسرائيل والبلاد العربية فى هذه الكتب عادة ما يخصص لاسرائيل مساحة موازية أو أكبر مما يخصص للدول العربية كلها . فأحد الكتب المدرسية للصف السادس يخصص صفحتين ونصف صفحة مرفقة بتسع صور حديثة لاسرائيل فى حين يخصص للسعودية ثلثى صفحة وللعراق ربع صفحة . كما تلعب الصور التى تتضمنها هذه الكتب دوراً هاماً فى تأكيد انطباعات ورؤى معينة وتوصلت احدى الدراسات نتيجة تحليل ١٨ كتاباً بهذا الصدد إلى أن هناك ٢٠٢ صورة عن العالم العربى يركز معظمها على المساكن الريفية والواحات والبدو وقوافل الجمال . أما الصور الخاصة باسرائيل فتركز على التقدم والحضارة الحديثة .

٣ ــ عادة ما تقترح الأسئلة التى ترد فى نهاية كل جزء أن يكتب الطلبة تقارير ترتكز على معلومات مستقاة من وسائل الاعلام ، ولما كانت هذه الوسائل متحيزة لاسرائيل ومعبرة عن وجهات نظرها فان هذه الأسئلة والتقارير التى يكتبها الطلبة تميل الى قبول وجهات النظر الاسرائيلية .

٤ ــ ان معظم مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية تمتلك مراجع ضافية عن اسرائيل أكثر مما لديها عن العرب ، علاوة على أن هذه الكتب وضعت بواسطة مؤلفين يتعاطفون مع اسرائيل ، وعلى سبيل المثال فى احدى المدارس الثانوية فى ولاية كاليفورنيا وجد الباحث خمسة كتب عن اسرائيل وحدها وكتابين فقط عن الشرق الأوسط بوجه عام . ويتيح هذا الوضع للمدرسين أن يتعلموا المزيد عن اسرائيل كما يشجع الطلبة على اختيار اسرائيل كموضوع لتقاريرهم وبحوثهم الدراسية .

٥ ــ تتغاضى معظم الكتب المدرسية عن الحق الشرعى للفلسطينيين وتستخدم بعض الكتب عن عمد كلمة عربى بدلا من فلسطينى لكى تعطى الانطباع بأن الصراع بين الاسرائيليين وكل العرب ، كما أنها لا تبرز قضية الفلسطينيين وحقهم فى تقرير مصيرهم .

٦ ــ بصفة عامة تكرس الكتب صورة سلبية عن العرب باعتبارهم قوماً متخلفين وأنهم سبب الصراع فى المنطقة ، بينما تذكر اسرائيل واليهود بكثير من الاعجاب والتمجيد وتشير الى ما قاساه اليهود على يد هتلر وأن اسرائيل قامت كنتيجة لقرار الأمم المتحدة وتتجاهل أن اسرائيل طردت الفلسطينيين من أراضيهم وأنها توسعت على حساب الدول العربية المجاورة وأنها لا تحترم قرارات الأمم المتحدة وأنه لا توجد دولة فى العالم أدينت عددا من المرات بواسطة أجهزة ومنظمات الأمم المتحدة المختلفة مثل اسرائيل ربما باستثناء جنوب أفريقيا .

٧ ــ أن تناول الكتب المدرسية للموضوع يميل الى اصدار الأحكام الأخلاقية والقاء اللوم ومن ثم فانه لا يساعد الطالب على فهم القضية الفلسطينية بشكل موضوعى وذلك من خلال وصف الأسباب الموضوعية لها والجذور التاريخية للصراع . وهكذا فان هذه الكتب تنقل للطلبة « وجهة نظر » حول القضية أكثر من عرضها للأصول والجذور التاريخية لها ثم تترك لكل طالب بعد ذلك الحرية فى اختيار وجهة النظر الخاصة به .

٨ ــ ان هذا المنهج غير العلمى فيما يتعلق بتناول القضية الفلسطينية لا يقتصر فى الحقيقة على هذه القضية فحسب وانما يمتد ليشمل كيفية تناول تاريخ المنطقة ، والاسلام ، والأوضاع المعاصرة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية ؛ فى كل هذه الموضوعات توجد أخطاء علمية وعدم دقة فى البحث ، بالاضافة الى التحيز وعرض وجهة نظر واحدة بصددها . وجدير بالذكر أن جمعية دراسات الشرق الأوسط التى تضم أساتذة العلوم الاجتماعية المختلفة المهتمين بالمنطقة شكلت لجنة لدراسة الكتب المدرسية وفى تقريرها الذى شمل دراسة ٤٦ كتاباً وصلت الى أن ٢٪ منها غير مقبول على الاطلاق أما الكتب الباقية فتتراوح فى موضوعيتها ودقتها .

ويتضح مما سبق أن معالجة القضية الفلسطينية هى معالجة غير مرضية على الاطلاق سواء من حيث الشكل أو المضمون . فهى تعطى مساحة أكبر فى التناول لاسرائيل كما تعرض أساسا وجهة النظر الاسرائيلية وبالتالى يتجه الطلبة الى تطوير أفكار وانطباعات ومواقف خاطئة حول القضية والتعاطف مع وجهة النظر الاسرائيلية .

ولعله ليس من قبيل التعميم غير المبرر القول بأن الكتب المدرسية فى أغلب الدول العربية الأخرى تعكس نفس الاتجاهات السابقة وهو ما يدعو الى النظر فى هذا الوضع وكيفية اصلاحه بقصد تقديم صورة متوازية وموضوعية عن القضية الفلسطينية ، ويمكن للمعلمين ونقاباتهم وتنظيماتهم القيام بدور حيوى فى هذا المجال .

على الدين هلال

هامش :

(١) يعتمد هذا المقال على نتائج عدد من الأبحاث فى الموضوع منها :

ــ د . الياس زين : القضية الفلسطينية فى كتب التاريخ المدرسية الأمريكية ، شئون فلسطينية ، عدد ٢ ( ايلول ــ سبتمبر ١٩٧٣ ) ص ١٨٨ ــ ١٩٤ .

ــ . اياد القزاز : النزاع العربى الاسرائيلى فى كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية فى الولايات المتحدة ، شئون فلسطينية ، عدد ٤٨ ( ايلول ــ سبتمبر ١٩٧٥ ) ص ١٨٥ ــ ١٩٣ .

ملف عربي
بالغ الأهمية




بقلم: بسام طالب

- أحمد زكي يماني يقول: الماء أثمن من النفط
- المسلم الشهيد الذي مات ليعطي أخاه جرعة ماء متبقية
- الصفة الأساسية المشتركة لاستخدام المياه العربية هي: الهدر

الماء هو قضية القضايا التي تشغل بال العالم، وهي قضية خطيرة تقتضي جهوداً واعية ومكثفة وبخاصة وأن العالم كله مهدد بنقص المياه. فما الذي يجب علينا نحن العرب القيام به في مواجهة هذه القضية ومواجهة أطماع إسرائيل الدائمة في المياه العربية، وما الذي يجب على دول مجلس التعاون على وجه الخصوص القيام به أمام هذه المشكلة الخطيرة والتي تحتاج إلى مزيد من الجهود المبذولة؟

وكنت وفية كالماء
فكيف أخون، ماء العين
كيف أهرب من دمي، وأنت الدروب
وكل الدروب اليك تؤوب

* * *

لم يجد الشاعر أصدق من الماء تعبيراً عن الوفاء، ولم يجد أثمن من ماء العين تعبيراً عن الاخلاص.

يقولون أنقى من الماء، فالماء دليل النقاء، وقد جعل الله سبحانه من الماء كل شيء حي، يقول تعالى في سورة هود / ٦ / «وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء.....»

وكانت سقاية الماء في مكة مكرمة كبيرة، ودرجة عالية رفيعة لا ينالها إلا كرام القوم، وقد جاء في الاثر: اسق الماء ولو على الماء.

والماء أحد العناصر الاساسية للوجود، بل يكاد يفوق كلاً من عنصري الأرض والأمن، والحضارات القديمة قامت أساساً على ضفاف الأنهار، «والماء أوفر جميع الموارد الطبيعية في العالم ويوجد منه على الأرض كمية يقدر حجمها بـ ١٤٥٠ مليون كيلومتر مكعب (الكيلومتر المكعب مليار متر مكعب).

واحتياطي هذه الكمية ثابت، وقد وجدت هذه الكمية على الأرض وستظل فيها ما دامت الأرض، ومعظم هذا الماء موجود في البحر (٩٧,٢٪ منه) وتؤلف الجموديات حوالي ٢,١٥٪ منه ولا يبقى سوى ٦٥, .٪ منه في الجو وعلى ظهر الأرض وهذه الكمية تبلغ بالحجم ٨,٥ مليون كيلومتر مكعب، وهذا الحجم كاف لما يزيد كثيراً عن احتياجات الكرة الأرضية، فلا خوف من نقصانه والعوز اليه.

والمشكلة في هذا السائل الحيوي هو أنه لا يوجد



الماء : أهم القضايا الخطيرة التي تشغل العالم الآن ، فهل نهتم ــ نحن العرب ــ بحاضر ومستقبل الماء ؟



أحمد زكى يماني : الماء أثمن من النفط

دوماً في مكان الحاجة اليه ولا في وقت الحاجة اليه .

ويعتبر السعي في تحصيل الماء أحد أشكال الجهد والسعي اليومي من أجل الحياة ، ولا تؤلف الحاجات البيئية من الماء سوى ١٠٪ من اجمالي الاستهلاك العالمي . أما الصناعة العالمية فتستهلك حوالي ٢٠٪ من مصروف الماء ، و٧٠٪ الباقية تستهلكها الزراعة .

ومن البديهي أن يكون الماء واحداً من أهم أسباب الفقر والبؤس والمجاعات في العالم ، واذا ما أخذنا بعين الاعتبار نسبة التلوث الكبيرة التي يخلفها الاستهلاك الصناعي ، فان العالم ينقسم حيال الماء إلى كتلتين كبيرتين : الأولى هي كتلة أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى الماء إما لاسباب اقليمية أو بسبب التخلف ، والكتلة الثانية هي كتلة أولئك الذين يوشكون بسبب التلوث الكبير أن لا يجدوا كمية الماء اللازمة للوفاء بحاجاتهم البيئية والصناعية والزراعية .

## صراع تاريخي وصراع وجود

والصراع على الماء صراع تاريخي ، ان لم نقل صراع وجود . فمن عالم النبات إلى عالم الانسان مروراً بعالم الحيوان والصراع على الماء قائم ومستمر .

فهذه النبتة تتطاول بجذورها إلى جاراتها ، حيث تكون الأرض أكثر رطوبة وأغزر ندى ، وهذان حيوانان يتصارعان على شربة ماء ، ومن القصص مالا يعد ولا يحصى عن الصراع على الماء وعن جرعة الايثار في الماء ، فهذا المقاتل المسلم يقضي شهيداً ليعطي أخاه كمية الماء المتبقية ،

وكم قامت حروب من أجل الماء ، وكم تكرست خلافات بسبب اقتسام حصص الماء في الأنهار ، ولعل الكثيرون يذكرون جولات معالي الشيخ أحمد زكي يماني المكوكية في السبعينات إبان أزمة ماء الفرات بين سوريا والعراق ، وأذكر أنني سألت حينها معالي الشيخ يماني سؤالاً كان مضمونه : أيهما وجدتم أصعب العمل في النفط أم العمل بالماء ، فأجابني بهدوئه المعهود الماء أثمن من النفط ، وقد فهمت من اجابته أن العمل في الماء أدهى وأمر .

كان من الطبيعي جداً أن تقوم الحضارات الانسانية في أوائل عهدها في وديان الانهار فحضارة بلاد الرافدين قامت في وادي دجلة والفرات وحضارة الفراعنة قامت في وادي النيل ، وفي وديان أنهار الهند والصين قامت حضارات عدة .

وتحتاج العمليات الحيوية في كافة الكائنات الحية نباتية وحيوانية على السواء إلى كميات كبيرة من الماء فلكي تنبت البذور لابد لها من وسط يحمل قدراً كافياً من الرطوبة ، وأول ما يبحث عنه الجذير الصغير في التربة هوالماء ، وبتقدم النبات في النمو تزيد احتياجاته للماء ، وفي الزراعة تختلف كمية الماء اللازمة لانتاج قدر معين من الغذاء تبعاً لنوعية هذا الغذاء ، فالغذاء النباتي يحتاج إلى مقدار أقل مما يحتاجه قدر مماثل من الغذاء الحيواني . فعلى سبيل المثال يلزم لانتاج كيلو جرام واحد من حبوب القمح ٦٠٠ لتر ماء ويلزم لانتاج نفس الكمية من الأرز ٢٠٠٠ ــ ٢٥٠٠ لتر ماء ، بينما يقدر ما يلزم لانتاج الكيلو جرام الواحد من اللحم بحوالي ٢٥,٠٠٠ لتر ماء والكيلوجرام الواحد من اللبن ١٠,٠٠٠ لتر ماء .

وكما تحتاج الزراعة الى الماء ، تحتاج الصناعة اليه أيضاً ، وتستخدمه بكميات كبيرة ، ويختلف المقدار اللازم من الماء هنا أيضاً تبعاً لنوع الصناعة

ففي صناعة الالبان تلزم أربعة لترات ماء في انتاج الكيلوجرام الواحد ..

ونحتاج إلى نحو ١٥٠٠ لتر من الماء لصنع زوج من اطارات السيارات الثقيلة بينما نحتاج الى ١٠٠,٠٠٠ لتر من الماء لصنع سيارة دون اطارات .

ويتمتع الانسان بالأولوية على الزراعة والصناعة في ضرورات احتياجه للماء فهو يحتاجه للبقاء كماء للشرب ويحتاجه لاستعمالاته المنزلية .

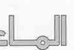
واحتياجات الانسان آخذه في الزيادة في خط مواز لتقدمه الحضاري والتكنولوجي ، وبينما لا يتعدى ما يستهلكه الفرد في البيئات البدائية حوالي لترين ونصف لتر يومياً ، نجد أن استهلاك الفرد في البيئات المتقدمة يصل الى ١٦٠ لتراً يومياً .

ولقد أدى التقدم التكنولوجي الى زيادة كبيرة ومفرطة في استهلاك المجتمعات للمياه بدءا من الفرد ومروراً بالزراعة والصناعة .

كما أدت الزيادة المفرطة في عدد السكان الى مضاعفة استهلاك الانسان للماء العذب ، مما أدى إلى بروز أزمة حقيقية في الموارد المائية .

على صعيد آخر هناك توزع للمناخات على سطح الكرة الأرضية تابع لما يسمى بالتوازن المائي ، والتوازن المائي هو العلاقة بين ما يدخل منطقة ما من مياه في شكل تساقط وبين الفاقد من هذه المياه بفعل التبخر والنتح من النبات ، اضافة الى التغيرات التي تطرأ على المياه المختزنة ( رطوبة التربة ، المياه الجوفية ، البحيرات ، المجاري المائية .... )

فالمناطق الجافة يتمثل بها نقص واضح في مجموع ما يدخل المنطقة من المياه على مدار السنة ككل . وحجم هذا النقص هو الذي يحدد درجة الجفاف لذا فهناك مناخات رطبة ومناخات شبه رطبة ومناخات شبه جافة ومناخات جافة وأخيراً مناخات متطرفة الجفاف .




# الماء

## قضية خطيرة يواجهها كل العرب

وتعتبر المياه أنفس الموارد الطبيعية في المناطق الجافة ، حيث تتحكم في وجود وتوزيع وكثافة كل من النبات والحيوان والانسان . ولكي يمكن استغلال المناطق الجافة لإقامة مراكز عمرانية ينبغي توفير المياه بكميات يعتمد عليها ، وتكون ذات خصائص نوعية تسمح بقيام نشاط اقتصادي مختار ، وهناك في المناطق الجافة موردان مائيان رئيسيان : المياه الجوفية ( السطحية ، والباطنية ) والتي تعتبر مصدراً متناقصاً في بعض المناطق الجافة ، ثم هناك الانهار الدائمة التي تستمد مياهها ذات الكميات الكافية من مناطق مطيرة ، أو من جزر رطوبة مجاورة . أما المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف فليس لديها سوى المياه الجوفية السطحية والباطنية وقد فتح تقطير مياه البحر وازالة ملوحتها باباً كبيراً ليصبح المورد الرئيسي للمياه في المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف .

إن علم المياه لا يزال يعتبر علماً ناقصاً لأنه يعمل على استنباط نتائج صحيحة من معطيات ناقصة ، لكن هذا العلم علم خطير وله أبعاده الحياتية والسياسية .

لقد أقر مؤتمر التقنية المائية الدولي الذي عقد في نيروبي بكينيا في نيسان ابريل ١٩٨٤ بأن نحواً من ألفي مليون رجل وامرأة وطفل ، أي حوالى نصف سكان العالم ، لا يزالون محرومون من أي وسيلة تصلهم بامدادات المياه .

ولسنا مبالغين اذا قلنا بأننا نعيش عقد الماء بل عقد ندرة الماء على الأصح سيما وأن مصادر عليمة تقول بأن هناك ١١٦ مليون عربي محرومون من المياه فما هو الموقف المائي العربي ؟

### الماء والصراع العربي الاسرائيلي

باستثناء مساحات صغيرة ، يعتبر وطننا العربي من أوضح الأمثلة على المناطق الجافة وشبه الجافة ، وتتوفر في الوطن العربي ثلاثة مصادر رئيسية للماء العذب وهي الأنهار والأمطار والماء الأرضي . إلا أن أهمية كل منها تختلف كثيراً من قطر لآخر ، ففي مصر يكاد نهر النيل أن يكون المصدر الوحيد للماء ، وفي العراق وسوريا نجد دجلة والفرات يوفران الجزء الأكبر من الاحتياجات المائية ، بينما توفر الأمطار الجزء الباقي ، وفي اليمن والجزائر والمغرب نجد الأمطار هي المورد الاساسي للمياه ، أما في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ( السعودية ،الكويت ، الإمارات العربية المتحدة ، عمان ، البحرين ، قطر ) فبجانب الأمطار يساهم الماء الأرضي بقدر . أما المورد الرئيسي فهو يأتي من تحلية مياه البحر .

إن السمة الغالبة للأسلوب الذي يتبع في استخدام الموارد المائية في الوطن العربي هو الهدر ، وعلى الرغم من أن الماء كما أشرنا ثروة قومية بالغة القيمة في عصر الندرة الذي أشرنا اليه فان هدراً حقيقياً يجري للمياه العربية نتيجة سوء الاستخدام وتخلف التقنية ، ومما زاد الطين بلاً هو دخول الماء كعنصر أساسي في الصراع العربي الاسرائيلي .

لقد أصاب كبد الحقيقة من قال بأن الماء يصنع الحقائق الكبرى في الشرق ، ويعتبر الماء نقطة الارتكاز الأساسية في الميثولوجيا أو الأساطير اليهودية ، بل في الايديولوجيا اليهودية كلها .

جاء في سفر التكوين ــ الاصحاح ١٥ :

« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر ( النيل ) إلى النهر الكبير ( الفرات ) » .

وتقول الأدبيات الفلسفية اليهودية :

« أي استعادة للتاريخ لا تتم إلا من خلال الضغط اللامحدود على الجغرافيا » .

وفي عام ١٩٥٦ أوضح ديفيد بن جوريون المعادلة بكل جلاء حين قال : اننا نخوض مع العرب معركة المياه ، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الكيان اليهودى في فلسطين .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشكلة المائية في اسرائيل وانعكاسها على الصراع العربي الاسرائيلي :

« البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في دفع ملايين اليهود للهجرة إلى فلسطين ، لايتم إلا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وأن التوسع في استغلال الأرض لن يتم إلا بتأمين كميات كافية من المياه لإروائها وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

« ومنذ عام ١٨٧٣ تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين إلى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة إلى الدعوة اليهودية القائلة : « بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب إذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين إلى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .



الدكتور محمد الرميحي
الماء أهم لنا من أى شيء آخر

وكان النائب اللبناني الراحل موريس الجميل قد أشار في محاضرة له عام ١٩٦٤ إلى رهان اسرائيلي على المياه اللبنانية فقال :

« انصرف اهتمام مؤسسي اسرائيل إلى الناحية المائية ، وحسبوا لها ألف حساب ولانهم أدركوا قبل الحكام العرب ، أن حياة الدولة التي يصممونها منوطة الى حد بعيد بالمياه ، وأن المياه بالنسبة اليها قضية حياة أو موت ، فكان من الطبيعي أن تتجه الأنظار إلى منطقة غنية بالمياه وتسد هذا العجز فكانت تلك المنطقة هي لبنان الجنوبي » .

إن الحلم الاسرائيلي في السيطرة على المياه العربية ، لم يكن مجرد حلم جاء من فراغ ، بل كان في الحقيقة منطلقاً استراتيجياً في اقامة دولة اسرائيل ومعبراً استراتيجياً في استمرارها .

فمنذ أوائل الخمسينات واسرائيل تخطط للسيطرة على الماء العربي . في البداية جاءت الرسالة مهذبة وذلك على لسان المبعوث الأمريكي إلى المنطقة الذي صرح عام ١٩٥٤ قائلاً :

« لقد وضعنا برنامجاً شاملاً متكاملاً لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين » .

ثم بدأت التحركات الاسرائيلية . وخلال عشر سنوات ١٩٥٧ ــ ١٩٦٧ لم يكن بيد العرب أن يفعلوا أكثر من اتخاذ قرار بتحويل روافد نهر الاردن ، وذلك لمنع اسرائيل من تحويل النهر الى النقب ، ولم تكن لديهم القوة لتنفيذ هذا القرار ، اذ منعتهم اسرائيل على الأرض من تنفيذ قرارهم هذا الصادر عن القمة العربية الاولى عام ١٩٦٤ بل انهت هذا الأمر بصورة دراماتيكية حين شنت عام ١٩٦٧ الحرب على مصر وسوريا والأردن واحتلت الضفة الغربية والجولان وسيناء وأنهت الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب وتم نقل ما يزيد عن ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا وصولاً إلى النقب .

ولم يجانب بعض الباحثين الصواب حين

- الماء يصنع الحقائق الكبرى في الشرق
- نصف سكان العالم محرومون من الوسائل الصحيحة لإمدادات المياه
- كيف تقوم دول مجلس التعاون بدورها الفعّال في حل مشكلة المياه؟
- مطلوب عقد ندوة عن الرؤية الحقيقية لحاضر ومستقبل الموارد المائية في دول مجلس التعاون

أطلقوا على حروب اسرائيل ضد العرب اسم « حروب الماء » فأهمية الماء بالنسبة لاسرائيل كما أشرنا تنبع من الأهمية التي توليها للزراعة كضمان استراتيجي لبقائها وربط المهاجرين اليهود بها . وكان من الطبيعي بعد أن استنزفت اسرائيل كل المياه في فلسطين أن تتطلع لمصادر أخرى ، مياه جديدة . وقد أخذ هذا التطلع شكل جر المياه من الدول العربية المجاورة بدون رضاها .

بدأت اسرائيل اذن بنهر الأردن وهي تتطلع إلى الليطاني . يقول حاييم وايزمان في مذكرة لوزير الخارجية البريطاني عام ١٩٢٠ : « انني متأكد أن سيادتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين فلو تأمنت لها جميع مياه الاردن واليرموك فلن تفي بحاجاتها . ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه أن يؤمن المياه لري الجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة » .

وواقع الأمر جاء ليثبت ذلك : فقد غزت اسرائيل لبنان عام ١٩٧٨ بعملية اسمتها « الليطاني » ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان عام ١٩٨٢ واحتل الجنوب اللبناني ، وأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية ، وفي أواخر العام الماضي بدأت اسرائيل تطلق بالونات اختبار للتأكد من مدى مناسبة الجو العام لتنفيذ مخططاتها الفعلية في سرقة المياه اللبنانية فكتبت صحيفة هارتس الاسرائيلية تقول : إن الادارة العامة لمصلحة المياه في اسرائيل قررت أن تستخدم قريباً خط أنابيب النفط العائد لشركة التابلاين الذي يبدأ من حقول النفط في رأس تنوره في السعودية ويمر عبر الأراضي الأردنية والسورية مخترقاً هضبة الجولان السورية ثم عبر الأراضي اللبنانية حيث ينتهي في منطقة الزهراني لتحويل مياه نهر الحاصباني التي تمر مياهه فوق خط أنابيب التابلاين في لبنان إلى اسرائيل .

وذكرت هارتس أن مهندس شركة /طحال/ التي كلفت بانشاء جميع شبكات المياه في اسرائيل ، أعدت مشروعاً لاستخدام جزء من خط أنابيب نفط التابلاين لضخ المياه من مصادر نهر الحاصباني ، وتحويلها إلى اسرائيل . إن ما جرى قد جرى . ولكن وراء الأكمة ما وراءها فالكيان الصهيوني متعطش للمياه وتشير المصادر العلمية بأن القسم الأعظم من مصادر المياه المتاحة للعدو الصهيوني قد تم استغلاله ، اذن لابد من التطلع مجدداً نحو الخارج ، إن هذا التطلع الصهيوني نحو المياه العربية هو تطلع ناشيء من التركيبة البنيوية لدولة اسرائيل .

فالكيان الصهيوني ، كيان قائم على التوسع ، وعليه حتى يعيش أن يشن حرباً كل فترة من الزمن على جيرانه ليقضم قسماً من أراضيهم تكون منفذاً لمشاريعه الاستيطانية وجلب المزيد من يهود العالم ، وهو مضطر لذلك وليس لديه خيار آخر ! اذن ما زال في الجعبة الاسرائيلية الكثير ما دام هناك ماء عربي غير خاضع بصورة أو بأخرى للهيمنة الصهيونية . ومادامت هناك في المشرق العربي أمور مائية لم تسو بعد لصالح الكيان الصهيوني فيجب تسويتها ــ في العالم العربي خارج مصر ــ حتى تنتهي هذه المسألة وبعدها يبدأ حديث نهر النيل .



المياه العربية ( اشارة خاصة لدول مجلس التعاون )

لانني أحب يا حبيبتي المطر
وأنتشي ، وانتشي كلما انهمر
لأن من عينيك تولد النجوم
ويختفي في رمشها القمر
أحب يا وردية الغيوم
أن يورق المساء في عيوننا
معاولا ، مطارقاً ، ندية الثمر

* * *

للماء في الحياة العربية بعد آخر ، والماء في التراث الفلسفي العربي أقرب الى الرومانسية منه إلى الفكر . الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن . والماء مناسبة للتبتل كما أنه مناسبة لإرواء الأرض العطشى ، والدين الاسلامي الحنيف يدعو لصلاة الاستسقاء حين ينحبس المطر .

الوجه الآخر للماء في الحياة العربية يعني الاستقرار ، والنماء وبالتالي الحضارة والتقدم . فالماء قضية محورية ويجب أن تأخذ الأولوية التي تستحقها خاصة في أقطار الندرة المائية من الأقطار العربية ونقصد منها على وجه الخصوص دول مجلس التعاون العربية وهي : المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت ، دولة قطر ، دولة الامارات العربية المتحدة ، سلطنة عمان ، ودولة البحرين . يتميز حوض الخليج العربي بالمتناقضات من حيث مصادر المياه العذبة ففي سهول دجلة والفرات تتوفر المياه العذبة وتتحول إلى أهوار وبحيرات ومستنقعات . أما المنطقة الممتدة من رأس شبه جزيرة مسندم حتى سهول العراق شمالاً فانها تعاني قلة من المياه العذبة .

وهناك أجزاء من الخليج العربي وسط بين الوفرة في دلتا دجلة والفرات والقلة في الساحل العربي من رأس مسندم حتى سهول العراق شمالاً .

وتشمل مصادر المياه العذبة في حوض الخليج العربي ما يلي :

١ ــ المياه الجارية ( الانهار والأودية )
٢ ــ المياه الجوفية السطحية ، الحفرية
٣ ــ تحلية مياه البحر
٤ ــ تنقية مياه المجاري

وسنستعرض فيما يلي الوضع المائي في كل دولة على حدة من دول مجلس التعاون :

## المملكة العربية السعودية

إن أمطار المملكة العربية السعودية بوجه عام قليلة وغير كثيفة ، وتهطل على فترات متقطعة وبمعدلات غير مستقرة من عام لآخر . وقد تكون الأمطار الشتوية أكثر انتظاماً في توزيعها عن التي تهطل في فصل الربيع .

ويبلغ متوسط الأمطار نحو ٧٥ مم في الشمال الغربي ، ويزداد كلما اتجهنا جنوباً الى أن يبلغ في وسط البلاد نحو ١٠٠مم ، ويقل متوسطها كلما اتجهنا نحو الربع الخالي حيث تنعدم كلياً . ويزداد معدل الرطوبة النسبية كلما اتجهنا شرقاً صوب الخليج العربي ، وتزداد درجة الحرارة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . أما التبخر فيتراوح بين ثلاثة آلاف و خمسة آلاف مم . تغطي الصخور الرسوبية ثلثي مساحة المملكة أي ما يعادل ١,٥ مليون كيلومتر مربع ، ويبلغ معدل سمكها نحو ٥٥٠٠متر ، وتحوي بين طياتها طبقات حاملة للمياه ، هذه الصخور الرسوبية



قضية خطيرة يواجهها كل العرب

تحتوي على ٢٨ تكويناً ، عشرون منها تحمل مياهاً جوفية وتسع من هذه العشرين تختزن مياها جوفية صالحة للاستعمال ونتيجة للسحب الشديد ، وعدم حفر الآبار بطرق هندسية سليمة وصحيحة أدى ذلك إلى انخفاض منسوب مياه بعض الطبقات وتسرب المياه منها ، بالاضافة إلى أن تغذية هذه الخزانات الجوفية أقل بكثير مما يتم استخراجه منها .

وإزاء هــذه الظروف الطبيعيــة والبيئية والجيولوجية للمياه الجوفية في المملكة ومواكبة للمد العمراني والنماء المضطرد في عدد السكان والتوسع في حقلي الصناعة والزراعة تلبية للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، كان لابد من التوجه إلى إقامة محطات لتحلية مياه البحر .

بلغ عدد مصانع تحلية المياه المالحة في المملكة حتى نهاية عام ١٩٨٣ ثلاثة عشر مصنعاً أو مجمعاً وهي الخبر ( ١ ) والجبيل ( ١ ، ٢ ) والخفجي ( ١ ) ومجمع جدة ومجمع المدينة ينبع ومصانع حقل ، والوجه وأملج ورابغ فرسان والبرك .

وقد بلغ انتاج الماء فيها جميعاً عام ١٩٨٣ نحو ٢١٠ مليون متر مكعب .

وتخطط المملكة لتزداد عدد مصانع التحلية في المستقبل وتزداد طاقتها الانتاجية لتصبح عام ( ١٩٩٠ ) ٤٦٧,٥ مليون متر مكعب أما عام ( ٢٠٠٠ ) فيقدر انتاج مصانع التحلية بنحو ( ٨٣١ ) مليون متر مكعب سنوياً .

لقد أنفقت المملكة ٤٠٠ مليون دولار في عقد السبعينات على مشاريعها المائية كما خصصت للنصف الأول من عقد الثمانينات ما يقارب ١,٥ مليار دولار لمنشآت تحلية المياه وحدها .

وقد أوضح جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عند افتتاحه لمشروع تبريد المصانع بمياه البحر في مايو ١٩٨٤ أن امكانية المملكة من انتاج تحلية المياه بلغت ٥٠٠ مليون جالون ، وأنها لأول مرة في تاريخ الأمم تنتج كمية مثل هذه لشرب المواطنين والزراعة ، وفي الخطة الثالثة صممت محطات التحلية لمد المدن التي ينوف عدد سكانها عن ٥٠٠٠ نسمة بنحو ١٦٤٠ ألف متر مكعب يومياً من مياه الشرب ، وتشرف على ٩٠ بالمائة منها المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة .

## الــكويت

كانت مياه الأمطار والمياه الجوفية السطحية وما ينقل من شط العرب في سفن شراعية ( البوم ) هي المصادر الأساسية للمياه العذبة في الكويت ، إلى أن قامت شركة الزيت في الأحمدي عام ١٩٥٠ بانشاء محطة لتقطير مياه البحر طاقتها ٦٠٠ ألف جالون يومياً وفي عام ١٩٥٣ أنشأت الدولة محطة لتحلية مياه البحر في الشويخ طاقتها مليون جالون يومياً . أما الآن فتضم : ( ١ ) محطة الشويخ سبع وحدات تقطير مجموع طاقاتها الانتاجية الأسمية ( ١٤ ) مليون جالون ( ٢ ) محطة الشعيبة الشمالية : بدأ العمل عام ١٩٦٦ بثلاث وحدات تقطير ، الطاقة الانتاجية لكل منها مليون جالون يومياً ، وتضم الآن سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية ( ١٤ ) مليون جالون يومياً . ( ٣ ) محطة الشعيبة الجنوبية : وتم تشغيل أولى وحداتها في نهاية عام ١٩٧١ بطاقة انتاجية خمسة ملايين جالون يومياً ، وهي الآن تضم ست وحدات تقطير كبيرة مجموع طاقتها الانتاجية ( ٣٠ ) مليون جالون يومياً . ( ٤ ) محطات الدوحة الشرقية : وتتكون من سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية ( ٤٢ ) مليون جالون يومياً .

واهتمت الدولة بالمسح الجيولوجي بحثاً عن موارد المياه الجوفية ، وقد اكتشف أول بئر في حقل الروضتين عام ١٩٦٠ ويبعد هذا الحقل ٨٨ كم شمال مدينة الكويت وتبلغ مساحته ٥٠ كم . أما حقل العيش فقد تم اكتشافه عام ١٩٦٣ وبدأ انتاجه الفعلي عام ١٩٦٥ وقد حفر به ٦١ بئراً منها ٢٦ بئراً منتجة .

هذا وقد اكتشفت حقول المياه القليلة الملوحة التي تصلح للزراعة والأغراض المنزلية ولكنها لا تصلح للشرب عام ١٩٥١ وقد عثر على هذه المياه في منطقة الصليبية وحقل القشعانية وحقل الشقايا .

ومن استعراض جدول استهلاك المياه العذبة خلال الفترة من ١٩٥٧ ــ ١٩٨٣ نلاحظ أن معدل استهلاك الفرد الواحد من الماء العذب ارتفع من ( ٤,٥٦٢ ) جالون في السنة عام ١٩٥٧ حتى بلغ ( ١٨,٥٥١ ) جالوناً عام ١٩٨٢ ، أي أنه ارتفع خلال عقدين إلى ما ينوف عن ثلاثة أضعاف ، وذلك بالرغم من ارتفاع عدد سكان الكويت إلى حوالي خمسة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٢ .

أي أن معدل استهلاك الفرد من الماء في الكويت يزيد عن ( ٩٠ ) جالوناً في اليوم ثلثها تقريباً من الماء العذب والثلث الباقي من المياه القليلة الملوحة .

## دولة الامارات العربية المتحدة

تختلف دولة الامارات العربية المتحدة من حيث مصادر المياه العذبة فيها عن دول الخليج العربي ، اذ يخترق أرضها كثير من الأودية التي تنبع من مرتفعات عمان وهي أبرز ظاهرة تضاريسية في دولة الامارات ، وقد بلغ عدد الآبار وحقول المياه حتى نهاية عام ( ١٩٨٣ ) ٣٣ حقلا و ٤٩٩ بئراً انتجت حوالي ١٢ مليارا أو ٦٨٧ مليون جالون من المياه . كما تقدر عدد الإفلاج والينابيع في دولة الامارات بحوالي ١٥٠ فلجاً يعمل منها حالياً ٤٧ فلجاً بشكل دائم ، وتعتبر أفلاج العين والراوودي من أهم أطول الأفلاج الموجودة في الدولة وأكثرها عمقاً .

تتمون دولة الامارات العربية المتحدة من مصدرين أساسين لمياه الشرب وهما المياه الجوفية التي تكون غالباً عذبة صالحة للشرب وتستغل مباشرة ، أو تكون مالحة نسبياً ، ويتم معالجتها كيميائياً . أما المصدر الآخر فهو مياه البحر ، والأمطار قليلة ومتوسط سقوطها لا يتعدى ٨٠ مم سنوياً وتسقط بين شهري نوفمبر وأبريل ، وأن كان أكثر من نصفها يسقط خلال شهري ديسمبر ويناير .

هذا وقد ارتفعت الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في دولة الامارات العربية المتحدة لتبلغ معدلات عالية جداً ، وذلك لتغطية النمو السكاني الكبير وما رافقه من نهضة عمرانية وزراعية وصناعية .

ومع تزايد الطلب على المياه العذبة لمختلف أغراض التنمية فان المخزون المائي الجوفي يعاني من تراجعات خطيرة وذلك نتيجة :

ــ استمرار انخفاض منسوب المياه الجوفية نتيجة الضخ الجائر وعدم شمولية القوانين التي تنظم حفر الآبار وطرق عملها .

ــ ارتفاع نسبة الاملاح في المياه الجوفية نتيجة لتداخل مياه البحر خصوصاً الآبار القريبة من الخليج .

ــ كذلك يلاحظ إرتفاع نسبة الفاقد الظاهري ( الفرق بين الكميات المنتجةوالكميات المستهلكة ) والذي يتمثل في المجالات التالية :

ــ كميات مستهلكة غير مقاسة لعديد من الاسباب .

ــ كميات مفقودة نتيجة لتسرب المياه لتلف في شبكات التوزيع أو إهمال في الصيانة أو لا مبالاة هدرية .

## دولة البحرين

ان معدل سقوط الامطار في البحرين منخفض كما هو الحال في بقية منطقة الخليج العربي ويصل متوسط الامطار سنوياً الى حوالي ٧٥ مم . ويلاحظ انتظام سقوط الامطار في ديسمبر ويناير وفبراير .

وموارد المياه في البحرين تكاد تكون مقصورة بالكامل على المياه الجوفية من مختلف النوعيات والتي تحتل ثلاث طبقات صخرية مائية ، وترتبط هذه المياه بشبكة جوفية كبيرة تأتي أصلا من مناطق في أراضي المملكة العربية السعودية . وعندما كان متوسط سقوط الامطار عالياً حافظ معدل تراكم المياه في منطقة تخزين المياه على مستوى أكبر للاحتفاظ بالمياه الجوفية عما هو عليه الحال في العصور الحديثة ، ونتيجة لذلك فقد استمر استنزاف مخزون المياه الجوفية لعدة سنوات نظراً لأن إجمالي

التصريف الطبيعي من الطبقات الصحراوية يتجاوز معدل تراكم المياه المتوفر حالياً وفقاً للظروف المناخية . كما يرتفع معدل استنزاف المياه الجوفية المخزونة نتيجة للاستخراج المستمر لمياه الآبار .

تنشأ موارد البحرين المائية المستمدة أساساً من المياه الجوفية من التخزين في الطبقات الصخرية الحاملة للماء ، وقد أثبتت الدراسات أن كمية المياه الجوفية المستخرجة طبيعياً وصناعياً تتجاوز كميات المياه المتراكمة المتاحة ، وأن معدل التراكم غير كاف للسماح بأي تطوير للمياه الجوفية بل والاكثر من هذا فان كميات المياه المتاحة للتطوير سوف تعتمد على معدل الاستنفاذ المستمر للمخزون وهذا يعتمد على معدل احلال المياه المالحة محل المياه العذبة المستنفذة .

وتختلف نوعية المياه الجوفية في البحرين اختلافاً كبيراً وتصبح هذه المياه أكثر ملوحة في الاتجاه الجنوبي الشرقي .

وتتركز العيون في البحرين في الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية وقد كان مجموع تصريف المياه في البحرين سواء من العيون أو الآبار ١٨٢ مليون متر مكعب عام ١٩٧٦ ولكنه انخفض الى ١٤٨ مليون متر مكعب عام ١٩٧٩ .

ولقد أدى الارتفاع المستمر في مستوى معيشة سكان البحرين والتوسع في العمران والنشاط الصناعي إلى زيادة الطلب على المياه العذبة ، كما أن التدهور المستمر في موارد المياه الجوفية في جزيرة سترة ، دفع دولة البحرين إلى انشاء محطة لتحلية المياه في جزيرة سترة ، وقد كان انتاجها ٥ مليون متر مكعب يومياً .

وفي العام الحالي عند استكمال وحدات التقطير سيرتفع انتاجها الى ٢٥ مليون متر مكعب ، وهذا إلى جانب المشروع القائم حالياً في سترة والذي يخلط المياه الجوفية بمياه البحر المقطرة .

## دولة قطـــــر

خلال الفترة الممتدة بين اقامة أول محطة لتقطير مياه البحر عام ١٩٥٤ واستكمال جميع مرافق وتجهيزات محطة رأس أبو فنطاس تم انجاز العديد من مشاريع التحلية في قطر ، أبرزها اقامة المحطة المركزية في رأس أبو عبود عام ١٩٦٣ بطاقة انتاجية قدرها ١,٥ مليون جالون يومياً . أما محطة رأس أبو فنطاس فقد افتتحت عام ١٩٧٧ وشهدت أيضاً تطويرات مستمرة إلى أن بلغت طاقتها الانتاجية عام ١٩٨٣ (٣٢) مليون جالون مما يرفع الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في قطر إلى ٤٠ مليون جالون يومياً .. وقد عززت هذه الكمية عام ١٩٨٣ بما يزيد على ١١٧٢ مليون جالون من المياه المستخرجة من الآبار الجوفية في مختلف أنحاء قطر ويبلغ معدل سقوط الأمطار في شبه جزيرة قطر ٨٠ مليمترا ويتجمع بعضها في روضات يبلغ عددها (٨٥٠) منخفضاً مستديرة الشكل .

أما المنخفضات في شمال قطر فتمتلئ بالرواسب الطينية الى عمق ١١/١ متر في الجنوب وهذه المنخفضات تأخذ أشكال فوهات البراكين وتلعب دوراً في تغذية المخزون من المياه الجوفية وبذلك تعوض جزءاً من الاستهلاك الاستنزافي لهذه المياه .

ــ المياه الجوفية الحفرية :

وهناك حوضان جوفيان في دولة قطر :

ــ الحوض الجوفي الشمالي ويشمل حوالي ٢٠٪ من المساحة الكلية ويقدر المخزون الجوفي في هذا الحوض بحوالى ٢٥٠٠ مليون متر مكعب .

ــ الحوض الجوفي الجنوبي ويمثل هذا الحوض أكثر من نصف مساحة شبه جزيرة قطر ويحتوي على مياه نسبة الملوحة فيها عالية .

ــ تحلية مياه البحر والتي تبلغ طاقتها الانتاجية القصوى ٤٨ مليون جالون يومياً .

ــ مياه المجاري المعالجة:يبلغ التصريف اليومي لمحطة المجاري في منطقة النعيجة حوالي ٢٠,٠٠٠ متر مكعب يومياً أي ٤,٤٠ مليون جالون يومياً تستخدم في ري أشجار الظل وحدائق الدوحة .

وقد أدخل عليها تطوير جديد مؤخراً ضاعف من قدرتها على التصريف اليومي .

## سلطنة عمان

تعتمد سلطنة عمان على المياه الجارية في أوديتها التي تنبع من مرتفعات عمان وكذلك الامطار التي تسقط على الجبل الاخضر معظم شهور العام ، ويضاف إلى ذلك المياه الجوفية السطحية والمياه الجوفية الحفرية .

وهناك العديد من الأودية التي تصب في خليج عمان وتقع في نطاق السلطنة وهذه الأودية تجري في سهل الباطنة وعن طريق المياه الجوفية السطحية التي تتسرب في بطون هذه الأودية من الامطار . ويعتمد النشاط الزراعي للسكان على طول سهل الباطنة من شيناس شمالاً حتى مسقط جنوباً ، حيث تقترب مرتفعات عمان من مياه خليج عمان معلنة انتهاء سهل الباطنة في الجنوب ، وهنا يقوم الانتاج الزراعي على مياه الآبار . وأهم هذه الأودية :

وادي جزي وتشارك فيه دولة الامارات (مدينة العين) ، وادي الحواسنة ، وادي الفرعة ، وادي سمايل ، وادي الفلج .

ويعتمد سهل الباطنة سواء المدن أو القرى أو الانتاج الزراعي على الآبار بينما يعتمد داخل عمان على الافلاج .

ويقدر انتاج المياه الجوفية في سلطنة عمان أوائل الثمانينات بـ ٤٣٠ مليون متر مكعب سنوياً .

ولمواجهة الضغط السكاني ومواكبته لخطط التنمية كان لابد من التوجه للبحر فأقيمت أول محطة لتحلية المياه في مسقط بطاقة انتاجية قدرها ٤ مليون جالون يومياً .

## الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائيـة

وتجدر هنا الاشارة إلى الندوة التي عقدت في جامعة الكويت بدعوة من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في مارس ١٩٨١ . تحت عنوان : الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية .

## خاتمة

يقول الدكتور محمد الرميحي :

« استراتيجياً ــ أكاد أقول ــ إن الماء أهم لنا من أي شئ آخر ، ومع ذلك فما زال في أدنى قائمة أولوياتنا القومية ... ولا نذكره في خططنا الاقتصادية الا لماماً . »

الماء إذن قضية محورية ، بل قضية القضايا ، والعالم مهدد بنقص المياه ، فما بالنا نحن العرب على وجه العموم ، وما بال دول مجلس التعاون على وجه الخصوص ؟

دون أي شك هناك جهود ضخمة تبذلها دول مجلس التعاون بهدف توفير ما يكفي من المياه الصالحة للشرب والاستخدامات الأخرى كري المزروعات وغير ذلك .

أخيراً فاننا نرى أن تقوم اللجنة صاحبة العلاقة في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالتعاون مع الجهات المختصة بالتحضير لندوة علمية متخصصة تحت عنوان : حاضر ومستقبل الموارد المائية في دول مجلس التعاون ــ رؤية استراتيجية . وذلك كمتابعة للاهتمام الذي توليه دول المجلس على هذا الصعيد .

بسام طالب

المراجع :

(١) مشاكل الماء الدولية : المهندس وجيه السمان الخفجي اكتوبر ١٩٨٤ .

(٢) كتاب التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي الدكتور محمد السيد عبدالسلام ــ عالم المعرفة .

(٣) كتاب بيئة الصحاري الدافئة : ا. س . جودي و . ج . ولكنسون ترجمة الدكتور علي البنا .

(٤) الأراضي الجافة : كنيث والتون ، ترجمة الدكتور علي عبدالوهاب شاهين

(٥) العربي : العدد ٣١٨ ــ مايو ١٩٨٥ . المياه العربية وصراع الوجود . استطلاع سليمان الشيخ .

(٦) الدكتور محمد الرميحي : المياه العربية وحديث عن الخطر المستتر ــ مجلة العربي .

(٧) كتاب جغرافية الخليج . د . محمود متولي . د . محمود أبو العلا ــ مكتبة الفلاح .

(٨) الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية ــ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية .

# خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر

## غابة للنمور وغابة للأدباء

كان النمر قاعداً مع ابنه الصغير تحت أغصان شجرة الغابة الفسيحة الأرجاء فدنا منه الحمار، وقال متسائلاً بخوف: «أتأذن لي بالتكلم معك؟».

فقال النمر وهو يتثاءب: «تكلم، فالقوانين تكفل لكل مواطن حرية الكلام». قال الحمار: «أنا تجولت في الغابة، ولم أترك مكاناً فيها لم أزره، وقابلت كل من يعيش فيها...».

فقاطعه النمر قائلاً بنزق: «أتريد أن تخبرني أنك حمار سائح؟». قال الحمار وقد تعاظم خوفه: «كل ما أبغيه هو أن أنقل اليك رأيي فيك». قال النمر بسخرية: «هيا تكرم باسماعي رأيك في، وسأصاب بالزكام حتماً اذا لم أسمعه».

قال الحمار: «ما سأقوله لك ليس نفاقاً ولا مجاملة ولا رياء بل هو الحقيقة وحدها، ولا أبغي من قولها لا مكسباً ولا مغنماً».

قال النمر بسأم: «قل ما تريد بايجاز ولا تتحدث كالأدباء العرب حين يستخدمون مليون كلمة ليقولوا فقط إن السماء زرقاء».

قال الحمار: «ما أبغي قوله هو أنك الأقوى والأنبل والأشجع، ولا أحد في الغابة يضارعك أو يستحق أن يقارن حتى بذيلك. ولذا فأنا معجب بك اعجاباً أعجز عن وصفه».

ما ان سمع النمر ما قاله الحمار حتى غضب غضباً شديداً، ووثب عليه وثبة ضارية طرحته أرضاً وأهلكته.

تعجب ابن النمر، وقال لأبيه: «لم يقل الحمار سوى الكلام الحسن، ولم يفعل ما يستحق أن ينتهي من أجله مثل هذه النهاية السيئة».

فقال النمر حانقاً مؤنباً: «لو لم تكن صغير السن، صغير العقل، لأدركت أن اعجاب حمار بنمر هو العار الذي لا يمحوه سوى الدم».

وصمت النمر لحظات مفكراً، ثم قال لابنه بوقار: «فلتعلم يا بني أن النمر الجدير بالاعجاب حقاً هو ذاك الذي تعجب به النمور مثله لا الحمير».

فقال الابن متسائلاً بدهشة: «ولماذا لا يفعل الأدباء مثلما فعلت بالحمار حين يمتدحهم نقاد تافهون جهلة».

فضحك النمر وأجاب قائلاً: «لأن غابة النمور تختلف عن غابات الأدباء، ففي غابات الأدباء يحظى بالترحيب والتقدير كل مديح حتى ولو جاء من جرو، أما النقد النزيه المخلص فيعامل صاحبه بوصفه عدواً ينبغي له أن يصرع ويدفن في أسرع وقت».

## رجل نسي أنه كان طفلاً

كان أحد الأطفال شديد الشبه بعصفور دوري صغير مرح طائش. وقد نظر يوماً إلى السماء فرأى غيمة تعبر الفضاء الأزرق كأنها طير ضخم له العديد من الأجنحة، فحدق اليها باعجاب، ثم قال لها بصوت متوسل: «احك لي حكاية. فأنت دائمة الرحيل من بلد إلى بلد، ولابد من أنك تعرفين الكثير من الحكايات».

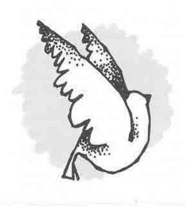
فقالت الغيمة للطفل بلهجة موبخة: «ما هذا الطلب الذي لا يطلبه سوى أبله؟ عمل الغيمة هو أن تمطر لا أن تسلي الصغار وتروي لهم الحكايات. اذا لم أمطر جعت، فأي هو الأفضل لك: أن تشبع خبزاً وفاكهة وخضراوات أو أن تسمع حكاية؟».

فحزن الطفل لأن الغيمة رفضت تلبية رجائه، ثم تعاقبت السنون، وكبر الطفل، وأصبح رجلاً، وصار مشهوراً بثرائه.

وفي يوم من الأيام، نظر الرجل مصادفة إلى السماء، فأبصر غيمة. قالت الغيمة للرجل الذي كان طفلاً: «أنا أعرف أروع حكاية في العالم، فهل ترغب في سماعها؟».

فتجهم وجه الرجل الذي كان فيما مضى من السنين طفلاً، وقال للغيمة بغضب: «وظيفتك فقط هي أن تمطري وتروي بمائك ما أملك من الأراضي حتى تزداد ثروتي حين يقبل موسم الحصاد».

فاغتاظت الغيمة، وصممت على ألا تمطر، ولكنها عندما امتلأت بالماء وجدت نفسها مرغمة على أن تمطر، فأمطرت مطراً غزيراً، وكانت سبباً في ازدياد ثروات الذين لايحبون الانصات لحكايات الغيوم، ونسوا أنهم كانوا يوماً أطفالاً.



## ليس لها إلا مهنة واحدة

جاءت عقارب صغيرة إلى جدها العجوز ، وقلن له : « لدينا مشكلة عويصة ، ونحتاج إلى نصحك » .

قال الجد : « وما هي تلك المشكلة ؟ » .

قالت العقارب الصغيرة : « في كل يوم نسمع الأطفال يحكون عن المهن التي يحلمون بأن يعملوا فيها حين يصحبون كبارا ، ومشكلتنا هي أننا لاندري أية مهنة نختار حين نكبر » .

فقال الجد : « لامبرر لأية حيرة ، فالعقارب كافة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ليست لها سوى مهنة واحدة فقط ، وهي أن تلسع وتميت بسمومها » .

وفيما بعد ، لما كبرت العقارب الصغيرة ، عمل بعضها في المجال الفكري والأدبي ، وعمل بعضها الآخر في المجال الاعلامي ، فبرهنت أفعالها على صدق كلام الجد العجوز ، وكانت ضحاياها شعوباً لا أفراداً .

## لماذا تخلت الضفادع عن صمتها ؟

في قديم الزمان ، كانت الضفادع محبة للصمت ، ولكنها تنبهت يوماً إلى أن الناس يزدرونها ، ويمنحون حبهم للطيور المغردة ، فنقمت على الناس ، وحسدت الطيور . ولما كانت الضفادع تحب الاجتماعات ولا تتخذ قراراً إلا بعد جدال ومشاورات مطولة ، فقد عقدت اجتماعاً جماهيرياً مكرساً لبحث موقف الناس منها ومن الطيور المغردة .

وفي الاجتماع تكلمت ضفادع كثيرة ، بعضها اتهم الناس بالجهل وفساد الذوق ، وبعضها الآخر اتهم الناس بالتمييز العنصري ، ولكن ضفدعاً اشتهر بحكمته قال للضفادع : « الناس ينصتون لأصوات الطيور المغردة ويعجبون بأصواتها لأن أصواتها جميلة حقاً وتستحق الاعجاب ، ولكنهم لو استمعوا إلى أصوات أجمل لنبذوا الطيور واهتموا فقط بصيدها من أجل أكل لحومها » .

قالت الضفادع بحيرة : « وما الحل ؟ » .

قال الضفدع الحكيم : « الحل موجود لدينا ، فأصواتنا جميلة وأروع من أصوات الطيور المغردة ، ولكننا لا نستخدمهـا ولانستغلها الاستغلال الناجح ، ولو فعلنا لنلنا اعجاب الناس وحبهم وتصفيقهم » .

واتخذت الضفادع قراراً بالاجماع يقضي بالتخلي عن الصمت ، ونفذت قرارها ، ولجأت إلى النقيق ليلاً ونهاراً ، فلم يتبدل موقف الناس ، وظلوا يزدرون الضفادع ، ويحبون الطيور المغردة ، فازداد حقد الضفادع على الطيور ، ولكنها لم تنتبه إلى أن تغريد الطيور كان السبب في حرمانها من حريتها ، وأدى إلى سجن الكثير من الطيور المغردة في أقفاص ، ولا ذنب لها سوى أن أصواتها جميلة .

## ما جرى لجحا مع زوجته وحماره

عاد جحا إلى بيته ، فوجد زوجته عابسة الوجه ، فسألها : « ما بك ؟ » .

قالت : « لا تسألني بل اسأل حمارك الذي تركته مربوطاً بباب البيت » .

قال جحا : « ماذا فعل ؟ هل رفسك أو عضك ؟ » .

قالت : « مررت بجانبه ، فغازلني وقال لي إني أجمل من قمر » .

وكانت زوجة جحا قبيحة الوجه ، سيئة الطباع ، فقال لها جحا مستغرباً : « أمتأكدة أنه قال لك إنك أجمل من قمر ؟ » .

قالت زوجة جحا : « وقال لي أيضاً إن الربيع يأتي في السنة مرة واحدة ، أما أنا فربيع دائم » .

فبادر جحا إلى اختيار أغلظ عصا من عصيه ، وخرج من البيت ، وانهال ضرباً بالعصا على الحمار ، فتجمع الناس حولهما ، وقال رجل لجحا : « ارحم حمارك يا جحا » .

فقال جحا وهو مستمر في ضرب حماره : « الحمار حماري ، ولا يحق لأحد التدخل في شؤوني » .

قال الرجل : « وماذا فعل حتى تضربه مثل هذا الضرب القاسي ؟ » .

قال جحا : « لقد غازل زوجتي وقال لها ألفاظاً نابية » .

فقال الرجل لجحا : « كن عاقلاً يا جحا . الحمار لا يتكلم » .

قال جحا : « أنا أعرف أنه لايتكلم ، ولكنه يبدو أنه قد تكلم فعلاً ، وما قاله لزوجتي لا يقوله سوى حمار » .

قال الرجل : « اذا كنت غاضباً على حمارك فلا تضربه . فقد يموت وتخسر ما دفعته ثمناً له بينما اذا بعته تخلصت منه واسترجعت أموالك » .

ففكر جحا في كلام الرجل فرأى أنه صائب ، فاقتاد حماره إلى السوق ، وراح يصيح : « من يشتري هذا الحصان الأصيل صاحب الحسب والنسب ؟ » .

فتحلق حوله عدد كبير من الناس ، وقالوا له هازئين : « هذا حمار وليس حصاناً » .

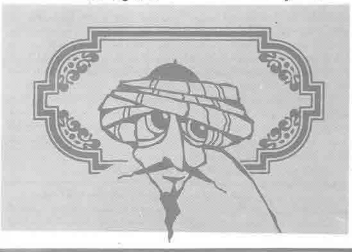
قال جحا بثقة : « انه حصان . انظروا اليه . انه يمشي على أربع والحصان يمشي على أربع . له ذيل وللحصان ذيل . له أذناه وللحصان أذنان » .

عندئذ نهق الحمار ، فصاح الناس بجحا : « وهذا الصوت المنكر؟ أليس صوت حمار؟ » .

فقال جحا : « اذا كانت المشكلة فقط هي مشكلة الصوت المنكر فلا يحق لكم الاعتراض لأنكم تستمعون كل يوم إلى أصوات أبشع ولا تستنكرون بل تصفقون إعجاباً وتقديراً » .

ويقال إن جحا قد نجح في بيع حماره بوصفه حصاناً ، ويقال إن المشتري لم يكن بالمغبون اذ فاز الحمار في أكثر من سباق للجياد الأصيلة .

ولما علم جحا بما جرى لم يستغرب أو يندم ، فهو يعيش في عصر يسبق فيه الحمار أسرع حصان ، والسبب يرجع إلى أن الدعاية قد تقدمت وتطورت أساليبها ، وباتت تقنع الحصان بأنه حمار ، وتقنع الحمار بأنه حصان .





# نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب !!

الجنرال متتياهو بيليد

بقلم : عصام شريح

**يمثل الجنرال متتياهو بيليد ، نموذجاً فريداً بين السياسيين في الكيان الصهيوني ، ربما ليس له شبيه ، باستثناء السياسي والصحفي « أوري أفنيري » ، الذى يشترك معه في أفكار شبه موحدة ، حول مستقبل الكيان الصهيوني « غير السار » ، وضرورة الانعطاف بسياسات هذا الكيان من الحرب والعدوان والتوسع والاستيطان ، الى « السلام » مع العرب !!**



لكن من المهم أن نلاحظ قبل كل شيء ، أن بروز تيارات مستحدثة أو جديدة ، أو مختلفة ، في أى نظام عقيدي أو شمولي ــ والنظام الصهيوني في طليعة هذه الأنظمة ــ إنما هو نتيجة منطقية للمآزق الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التى يواجهها هذا النظام في مرحلة معينة من مراحل وجوده ، أو نموه ، ومن هذه الزاوية فقط ، يمكن فهم التيار ( المحدود جداً ) الذى يمثله الجنرال بيليد وزميله أفنيري ، وان كان لكل منهما أسبابه وفهمه المختلف أحياناً عن الآخر في تفسير الوقائع والأحداث والتاريخ ... ومن هنا أيضاً ، ولأن التيار الذى يمثله الجنرال بيليد ، ليس حدثاً فردياً ، أو طفرة شخصية ، فإن من المهم جداً ، أن نقرأ ونتابع ونتعمق فيما وراء السطور ، في أفكار هذا الجنرال والسياسي .

## التمييز بين فترتين

في عرضه لأفكاره حول الصراع العربي ــ الصهيوني ، يميز الجنرال بيليد بين فترتين مرت بهما السياسة الاسرائيلية : الأولى تمتد ما بين عام ١٩٤٨ ( قيام الكيان الصهيوني ) وعام ١٩٦٧ ، حتى حرب حزيران ( يونيو ) ، حيث تميزت هذه الفترة بالتظاهر بالسلام مع العرب ، في حين كان العرب يعلنون رسمياً وبشكل متواصل ، رفضهم المطلق لوجود « اسرائيل » واغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية ، وكان « ملهم » هذا الموقف أول رئيس للحكومة في الكيان الصهيوني « دافيد بن جوريون » ، وفي رأي الجنرال بيليد فإن هذا الموقف لم يوضع على المحك أبداً ، ولو أن العرب غيروا موقفهم القائم على الرفض المطلق لوجود « اسرائيل » ، لكانوا تمكنوا من فضح سياسة بن جوريون هذه .

وبين الرفض العربى المطلق ، والتظاهر الاسرائيلي بالسلام ، تمكن الصهاينة بقيادة بن جوريون ، من « التمتع بعطف الغرب ورضاه » ، وتحقيق برنامج طموح خلال العشرين سنة الأولى من اغتصاب فلسطين ، ويعدد الجنرال بيليد خمسة انجازات رئيسية حققتها القيادة الصهيونية خلال هذه الفترة ، وهي :

١ ــ استيعاب هجرة يهودية كثيفة من جميع أنحاء العالم ، وخاصة يهود البلاد العربية .

٢ ــ تحقيق تنمية صناعية ذات بنية منتظمة وحديثة ، تستند على العلم .

٣ ــ إنشاء نظام متطور جداً للخدمات الاجتماعية ، لمواجهة المشاكل الناجمة عن تصاعد عدد المهاجرين اليهود بشكل كثيف .

٤ ــ وضع نظام تعليمي متقدم ، يكفل تنمية قدرات علمية وتكنولوجية عالية ، رغم انخفاض المستوى التعليمي للمهاجرين في بادىء الأمر .

٥ ــ إنشاء جيش عصري ، قادر على مواجهة السياسات العربية .

ويلاحظ بيليد أن الدول العربية ، كانت تهدد « اسرائيل » خلال السنين العشرين الأولى ، بخوض حروب معها ، بيد أنها لم تنفذ تهديداتها هذه أبداً ، وهو ما يعني أن مزاعم « اسرائيل » من أنها كانت مهددة أبداً من العرب ، لم تكن واقعية ، وكان العرب يزودون « اسرائيل » خلال تلك الفترة بالمبررات الكافية للحصول على مساعدات عسكرية ومالية من الدول الغربية ، وعلى دعم مالي وسياسي شبه مطلق من يهود العالم ، كما أن هذه المزاعم ، مكنت الحكومات الاسرائيلية



ظاهرة النزوح عن الكيان الصهيوني



أوري أفنيري : متعطف السلام



بن جوريون : سياسة السلام الكاذب



« العمالية » المتعاقبة ، من تعبئة المستوطنين الصهاينة وحشد طاقاتهم فى كل مجال ، وخاصة المجال العسكرى العدوانى ، وتحقيق تماسك قوي بين المستوطنين اليهود المتنوعي الأصل العرقي والوضع الثقافي .. وهذا الوضع هو الذي مكن القادة الصهاينة من تنفيذ سياساتهم « العدوانية » ضد العرب ، بالاستناد الى أخطار خيالية ، وقد أثبتت النتائج التى أسفرت عنها حرب الخامس من حزيران ( يونيو ) من عام ١٩٦٧ ، أن ما يسمى « بأمن اسرائيل » ، كان مضموناً تماماً .

أما الفترة الثانية ، فهي تلك التي بدأت بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وقد تميزت هذه الفترة بنوع من الارتباك فى السياسة الاسرائيلية ، أدى الى تزايد الاتجاه الفاشي والتوسعي على حساب الأرض العربية ، أما سبب الارتباك ، فيعود الى تبدل ملحوظ طرأ على الموقف العربى ، بالنسبة لاسرائيل » ، حيث لم يعد موقفاً متصلباً ، وانما موقف القبول المشروط ، ( البيان الأمريكى ــ السوفيتي فى تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩٧٧ .. الخ ) . وقد أدى هذا الارتباك فى السياسة الاسرائيلية الى نمو مصطلحات سياسية جديدة ، تتسم بتحريف الحقائق والأهداف ، وكان آخر هذه المصطلحات العملية التى تمت ضد لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وأطلق عليها اسم « عملية سلام الجليل » .

بيد أن الجنرال بيليد يلاحظ فى هذه المرحلة ، أن التطورات الجديدة فى المنطقة ، وخاصة الموقف العربي « المشروط » من السلام ، قد أدى الى تجريد « اسرائيل » من فكرة « اللا بديل » التى كانت مسيطرة تماماً على عقول الاسرائيليين فى الفترة الأولى ، والتى كانت فحواها أنه لا بديل عن الحرب مع العرب الذين يرفضون وجود اسرائيل بشكل مطلق ، ويطلقون التهديدات المتواصلة لازالتها ... وهكذا نشأ عهد من « البدائل المتعددة » أمام الاسرائيليين ، يتعذر تحقيق إجماع بشأن أي منها ، وقد ترك هذا العهد بصماته على المستوطنين اليهود ، حيث بدأت عملية انحلال مزعجة تركت آثارها فى العديد من المجالات ، وكان أحد مظاهر هذه العملية ، أن الهجرة الكثيفة من دول العالم الى « اسرائيل » قد حل مكانها نزوح متصاعد من « اسرائيل » الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، كما أن الاتجاه الديني الشوفيني قد أخذ بالتنامي بشكل متصاعد ، وفى الوقت ذاته ، بدأ يلاحظ انحطاط فى فعالية الجيش الاسرائيلي ، كما ظهر فى حرب ١٩٧٣ ، « وحرب لبنان » ١٩٨٢ .

## اتجاهات جديدة

وازاء هذا الواقع ، الذي اتسم بضحالة روحية وفكرية مذهلة ، كما يقول الجنرال متتياهو بيليد ، تبلورت ثلاثة اتجاهات رئيسية فى التفكير السياسي الاسرائيلي ، وهى اتجاهات تتجاوز أحياناً كثيرة ، الحدود الحزبية ، بل إنها غالباً ما تتنافس داخل الأحزاب السياسية القائمة ، وهذه الاتجاهات هي : إتجاه يدعو الى فكرة « اسرائيل الكبرى ــ من الفرات الى النيل » ، واتجاه ينادي « باسرائيل ذات الحدود المعدلة أو المحسنة » ، واتجاه يدافع عن مبدأ عدم إجراء تغييرات إقليمية ــ أي « اسرائيل » بحدود عام ١٩٦٧ « قبل عدوان ٥ يونيو » « حزيران » .

## نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب !!



المستوطنون : توسع مستمر في الأرض العربية

يستند أصحاب الاتجاه الأول « اسرائيل الكبرى » ، الى زعمين اثنين ، ويقوم الزعم الأول على فكرة الوعد الذى أعطاه « يهوه » ــ إله اليهود ــ لليهود « بالعودة الى أرض الميعاد » . ومؤيدو هذه الفكرة ، هم فى الغالب من اليهود المتدينين ، الذين يطالبون بعدم التخلي طوعاً ، عن أي جزء من « أرض الميعاد » المزعومة ( والتي لا تعرف حدودها بالضبط وإن كان يشار إليها بالمنطقة الممتدة بين نهر الفرات فى العراق ، ونهر النيل فى مصر ) ، فى حال الاستيلاء عليها ، لأن ذلك يمثل إثماً أمام « يهوه » .

أما الزعم الثاني فيقوم على أساس شوفيني ، وهو ينادي بأن « عظمة اسرائيل » المزعومة ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوسع الاقليد ، وأصحاب هذا الاتجاه هم قادة الأحزاب الدينية وعصابات غوش إيمونيم وكاخ ، اضافة الى حزب الليكود وحزب « تحيا ــ النهضة » .

أما أصحاب الاتجاه الثاني « حدود محسنة » ، فيزعمون أن ضم بعض الأراضي العربية المحتلة ، وبشكل محدود ولكن غير نافذ إطلاقاً ، الى « اسرائيل » ، من شأنه أن يحسن الوضع الأمني للكيان الصهيوني فعلا ، بل ويسمح لهذا الكيان بأن يكون قابلا « للمصالحة » . وأصحاب هذا الاتجاه فى معظمهم ، من حزب العمل ، بيد أن من الملاحظ ، كما يقول الجنرال بيليد ، أن أصحاب الاتجاه الأول يلتقون مع أصحاب الاتجاه الثاني فى رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ويشير الى أن موقف جماعة حزب العمل من القضية الفلسطينية ، نابع من مفهومهم التوسعي الاقليمي ، فهم نظراً لمناداتهم بوجوب ضم جزء كبير من أراضى الضفة الغربية المحتلة ، فانهم يرون أن لا مكان للفلسطينيين فى الضفة ، ومن ثم ينتهون الى نتيجة ملتوية ، تقول بتقسيم الضفة بين « اسرائيل » والأردن ، زاعمين أن الأردن قد يسهل عليه التخلى عن نصف الضفة الغربية ، نظراً لاتساع أراضيه ، وامكانية استقرار الفلسطينيين المهجرين فيها .

وأما أصحاب الاتجاه الثالث ، وهو اتجاه محدود وصغير ، فينادون بأن حاجة « اسرائيل » الأساسية ، ليست ضم مزيد من الأراضي المحتلة ، وانما « السلام » ، وأن تحقيق ذلك ممكن اذا تخلت « اسرائيل » عن الأراضى العربية التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ ، وأصحاب هذا الاتجاه ، ومنهم الجنرال بيليد وأوري أفنيري و « حركة السلام الآن » وحركة « يوجد حدود » ، يرفضون فكرة « اسرائيل الكبرى » ، وفكرة « الحدود المحسنة » ، وجميع الادعاءات المستندة الى التوراة أو حجة الأمن ، وهم إذ وصلوا الى هذه النتيجة ، فانهم يرحبون بانشاء دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، كجزء مما يصفونه بخطة السلام التى تكفل الاعتراف المتبادل بين جميع الأطراف ، وتحقيق أمن معقول للجميع » .

### وهم السـلام !

ويخلص الجنرال بيليد من كل هذا ، الى وضع متشائم بالنسبة لامكانية تحقيق « السلام » بين العرب و « اسرائيل » ، ذلك لأن أصحاب الاتجاه الأول القائم على التوسع فى الأرض العربية ، من الفرات الى النيل ، يقبلون بالسلام أصلا ، وهم بالتالي لا يسعون إليه . أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين يطالبون بحدود محسنة ، وهم غالباً أعضاء فى حزب العمل ، فإن بينهم من ينادي بفكرة « اسرائيل الكبرى » ، وبينهم من ينادي بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وطالما أن تشكيلة حزب العمل تضم هذين التيارين المتناقضين ، اضافة الى التيار الرئيسي الذى ينادى بالحدود المحسنة ، فإن هذا الحزب لن يستطيع تغيير مواقفه المعلنة .

وإزاء هذا الواقع ، فان التغيير المنتظر فى الموقف الاسرائيلي من « السلام » مع العرب ، لن يأتي ، إلا اذا صعد أصحاب الاتجاه الثالث الى السلطة فى « اسرائيل » ، حيث يطالب هؤلاء ، بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، لكن الجنرال بيليد يقر ويعترف بأن وصول أصحاب هذا التيار الى الحكم أمر بعيد الاحتمال فى الوقت الحاضر ، وبالتالى فان أي أمل فى حصول تغيير فى الكيان الصهيوني ، من شأنه أن يسمح ببدء عملية « سلام » بمشاركة فلسطينية فعلية ، ما هو إلا مجرد وهم .

### بيليد و « السلام » ! !

بعد كل هذا ، لابد من طرح السؤال التالى : لماذا ينزع الجنرال متتياهو بيليد نحو السلام مع العرب ، ويعلن بوضوح قبوله بقيام دولة فلسطينية فى الأراضي المحتلة ؟؟ !

فى الواقع ــ وكما قلنا فى مقدمة هذه المقالة ــ فإن ظهور تيارات مختلفة فى عقيدة ما ، هو نتيجة منطقية لدخول هذه العقيدة فى دائرة المآزق ، حيث أن المأزق هو وحده الذى يحتم بروز طريقة جديدة فى التفكير والسلوك ، ومن هذا المنطلق يمكن فهم أفكار الجنرال بيليد ، الذى أشار أكثر من مرة الى خطورة المآزق التى تواجه « اسرائيل » ... فقد أكد « أن اسرائيل مزعزعة أمنياً بسبب تمسكها باحتلال الأراضي العربية » ، وانتقد سياسة بناء المستوطنات فى هذه الأراضي ، مشيراً الى أن الانفاق على هذه المستوطنات ، بلغ فى العام الماضي ستمائة مليون دولار ، كما أن غزو « اسرائيل » للبنان ، كلفها ثلاثة مليارات ومائتي مليون دولار ، وبالنسبة للأزمة الاقتصادية قال إن سببها يعود الى أن « اسرائيل » خصصت حوالى ثلاثين بالمئة من دخلها ، للنفقات العسكرية منذ عام ١٩٦٧ ،

مؤكداً أن الأزمات الاقتصادية التى تجتاح الكيان الصهيوني ، إنما ترتبط تماماً بالسياسة التى اتبعتها الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة منذ عدة سنوات ، حيث تنتهج « اسرائيل » سياسة لا تستطيع تطبيقها » . ويشير الجنرال بيليد الى ارتباط « الأمن » بالاقتصاد ، فيقول « إن الأمن قيمة قياسية ، وليس قيمة مجردة ، وعندما ترى دولة أن من الضروري زيادة نفقاتها الدفاعية من عشرة الى ثلاثين بالمائة ، من دخلها ، فإن من المؤكد أن ذلك مؤشر على انعدام شعور هذه الدولة بالأمن » .

ويضيف الجنرال بيليد أنه وغيره ، كانوا يفكرون قبل حرب عام ١٩٦٧ ، بطريقة تختلف عن التفكير بعد تلك الحرب ، ويقول ، إنه ذهب الى اسحق رابين فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقال له : « ان بامكاننا الآن حل القضية الفلسطينية ، وانهاء الصراع مع الدول العربية » ، لكن رابين طلب إليه ألا يرفع صوته ، لأن العرب سيطالبون اذا سمعوا هذا الكلام ، بالعودة الى « قرار التقسيم » ، وأكثر

**● غـزو إسرائيـل للبـنـان سـنة ١٩٨٢ كـلـفـهـا ثـلاثـة مليـارات ومائـتي مليـون دولار**

**● أفكار بيليـد الجديـدة دليـل عـلى وجـود مـأزق حقيـقي في الفكـر الصهيـوني**

من ذلك فإن بيليد ، يشير بشكل غير مباشر الى العلاقة بين أفكاره « الجديدة » ، ونشأته فى القدس ، فيقول : إنه عندما أصبح شاباً ، ازدادت رغبته فى تعلم اللغة العربية ، حيث عاش أصلاً فى مدينة القدس ، وتعلم فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة مختلطة من العرب واليهود ، ودرس اللغة العربية كلغة أساسية ، ويضيف : « وقد اقتنعت تماماً أن الشعب الفلسطيني هو الشعب الذي سأعيش الى جانبه » .

لكن من المهم جداً أن نميز بين موقف بيليد من « السلام مع العرب » ، وبين مسألة اغتصاب فلسطين ، والفكرة الصهيونية التى كانت السبب فى عملية الاغتصاب هذه ، فقد قال فى حوار مع مجلة « هعولام هزيه » الاسرائيلية ، إنه وإن كان ينادي بالسلام والاعتراف بين « اسرائيل » ودولة فلسطينية فى الضفة والقطاع المحتلين ، إلا أنه يرفض تماماً الحديث عن الماضي » ، أي أنه يرفض مناقشة عملية اغتصاب فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، ويعتبر هذا الاغتصاب أمراً واقعاً ، لا مجال لاعادة النظر فيه .

لكن ... وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأفكار التى يطرحها الجنرال بيليد تستأهل وقفة تأمل منا ، لأن بروز مثل هذه الأفكار ، هو دليل كما قلنا على وجود مأزق فى الفكر الصهيوني ، خاصة وأن الجنرال بيليد نفسه يقول ، إنه لم يفكر بهذه الطريقة الا بعد عام ١٩٦٧ ، والأرجح بعد حرب ١٩٧٣ ، التى كادت « اسرائيل » أن تسحق فيها . ونعتقد أن بروز أفكار مثل أفكار الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد ، يجب أن تلقى البحث عربياً ، كما تتطلب من ذوي الشأن السياسي والفكري التمحيص والعمل على الاستفادة منها .

**عصـام شريح**

## مـــــن هــــو؟

ولد متتياهو بيليد بمدينة حيفا الفلسطينية سنة ١٩٢٣ ، وانضم الى عصابة الهاغاناه سنة ١٩٤١ ، وأنهى فيها دورة قادة فصائل ، سنة ١٩٤٣ ، ثم توجه الى بريطانيا سنة ١٩٤٦ لدراسة الحقوق فى جامعة لندن ، لكنه استدعي عند اندلاع حرب عام ١٩٤٨ ، وعين قائداً لفصيلة فى القدس ، ومن ثم قائداً لفصيلة فى « لواء غفعاتي » ، وأصبح خلال فترة الحرب نائباً لقائد كتيبة فى اللواء نفسه . وقد اشترك فى معارك المثلث . وفى عام ١٩٤٩ ، أنهى بيليد دورة قادة كتائب ، ثم خدم فى هيئة الأركان العامة للجيش الاسرائيلي ، وتوجه بعدها الى بريطانيا ، حيث التحق بدورة ضباط أركان ، وتخرج منها فى عام ١٩٥٢ ، ولدى عودته ، عين ضمن طاقم الاعداد لانشاء مدرسة القيادة والأركان ، وبعد أن درب فى هذه المدرسة ، نقل الى قسم التدريب فى هيئة الأركان العامة ، وخدم فيه حتى عام ١٩٥٦ . وفى أعقاب حرب ذلك العام ، عين متتياهو بيليد قائداً لمنطقة شرم الشيخ ، ثم حاكماً عسكرياً لقطاع غزة ، وفى صيف عام ١٩٥٧ ، عين قائداً للواء القدس ، وخلال فترة ١٩٥٩ ــ ١٩٦١ ، تولى منصباً كبيراً فى هيئة الأركان العامة ، وفى عام ١٩٦١ ، التحق بالجامعة العبرية بالقدس ، حيث درس فيها العلوم الشرقية . وفى نيسان ( ابريل ) ١٩٦٣ ، عين مساعداً لنائب وزير الدفاع لشؤون التسليح . ثم عين فى نيسان ( ابريل ) ١٩٦٤ ، رئيساً لشعبة المستودعات ورفع وهو فى هذا المنصب الى رتبة لواء فى أواخر آذار ( مارس ) ١٩٦٥ ، وأنهى متتياهو بيليد خدمته فى هذا المنصب ، وترك الجيش الاسرائيلي بتاريخ ١ ــ ٧ ــ ١٩٦٨ ، ثم سافر الى الولايات المتحدة ، حيث تابع دراسة الأدب العربي ، وحصل على درجة دكتوراه فى هذا الأدب من جامعة لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا فى عام ١٩٧١ ، وعاد فى نفس هذا العام ، حيث عين محاضراً فى الأدب العربي بجامعة تل ابيب فى أواخر ١٩٧١ ، الى أن شغل منصب رئيس قسم الأدب العربي بهذه الجامعة منذ عام ١٩٧٤ ، وحتى عام ١٩٧٧ ، وخلال الفترة من ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ ، عمل محاضراً وباحثاً بجامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة ، وفى فترة ١٩٨١ ــ ١٩٨٢ ، عمل محاضراً ( ضيفاً ) بجامعة السوربون بباريس .

وفى عام ١٩٧٥ ، شارك بيليد مع « التقدميين العرب واليهود » ، فى تأسيس ما يسمى « بمجلس السلام الاسرائيلي ــ الفلسطيني » ، الذى اتخذ شعاراً له العلم الفلسطيني الى جانب « العلم الاسرائيلي » . وكان الجنرال بيليد عضواً فى قيادة حزب شيلي ( معنى شيلي : السلام لاسرائيل ) قبل ذلك ، لكنه انشق عنه مع أوري أفنيري ويعقوب أرنون ، فى أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان فى حزيران ( يونيو ) من عام ١٩٨٢ ، بسبب خلافات فى الرأي بين قيـاديي هذا الحزب حول تقييم عملية الغزو . وفى ٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٨٤ ، شارك الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد فى المهرجان الجماهيرى الذى أقامته « الحركة التقدمية » بمدينة الناصرة بمناسبة « يوم الأرض » .

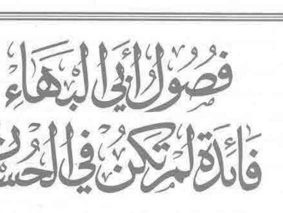
كتب بيليد منذ عام ١٩٧٧ وحتى اليوم العديد من الدراسات فى الأدب العربي ، كما كتب العديد من المقالات السياسية ، عارضاً من خلالها رأيه فى ضرورة تسوية الصراع العربي ــ الاسرائيلي بالطرق السلمية . ومع أن بيليد ولد فى حيفا إلا أنه عاش معظم أيامه فى القدس التى أنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، وهو يقيم منذ بضع سنوات فى مستوطنة « موتسا » غربي القدس المحتلة . وهو متزوج وله ولدان ، وهو عضو فى الكنيست عن « القائمة التقدمية للسلام » التى يرأسها المحامي العربي محمد ميعاري . كما شكل الجنرال بيليد حزباً فى الفترة الأخيرة ، أطلق عليه اسم « البديل » .





فى العدد القادم يواصل الدكتور يحيى الجمل كتابة قصة حياة عادية.






بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

فصول أبي البهاء لا تنتهي . ولست أدري أهو من سوء حظي أو من حسنه أن لا تتجاوز مشاركتي له في أحداث هذه الفصول حد روايتها عنه ، أو روايتها عن أصحابه الذين هم في غالب الأحيان أصحابي أو ممن يمتون لي بصلة قربى . إنه معي شخصياً جاد كل الجد . وحين يلقاني في مدينته الكبيرة يبادر إلى التطوع لمساعدتي فيما أنا محتاج إليه أو إلى نصحي فيما أريد شراءه ، حتى لأعجب أحياناً كيف تتحول فيه هذه الأريحية وذلك الاندفاع في إنجاز ما يتطوع به إلى قدرة على الضحك على ذقون السذج أو السخرية المؤذية بمن يراهم يستحقون أن ينزل بهم تنكيله .

أغلب فصوله تنطلق من وحي الساعة التي هو فيها . دخل ذات مرة إلى ملهى بالاس في رفقة قريبي إسماعيل ،فلفت نظره في وقفته على الباب مجموعة من أبناء بلدتنا ، وبعضهم من معارفه ، يحيط أفرادها بثيابهم البدوية بمدني أفندي يبدو أنه ضيفهم ، حول مائدة عامرة بأصناف المأكول والمشروب . سأل أبو البهاء إسماعيل عمن يكون هذا المحتفى به فقال له : إنه الأستاذ زيدان ، مدير المصرف الزراعي في بلدتنا . من عادته في مثل هذا اليوم ، مساء الخميس ليلة الجمعة ، أن يقدم من البلدة إلى المدينة ليسهر وينبسط في هذا الملهى على حساب جماعتنا . لاتنس أن رقابهم ، في هذه السنة السيئة ، بيده . فهو الذي في مكنته أن يقرضهم من أموال المصرف ما يستطيعون به سداد ديونهم ومتابعة أعمالهم الزراعية إلى أن يحين قطاف الموسم القادم . إذا رأيتهم يغدقون عليه من كرمهم فما ذاك منهم غير تزلف ونفاق حرصاً على رضاه عنهم ...

في تلك اللحظة ولدت فكرة العبث بمدير المصرف هذا في رأس أبي البهاء . تقدم إلى الشلة الملتفة حول الأستاذ زيدان ، فهتف به بعضهم محيياً ودعوه إلى مجالستهم . إلا أن أبا البهاء تجاهل الدعوة وراح يجيل نظره في جوانب الملهى كمن يبحث عن انسان بعينه .ولما ألح عليه أحدهم بالدعوة قال إنه كان يتمنى أن يشاركهم سهرتهم لولا أنه يبحث عن سامي بك وكان يتوقع أن يراه هنا . سألوه : من سامي بك هذا ؟ فأجاب بقوله : ألا تعرفونه ؟ إنه رئيس مفتشي المصارف الزراعية الجديد ... جاء لتوه من العاصمة وهو في طريقه إلى بلدتكم ... الأخبار كثيرة في الادارة المركزية عن أن الأمور في فرع المصرف الزراعي عندكم ليست على ما يرام ، فهو قادم ليجري تفتيشاً مفاجئاً على الحسابات فيه ..

وما حدث عند هذا أن العيون كلها تحولت إلى الأستاذ زيدان . غص هذا بلقمته في حلقه ، وهب واقفاً تاركاً أصناف المأكول والمشروب على حالها فوق المائدة ، وهرول ليركب أول سيارة متجهة إلى مقر عمله في البلدة الصغيرة التي تبعد مائتي كيلومتر عن ملهى بالاس في المدينة الكبيرة . وفي تلك البلدة سيتقلب الأستاذ زيدان على مثل الجمر في انتظار المفتش الذي لن يقدم مطلقاً . فسامي بك ، هذا المفتش ، ومهمته الموهومة لم يكونا غير اختراع من اختراعات أبي البهاء في الساعة التي أحنقه فيها أن يرى مدير المصرف يأكل ويشرب ويلهو على حساب المزارعين المساكين الذين يشقون بكدحهم وراء لقمة العيش بينما يمسك هو بخناقهم ويتحكم بمصائرهم .

وفصل أبي البهاء مع حسين الخليف قريب مما فعله بالأستاذ زيدان في أن فكرته كانت بنت ساعتها . إلا أن دافعه فيما فعله بحسين الخليف كان مختلفاً عما دفعه للعبث بالأستاذ زيدان . كما أن حسين الخليف ، على الرغم من كونه ضحية الفصل ، كان أحسن حظاً من مدير المصرف الزراعي ، فهو على الأقل قد حصل مما عبث به أبو البهاء على فائدة له لم تكن قبل في حسابه .

أخبرني بهذا الفصل الأخير صديقنا أبو النبيل ، وكان قد قرأ ما كتبته عن أيام عسر أبي البهاء حين تقمص شخصية المستر جورج ب . سمعان ليظفر من بعض مزارعينا السذج بعشاء وعلبتي سيكارات . قال أبو النبيل :

ـ حدث هذا في نفس السنة السيئة التي كان موسمنا فيها من زراعة القطن بالغ السوء . قصدنا كلنا المدينة الكبيرة نبحث فيها عمن يقرضنا شيئاً من المال لسداد أقساط ديون البنوك المستحقة علينا ، وحسين الخليف واحد منا . أنت تعرف حسين الخليف ، رجل بسيط المدارك فيما عدا ما يمس مصلحته الخاصة ، فهو فيها فهلوي لا يغلبه غالب . وأنت تعرف كذلك كم هو بدين ، تتدحرج كرشه أمامه عند المسير حتى لتحسبه حبلى في شهرها التاسع . كان أبو البهاء في ذات يوم يجالس في المقهى ابن بلدتنا صديقه أبا أسعد ،

الذي جاء المدينة مثل جماعته يبحث عن حل لضائقته ، حين أقبل حسين الخليف متجهاً إلى طاولتهما . قال أبو أسعد لأبي البهاء في عجلة : هذا حسين الخليف ، أحد أصهاري ، وهو رجل ملحاح لا يعذر في شيء ... يريد مني أن أعرفه بمن يقرضه مبلغاً من المال يفي به دينه ، ولو وجدت أنا من هو مستعد للاقراض لهجمت عليه قبله . عليك به يا أبا البهاء ... واسمه كما قلت لك حسين الخليف !

قال أبو النبيل : لم يحتج أبو البهاء لغير هاتين الكلمتين ليرسم خطته . ولما جذب حسين الخليف كرسياً إلى الرجلين سمع أبا البهاء يقول وكأنه يتم كلاماً كان بدأه قبل حضوره : لا يا أبا أسعد ... أنا ضد تعامل الأصدقاء بالأمور المالية . سأفقد صداقتك لو أنني أقرضتك هذا المبلغ الذي أريد تشغيله بفائدة . أنت قد تستغل مودتي لك فتتأخر في أداء دينك لي . وأنا ، إذا تأخرت أنت في الدفع ، قد أتناسى ما بيننا من صداقة وأقيم عليك دعوى قضائية تنتهي بحجز أملاكك ، فيفسد ما بيننا من ود قديم . أريدك أن تدلني على من تثق به ومن هو بحاجة إلى قرض بفائدة معقولة ، ومن لا أستحي منه إذا اضطررت إلى حجزما يملكه لقاء ديني ...

وهنا ، كما ذكر أبو النبيل ، سقط حسين الخليف في فخ أبي البهاء . حين سمع بالمال وبالبحث عن مستدين له سال لعابه وراح يغمز أبا أسعد بعينه ويلكزه بكوعه لينتبه اليه ، في حين بادر هذا يقول لأبي البهاء : ربما كان علي أن أستاء لرفضك إقراضي ، ولكني أعذرك لأني أفهم تخوفك حسناً ... اليك صهري العزيز حسين الخليف .. انه صاحب مشروع زراعي كبير ، ربما كانت له حاجة بمبلغ الخمسين ألف ليرة التي تريد تشغيلها . تستطيع أن تأتمنه على هذا المبلغ ، وبامكانه هو أن يقدم لك الضمانات الكافية لاستيفاء مالك عند الاستحقاق . وإذا تأخر عن الوفاء فأنت في حل من ملاحقته بكل طريقة قانونية ، أقول لك هذا منذ الآن .

قال محدثي : عند هذا الكلام لم يتأخر حسين الخليف عن أن يمد يديه إلى جيوبه فيخرج منها رزماً من صكوك عقارية وأسناد تمليك كان قد أعدها لتكون ضمانه للوفاء عند من يقبل باقراضه ماهو بحاجة اليه . فرش تلك الأوراق على الطاولة أمام أبي البهاء مبيناً أنه على استعداد لأن يرد له دينه بفائدة كبيرة في الموسم القادم ، وهو موسم منتظر أن يكون خصباً ، فالقحط لا يمكن أن يتكرر في سنتين متعاقبتين في منطقتنا . وارتسمت على محيا أبي البهاء علائم الاقتناع بما يسمع ، لاسيما وأن أبا أسعد كان يؤمن على كل ما يتلفظ به صهره العزيز . قال أبو البهاء أخيراً : احسب الخمسين ألف ليرة في جيبك يا سيد حسين . وإذا احتجت إلى أكثر منها فسأقنع شريكي بأن نزيد المبلغ عشرة آلاف أخرى . ما لك إلا أن تشرف محلنا في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ... ماذا ؟ ألا تعرف محلنا ؟! عليك أن تسلك أولا جادة بارون ، وفي الشارع الجانبي الذي يتفرع من هذه الجادة ، الثاني إلى يمينك بعد الساحة الكبيرة ، تمشي بضع خطوات وهناك تسأل عن محل هندي وغوري في الطابق الثاني من العمارة . سأكون أنا وشريكي في انتظارك . يا حياك الله . أرجو أن تنتهي معاملتنا المالية المستقيمة إلى صداقة دائمة . صداقة بعد المعاملة أدعى إلى المتانة والدوام من معاملة بعد الصداقة ... إلى اللقاء بعد ظهر اليوم إذن يا سيد حسين ...

وقام أبو البهاء عن كرسيه مودعاً حسين الخليف بهزة يد قوية في مصافحة كادت أن تتحول إلى عناق .

كنت من ناحيتي أعرف ، من غير أن يذكر لي أبو النبيل ذلك ، أن لا محل في أي شارع يتفرع من جادة بارون المشهورة في هذه المدينة الكبيرة يحمل اسم هندي وغوري . إنه مجرد اسم اخترعه أبو البهاء على طاولة صديقه أبي أسعد . ولذا فقد توقعت ما رواه لي محدثي من أن حسين الخليف قضى كل أمسيته بين الساعة الخامسة ، موعد افتتاح المحلات التجارية ، وبين الساعة الثامنة موعد إغلاقها ، ذارعاً الشوارع المتفرعة من جادة بارون وهو يقرأ اللافتات على الحوانيت ويسأل أصحاب المخازن ، ويصعد الأدراج أو ينزل منها ، ويقرع أجراس الأبواب في الطوابق المتتالية ، مستفهماً عن محل هندي وغوري الذي تنتظره فيه خمسون ألف ليرة ، وربما ستون ! ثلاث ساعات كاملة من الهرولة وارتقاء السلالم وهبوطاً لجسم كجسم حسين الخليف في ثقل الوزن وضخامة الأطراف جديرة بأن تعصر بدنه عرقاً وتذيب كمية غير هينة من الشحم المتراكم في كرشه . كل ذلك دون أن يبدو أثر لأبي البهاء ولا لمحل هندي غوري الذي سماه أبو البهاء ...

في الصباح التالي ، على ما أخبرني أبو النبيل ، بكر حسين الخليف إلى المقهى الذي يتخذ فيه قريبه أبو أسعد مجلسه كل يوم ، ليسأله أين يقع محل هندي وغوري الذي لم يهتد إليه بالأمس . تظاهر أبو أسعد بالعجب من تيه صهره في جادة مشهورة وعجزه عن العثور على محل تجاري أكثر شهرة ، وراح يلقي عليه محاضرة أعدها له أبو البهاء مسبقا . قال له : أين تغيبت البارحة يا رجل ؟ جاءني صديقنا أبو البهاء بعد الساعة التاسعة وأرهقني بأسئلته عنك . أخجلتني أمامه يا صهري الكريم ! وحين أبدى حسين الخليف استعداده لأن يرافق أبا أسعد في تلك اللحظة إلى محل هندي وغوري قال أبو أسعد : ذهابنا في هذه الساعة عبث ، فأبو البهاء يكون في هذا الوقت في دار الحكومة يسير فيها مصالحه الكثيرة . وأنا كما تعرف مضطر إلى الرجوع إلى البلد بعد أقل من ساعة . ما عليك إلا أن تقصده في الثانية عشرة تماماً ، في منتصف النهار ، فتجده في انتظارك ومعه خمسة وسبعون ألف ليرة . نعم خمسة وسبعون ألفا . أقنعته بأن يزيد مبلغ القرض إلى هذا المقدار ... ستون ألف ليرة لك والباقي لي . هذه بيننا ، فأنا لم أقل له ذلك . سمعته انت بأذنك يرفض اقراضي لأنه لا يأتمنني على ماله ، وما أظنك مثله في قلة الثقة بوفائي لديوني . ماذا ؟ أتستصعب أن تهتدي إلى المحل ؟ سأدلك عليه وأنت قاعد هنا ... أنت تعرف الفندق الكبير في جادة بارون ، مالك إلا أن تسير عشر خطوات لتجد الشارع الثاني إلى يمينك . من هناك تسير عشرين خطوة أخرى فتجد أمامك لافتة كبيرة مرفوعة على شرفة الطابق الأول تحمل اسم محلات هندي وغوري . لافتة تفقأ العين بكبر حجمها وضخامة حروفها ...

ولا حاجة بي إلى القول إن حسين الخليف ، في بساطة تفكيره ولجاجته في بلوغ ما يهمه ، قد تعرق من جديد ، وكثيراً ، وأضاع قسطاً لا بأس به من شحم بطنه في ركضه في الظهيرة المحرقة ساعات متتالية ، باحثاً عن لافتة لا واقع لها لمحل لا وجود له . لافتة محلات هندي وغوري . كما لاحاجة بي لأن أقول إن أبا أسعد ، حين لقي صهره في بلدتهما بعد ثلاثة أيام ، ألقى عليه كل اللوم مقرعاً إياه على جهله التصرف في المدينة الكبيرة ، وعلى أنه أضاع على نفسه وعليه ــ هو أبو أسعد ــ مبلغاً كبيراً من المال كان كافياً لفك خناق الأزمة التي اشتدت عليهما في تلك السنة السيئة !

وهكذا عاد حسين الخليف بمثل خفي حنين من ذلك القرض الموهوم . إلا أن الذي لا شك فيه أن بعضاً من الفائدة قد مسته من عبث أبي البهاء به . لقد عاد إلى بلدته وقد ذبلت كرشه واضمحلت بعض الشيء . أذبلها الأسى على ضياع الفرصة المفقدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى اضمحلت تلك الكرش مما تكلفه من جهد في ركضه في الشوارع وصعود السلالم ونزولها في أيام البحث المتتالية التي لم تعد عليه بطائل . وهذا ما عنيته حين قلت إن أبا البهاء قد أكسب حسين الخليف بفصله هذا فائدة لم تكن له في الحسبان .

* * *

فصول أبي البهاء ، كما أسلفت في مطلع هذا المقال ، لا تنتهي . أوردت منها قبل الآن ما عرفته عنه في أيام العسر وأيام اليسر ، وما بلغني من عبثه بالرؤساء وسخريته بالثقلاء والبخلاء ، وما أضحك به من أحبهم وأحنق من أبغضهم . وأحسبني سأتوقف في روايتها عند هذا الفصل بعد أن أصبحت خصال أبي البهاء معروفة من خلالها ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق كما قال الأولون . وإذا كنت قد أضربت عن رواية فصول أخرى شائقة ، تطوع كثير من أصحاب أبي البهاء في قصها علي ، فلعلي تجنبت بذلك إحراج أبي البهاء نفسه أو إحراج أناس آخرين لهم اسمهم ولهم مكانتهم كانوا في ذات يوم من ضحايا تلك الفصول . فنحن ندرك جميعاً أن ليس كل ما يعلم يقال . وفيما قيل ، مما لا حرج في قوله ، غناء وكفاء .

الرقة ــ سورية

قصيدة جديدة
للشاعر السوداني
الدكتور تاج السر الحسن

# فلاشا

هذا الفلاشي جـــاء
يسخر من شعبي
يرمقني من عل
في قمة «الهيلتون»
يبصق في النيل
يضحك من جبني

* * *

في شرفة الفندق
كان فلاشيان
قد ثرثرا ، حدقا
في المقرن المزدان
ورقصا .. عربدا
ونثرا الأشجان
– (قبلني ، ضمني)
ياليت هذه الرؤى
«عادت باسرائيل»
(هذا سنا الخرطوم
فهل نرى (دجله؟)
فتزدهي الأحلام
ونملأ السله؟

من رطب الوديان
والكرم والغله

* * *

الحاكم الجائر
يختال في الميدان
وحوله الجند
والسيف والصولجان
بقطعة من نقود
باع ثرى الأوطان
أهدى الفلاشا المكان
أهدى الفلاشا الزمان
بينا أنا ملقى
في القيد أشكو الهوان
والفقر والأحزان

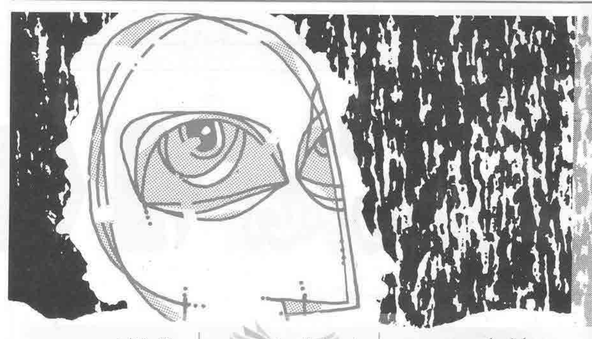
* * *

رسم التلفاز (شاشا)
حوله جمـع الفلاشا
بينما في قلبه شيء

من الوسواس جاشا
ان ما يدعى فلسطين
بقلبي يتلاشى
فالفلاشيات
قد أحدثن في قلبي ارتعاشا
والفلاشيون أهلي
مرحباً قومي الفلاشا

* * *

تلك الفلاشية
زهرة فسقية
وخصرها ضيق
خاتم جنية
وشعرها أسود
ليل وأغنيه
تموجت حولها
عواطف الحيّة
سمراء لكنها
حقاً يهودية
قيل لها انها
سوف ترى (يافا)
وكرمها الزاهي



لوناً وأصنافاً
وترتمى فى الظلال
بين شذى البرتقال
فهى هنا فى المطار
أرقها الانتظار

* * *

جاع كل الناس
لم يبق أحد
ظمأ ( التيجرا )
( وبنو عامر )
والأمهـره
والهدندوه
والصوماليون
وأهل جيبوتي
كل القرن الأفريقى
اشتعلت فيه نار الجوع
مات الطفل الشاحب
ماتت الأم
ومات الأب
والقرية لم يبق بها أحد

غير جذوع الشجر الميت
وهياكل قطعان ملقاه

* * *

غير أن الفلاشا وحدهم لم يجوعوا
وحدهم أكرموا
ان هذا مريـع
لهم الحافلات
المكان الوسيـع
الفنادق مشعله
والموائد مشرعه
والربيـــع

* * *

من صفحة « التلفاز »
نشهد هذا البث
حيث السفير الوزير
باسم الحاكم الكبير
من خان هذا الوطن
باع ونال الثمن

وتلك واشنطون
فى شرفة « الهيلتون »
حيث بنو صهيون يجمعون النقود
مما يجود اليهود
ويخنقون البشر

ويقتلون الوجود
فى قلب « يافا » وفى
« صيدا » وأرض الحدود

من جاء بالطائرات ؟
وأجمل الحافلات ؟

انهم المجرمون
السادة الظالمون

من قيدوا شعبنا
فى ظلمات السجون

لا تتركوهم هنا
فى أرضنا يمرحون

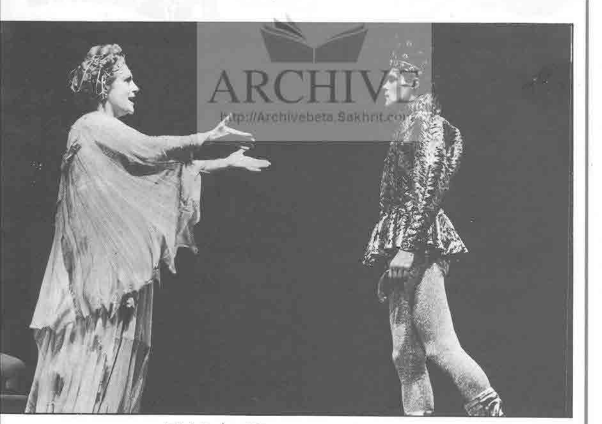
* * *

الخرطوم

تذكرة دخول ثانية إلى :

# مسرح العصور الوسطى

بقلم : الفريد فرج



مشهد من مسرحية «نقد الطبقات الثلاث» التي تميزت بحضور الملكة إليزابث وأسرتها لحفل الافتتاح

● إعادة الاعتبار للمسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد على الصدقات، لا على ثمن بيع التذاكر

● ثقافتنا العربية وحركتنا الفنية سبقت الإنجليز في اهتمامهم بالتراث المسرحي القديم

حدثتكم في العدد السابق عن « فرقة ممثلي العصور الوسطى » الانجليزية .. التي تقدم مسرحيات أقدم من عصر النهضة وأسبق زمنيا من عصر شكسبير ..

لقد بدأت الفرقة نشاطها كفرقة مسرحية تجريبية متواضعة .. ثم سرعان ما لفتت الأنظار واجتذبت الاهتمام .. فأعادت الاعتبار للمسرحية الأخلاقية ، وللمسرح الشامل الذي تميز بالغناء والرقص وألعاب الحواة والألعاب الأكروباتية وبالحيل التقنية .. والذي سمي أحياناً بمسرح الشارع ، وأحياناً بمسرح السوق .. باعتبار المكان المفضل لنشاطه .

إن هذا المسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد أحياناً في دخله على الصدقات من الجمهور ، لا على ثمن بيع التذاكر .. والذي اختفى من الخريطة الثقافية منذ عصر النهضة إلى اليوم .. وتعرض للتحامل والازدراء من الأكاديميين والفنانين على السواء .. يعود على أيدي فرقة من المثقفين الشباب ، فيجذب الانتباه إلى حد أن تشارك مع الفرقة الصغيرة في إحياء تقاليده القديمه فرق قومية كبيرة ، كالمسرح القومي البريطاني ( ١٩٨٢ ) ، وفرقة شكسبير الملكية ( ١٩٨٣ ) ، .. ثم المسرح القومي الاسكتلندي ( ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ) بمسرحية الافتتاح للموسم « نقد الطبقات الثلاث » .

## عيوب أو فضائل المسرح القديم

كانت الحركة الثقافية منذ عصر النهضة الأوربية قد هونت من شأن مسرح العصور الوسطى ، وعددت عيوبه بأنه مسرح تعليمي مباشر .. وبأنه مسرح قصصي أكثر منه مسرحاً درامياً .. وبأن شخصياته مسطحة تمثل فضائل أو رذائل بعينها وتتسمى باسمها وتفتقد البعد الانساني اللازم للشخصية المسرحية ، وهو عمق الاختيار بين عناصر الخير وعناصر الشر ، في روح كل انسان .

ومع ذلك فقد كان المسرح في العصور الوسطى يعد لوناً من « التعليم المبهج » .. وكانت أشهر الفرق المسرحية تفتتح مسرحياتها في قصر الملك أو الدوق ، ثم تنتقل لتجوب الريف والمدن على عربات مجهزة لتتحول إلى منصات للتمثيل في الشارع أو في السوق .

وكانت نقابات الحرف تدعم ذلك النشاط المسرحي إحياء للأسواق ، وكانت البلديات تشارك أحياناً في دعم ذلك الفن .

وقد رأى الفنانون المحدثون والتجريبيون الذين أعادوا إحياءه أن ذلك الفن يتميز أيضاً بفضائل كثيرة :

انه فن يتصف بالذكاء في حين أنه بريء من ادعاءات الذكاء .

وهو فن انساني وقادر على التركيب الانساني العميق بواسطة عناصر وأدوات بسيطة وواضحة .

وهو يمزج الفكاهة بالجد في جرأة ، ويصمم الانتقال بين المناظر بحرية لا تتقيد بالقيود الواقعية أو الديكورات المتكلفة والثقيلة .

## مسرح الفولكلور

نشأ المسرح الأخلاقي والمسرح الشامل للعصور الوسطى في الشارع ..

ولكنه انتقل بعد ذلك إلى القصر ..

نشأ ذلك المسرح على أيدي المحترفين ممن احترفوا التمثيل وانتسبوا إلى المهنة كحرفيين صغار ، وتفاوتت سبلهم إلى الشهرة أو إلى الإفلاس حسب حظوظهم .

ولكن بعضاً من المثقفين وأبناء القصور ساهم في التأليف لهم أو التأليف لمسرح القصر الملكي أو قصر الدوق .. على نفس نمط التأليف السائد في الشارع والسوق ، وبنفس الأسلوب المتبع فيما سميناه المسرح الأخلاقي أو المسرح ذا المغزى المباشر .

وقد عانى مسرح القصر ومسرح الشارع للعصور الوسطى نفس المصير ، فحذفته يد التجاهل والإغضاء والازدراء طوال قرون عصر النهضة الأوربية التي طغى مسرحها عليه ، منذ عصر شكسبير ، وغلبه على أمره ، فانزوى في أركان النسيان .

إلا أن العصر الذي نعيشه قد شهد حركة واسعة لاحياء الفولكلور والفنون القديمة .. في العالم كما في بلادنا .

وقد امتدت حركة الاحياء هذه جغرافيا ، في الصين التي أحيت فنونها التقليدية في تصوير المنمنمات كما أحيت فن أوبرا بكين ، وفي بلادنا حيث تتسابق الجهود لاحياء التراث الفكري والأدبي العربي ، وفي الغرب حيث يجري احياء المهرجانات الفنية القديمة ..

وامتدت حركة الاحياء أيضاً لتشمل كل الفنون .. الموسيقى والغناء والشعر الشعبي والقصصي ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في حركة الاحياء هذه ؟

وقد شهد عصرنا الحديث في أوروبا خاصة حركة واسعة ردت الاعتبار للفن البدائي ورسوم الأطفال .. وتجاوز الالتزام بقواعد المنظور في التصوير ، والتطلع إلى ثقافات بعيدة في الزمان أو المكان ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في ذلك ؟

وقد يلفت نظرنا نحن أبناء اللغة العربية هذا التوجه نحو إحياء الثقافات القديمة أكثر مما يلفت ذلك أنظار الأوروبيين عامة ، لأننا نملك من

# تذكرة دخول ثانية إلى: مسرح العصور الوسطى



الفكاهة مع الاستعراض والغناء في مسرح العصور الوسطى

التراث الفولكلوري والرسمي ذخيرة في الفنون والآداب لا حدود لها .. ومع ذلك فإن أوروبا تبحث أيضاً عن تاريخها وتراثها.

وقد كان في هذا السياق ما قام به فنانو فرقة ممثلي العصور الوسطى من احياء لفن التمثيل الفولكلوري وفن العرض المسرحي الفولكلوري .. وما قامت به بعد ذلك فرقة المسرح القومي الاسكتلندي من احياء نص قديم من نصوص المسرح للعصور الوسطى هو موضوع حديثنا هنا.

وكانت ذروة اعادة الاعتبار للمسرح القديم هي حفلة الافتتاح للمسرح القومي الاسكتلندي هذا الموسم ، والتي تميزت بحضور الملكة اليزابث وأسرتها افتتاح مسرحية « نقد الطبقات الثلاث » من تأليف « السير دافيد ليند ساى » ( ١٤٨٦ — ١٥٥٥ )

والمسرحية كتبت ومثلت باللهجة الأسكتلندية ، وهي تختلف عن غيرها من اللهجات البريطانية بقصر الحروف المتحركة وجعجعة الحروف الساكنة.

وكتبت المسرحية لمسرح البلاط الاسكتلندي عام ١٥٤٠ في عهد الملك جيمس الخامس .. وغابت منذ عصر النهضة فلم تر أضواء المسرح حتى هذا العام.

وتتميز المسرحية بما يتميز به مسرح العصور الوسطى من تشخيص المعاني المجردة في شخصيات مجازية تحمل أسماء دلالاتها.

## نقد الطبقات الثلاث

تفتتح التمثيل شخصية « الاجتهاد » .. الذي يدعو مجلس الطبقات الثلاث للانعقاد ، وهي طبقة النبلاء وطبقة العلماء ، وطبقة التجار أو البورجوازيين .. فيدخلون ليتخذوا أماكنهم بالمجلس.

ويتقاطر الفقراء من أبواب صالة المسرح من غير دعوة ليحيطوا بالمسرح والمجلس ..

ويدخل الملك « إنسان » — هذا اسمه — وحوله حاشية تتألف من ثلاثة أشخاص هم : « الخليع » و « المنافق » و « الأنيس » .. وهؤلاء يزينون له كشاب أن يدعو السيدة « شهوة » إلى حفلة بالقصر ، ويستطيعون بفكاهاتهم أن يتغلبوا على تردده ، فتدعى « شهوة » ويستسلم البلاط لسحرها وشدوها الجميل هي وفتياتها الساحرات.

عندئذ يصل « حسن المشورة » ( بضم الحاء وسكون السين ) إلى المدينة فيهوله ما آلت اليه حال البلاد ويتوجه إلى قصر الملك لينصحه.

ولكن تأخذ عليه الطريق الشرور الثلاثة : « الملق » و « الغش » و « الخداع » .. ويقوم بأدوارهم حسب تقاليد مسرح العصور الوسطى ثلاثة بهاليل من الممثلين الهزليين ، يشيعون روح الفكاهة والسخرية من حولهم.

انهم يصدونه عن الوصول إلى القصر . ثم يتدبرون أمرهم للوصول إلى الملك للفوز بعطاياه ، فيقررون التنكر في هيئة الزهد والتقوى والحكمة ، وبذلك يدخلون القصر ، ويسعون إلى تحقيق مآربهم.

بتأثير من السيدة « شهوة » والشرور الثلاثة يرفض الملك استقبال « حسن المشورة » ، ويحكم على « الفضيلة » وعلى « التقوى » بالحبس بعد أن لفقت لهما الاتهامات فتوضع الفتاتان في الأغلال ..

وقد آلت البلاد للسقوط في أيدي الأوغاد ، وأشرفت على الافلاس والخراب ، وشملتها الفوضى ..

ولكن في اللحظة الحرجة يصل إلى المسرح « الإصلاح السماوي » أو إن شئت « رسول العناية » وجنده الأشداء ، وراياته الملونة بألوان الطيف وموسيقاه القوية .. فيعم الفزع والاضطراب في القصر وتفر الشرور الثلاثة بعد أن سرقت الخزانة !.

أطلق « الاصلاح » سراح « الفضيلة » و « التقوى » ، وقضى على « شهوة » بالنفي .. ففرت لتختبئ بين أعضاء مجلس الطبقات (!)

الآن تحيط بالملك « الفضيلة » و « التقوى » .

ويلازمه «حسن المشورة» . ويعد الملك رعاياه بالاصلاح .. فيأمره «الاصلاح السماوي» بدعوة مجلس الطبقات للاجتماع في هيئة برلمان لاصلاح البلاد ، ويقوم «الاجتهاد» بدعوة البرلمان ، ويعلن للجمهور وقف التمثيل للاستراحة .

## السائرون إلى الخلف

يفتتح الفصل الثاني بمشهد فكاهي بين رجل فقير يبحث عن العدالة .. وراهب يبيع صكوك الغفران المهورة بتوقيع بابا روما .

ويدب النزاع بين الاثنين ، فيدخل «الاجتهاد» وهما مشتبكان ، فيطردهما ويدعو أعضاء مجلس الطبقات للاجتماع .

إلا أن الأعضاء يدخلون إلى منصة المسرح بظهورهم .. ويتجهون إلى أماكنهم سائرين إلى الخلف ، ويتعثرون ويوقع بعضهم بعضاً وهم في الطريق إلى كراسيهم .

إن أعضاء مجلس الطبقات أو البرلمان لن يسلموا بدورهم من سخرية المؤلف ونقده اللاذع .

يدعى الناس لتقديم شكاواهم .

ويتقدم للشكوى عامل فقير يمثل بسطاء الناس اسمه «جون عجلة» .

يتهم «عجلة» البرلمان وسلطاته الثلاث بالضعف والانقياد لسيطرة «الملق» و«الغش» و«الخداع» .. فيأمر «الاصلاح» جنوده الأشداء بمداهمة المجلس والقبض على الشرور الثلاثة ووضعهم في الأغلال .. فيتم العثور عليهم بين الأعضاء ، وتنفيذ الأمر فيهم .

ولكن «جون عجلة» يواصل اتهام رجال الكنيسة من الكرادلة باساءة استخدام السلطة والاثراء غير المشروع ، فيستدعي رؤساءهم للتحقيق أمام نواب الطبقتين الأخريين ، ويحكم عليهم «بالصلاح» . ويُصْدَرُ حكم بالاعدام على الشرور الثلاثة . فيقبض على «الغش» و«الخداع» ويتم تنفيذ الحكم عليهما ، إلا أن «الملق» يستطيع الفرار .. ويتغاضى الجميع عن ملاحقته فينجو ويختفي عن الأنظار .. بحيث لا يستطيع جنود الاصلاح الأشداء تنفيذ الحكم عليه !

«الملق» عند المؤلف هو الناجي الوحيد في كل الأحوال !

## الحكمة .. والجمال

القصة كما ترى أشبه بحكايات كليلة ودمنة ، أو الحكايات الشعبية القديمة ، تستهدف من تركيبها البسيط والمباشر ، ومن تقاطع مصائر شخصياتها المجازية التوصل إلى الحكمة الأخيرة والخلاصة الفكرية ..

ولعل التلخيص الذي أوردته للمسرحية لا يفي بحقها مما تتميز به من قوة اللغة والشاعرية ، ومن قوة السرد إلى جانب حكمة القصد .. فضلاً عما تتميز به المسرحية من استعراض وغناء وفكاهة راقية ومواقف مسرحية محكمة وقوية .

وهي إلى جانب ذلك بريئة من التعالي الذى يتصف به فن المسرح كما عرفناه ، فهي لا تترفع على الجمهور ولا تخاطبه بكلفة .

## المؤلف

وقد اهتم النقاد في بريطانيا بالتنويه بما في المسرحية من جرأة على النقد ، وخاصة فيما يتعلق بنقد رجال الكنيسة في ذلك الزمن المبكر من القرن السادس عشر .. فأشاروا إلى ما أغفله التاريخ من دور اصلاحي للمؤلف المسرحي «سير دافيد ليندساى» إلى جانب الدور الاصلاحي لمعاصريه من الفلاسفة الذين دعوا لاصلاح الكنيسة ، من أمثال «كالفن» و«نوكس» ، وسلفهم الألماني «مارتن لوثر» .

كما اهتم النقاد بالاشارة إلى أن «ليندساي» الذي كان من رجال البلاط ومن مستشاري الملك قد قدم مشروع الاصلاح وكشف عن الفساد على لسان عامل بسيط هو «جون عجلة» الذي يوحي اسمه بمعنى التطور ويمثل بسطاء الناس .

وتراث ليندساى حافل بنقد الفساد ، وبالانسانية في علاج موضوع السلطة ..

فقد كتب عام ١٥٢٩ مسرحية بعنوان «شكوى للملك» ، بطلها ببغاء ينصح رجال الحكم وهو على فراش الموت ، بينما يمثل رجال الحكم والسياسة على المسرح طيور جارحة يتهمهم الببغاء بالشح والرياء ..

وكان السير ليندساى رائدا لابن الملك على أيام الملك جيمس الرابع ملك اسكتلندا ، ولما مات الملك ، وكان الابن قاصراً تحت الوصاية ، طرد الوصي على العرش ليندساي من القصر ، فاعتزل في ضيعته ، حتى إذا ما تولى الابن الصغير العرش باسم جيمس الخامس دعا ليندساي ليكون من مستشاريه ورجال البلاط المقربين .

## ومسرحنا القديم

نستطيع أن نزعم أن ثقافتنا العربية ، وحركتنا الفنية العربية قد سبقت الانجليز في اهتمامهم بالتراث المسرحي القديم وتقدير قيمه الفنية .

وقد طرح قضيته في الجانب النظري كل من توفيق الحكيم في كتابه «قالبنا المسرحي» ، والدكتور علي الراعي في كتابه «الكوميديا المرتجلة» فضلاً عن يوسف ادريس وغيرهم .

كما طرح قضيته في الجانب الفني عدد من المؤلفين المسرحيين .. كل من بأسلوبه ، باحياء أسلوبه وجمالياته .

ولكننا لم نصبر على تطوير أفكارنا ومواصلة درسها ، كما أن الطرح القوي لقضية مسرحنا القديم لم يغر بعد جامعاتنا ومعاهدنا الفنية وشباب الباحثين بتكثيف الجهود في مجال احياء واظهار مسرح السامر ومسرح الحلقة ومسرح المحبظين فضلا عن خيال الظل ومسرح الدمى القديم .

وننتظر من جانب آخر أن تتقدم جماعة من الشباب المثقفين وفناني المسرح بالريادة في هذا المجال .. واجتذاب الجمهور حول هذا المسرح القديم .. للخروج بمسرحنا العربي القومي مما يعانيه من املال التكرار والتقليد ، والمحاولات العبثية لخطف أقباس من أضواء المسرح الغربي دون تمعن ودون فهم ودون تأمل ، وباستعجال وسطحية لا تليق بمسرح قومي يريد أن يرسي دعائم للثقافة والحضارة العربية تصمد لتحديات القرن الحادي والعشرين .

**الفريد فرج**



مشهد من المسرحية التي كتبها السير دافيد ليندساى (١٤٨٦ - ١٥٥٥) والتي جعلت نقاد بريطانيا اليوم ينوهون بجرأتها على النقد

يوسف الشاروني

# محنة الفنون في عصر السينما والراديو والتليفزيون

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرى من سينما الى اذاعة الى تليفزيون هى الوسيلة الرئيسية فى النصف الثانى من القرن العشرين للجماهير العريضة للحصول على المتعة الفنية وذلك على نطاق عالمى بوجه عام ، وفى بلاد مثل بلادنا ترتفع فيها نسبة الأمية الأبجدية الثقافية بوجه خاص .

وواضح أن هذه الوسائل تقدم أعمالها الفنية على أساس جماعى وهو شبيه ــ وان كان بطريقة مختلفة ــ بما كان يحدث للعمل القصصي فيما قبل عصر انتشار الطباعة حين كان كل راو يُدخل من حصيلة عصره ومفاهيمه على العمل القصصي الذى يحفظه عن السلف ويرويه لجمهور مستمعيه حتى يجعله عملا معاصراً يجذب الانتباه . إن أمراً مماثلا يحدث اذن بالنسبة لكل عمل قصصي يعرض عن طريق هذه الوسائل الثلاث . ذلك أن كاتب السيناريو يحذف ويضيف إلى القصة بما يتفق مع الاذاعة المسموعة أو المرئية . وكذلك يتدخل المخرج بما يوفق بين الرؤية الفنية وما يتخيل أنه يرضي أذواق الجماهير ، حتى الممثل فإن أداءه يضفى على ما أنجزه تضافر كاتب السيناريو والمخرج والمصور ومصمم الديكور ومصمم الملابس ... الخ يضفى طابعه الخاص ، حتى إن العمل السينمائى أو التليفزيونى الواحد يختلف باختلاف المخرج أو الممثل . ومعنى هذا أن القاص أصبح فرداً فى مجموعة . حقاً إنه لايزال يكتب القصة منفرداً ، وقد يقرؤها الخاصة كما كتبها ، وهم فى الأغلب المجموعة التى تريد أن تتعلم منها لكى يصبح أفرادها قصصيين فى المستقبل مثله ، فهو يكتب إذن مباشرة لجمهور خاص محدود إذا قيس بالجماهير العريضة التى لن تتذوقه كما كتب عمله القصصي مباشرة ، لكنها ستتعرف عليه من خلال هذه الوسائل الجماهيرية الجديدة بعد أن تم الحذف من عمله الأصلى أو أضيف إليه بما يتفق وتفسير المجموعة التى تناولت عمله ومدى عبقريتها بما يتفق مع تحويل الكلمة المقروءة إلى كلمة مسموعة أو مرئية (١) .

## مراحل الانتاج الفنى

فى الانتاج السينمائى يناقشون عنوان القصة السينمائية ، ويطلب من مؤلف الدراما الاذاعية أو التليفزيونية أن يقتطع الخمس أو الربع مماألفه حتى لا تتجاوز الدراما الوقت المحدد لاذاعتها . فاذا لم يفعل اقتطعها شخص آخر . وتحديد حجم العمل الابداعى معروف منذ القدم : فقد حدد أرسطو حجم المسرحية ، وكان الكاتب المسرحى يلزم نفسه بهذا الحجم كما يلزم نفسه بقيود الشعر التى يكتب بها مسرحيته . ومنذ ظهور الصحافة نجد أن رئيس التحرير أو المشرف على صفحة الأدب يحدد للكاتب : كاتب القصة القصيرة أو الرواية المسلسلة أو قصيدة الشعر .. مساحة النشر المتاحة له . فتحديد زمن العرض أو الاذاعة إذن ليس جديداً بالنسبة لمؤلفى القصص السينمائية أو الاذاعية أو التليفزيونية . ولكن هؤلاء المؤلفين يفقدون فرديتهم منذ اللحظة التى يطلب من أحدهم فيها أن يقدم أولا ملخصاً ، لفكرته ، يتم عرضها ــ ربما على أصحاب شركات الاعلان ــ بقبولها أو رفضها أو تعديلها . وشتان بين الملخص وبين العمل الأدبى المرتبط بصياغاته والتى ربما يتعذر على مؤلف ، القصة المطبوعة ، تلخيصها لأنها مرتبطة بأسلوبها بل بكل كلمة فيها . وبغض النظر عن قيمة العمل الدرامي ــ وقد تم تحويل القصة إلى عمل درامى تطويعاً لهذه الوسائل الوسيطة ــ فإن اهتمام شركات الاعلان يكون منصباً على عدم الاساءة إلى أحد ممن يحتمل أن يصبحوا من زبائنها ... (٢) فاذا تمت الموافقة على الملخص أو تم تعديله فعلى الكاتب أن يحول ملخصه إلى نص بعد أن يكون قد مضى على تقديمه الملخص عدة أسابيع . ومعنى ذلك بالنسبة للمبدع الذى تكون المطبعة أداة توصل ابداعه لجمهور قرائه هو أن يفقد حماسه أو اتصاله الشعورى لأنه فقد اللحظة النفسية التى سبق أن دفعته إلى الابداع والحالة الوجدانية التى كان يعيشها لحظة الابداع بينما على مؤلف الدراما فى الفنون الحركية ــ السينما والاذاعة والتليفزيون ــ أن يأخذ نفسه بعادات مختلفة عن عادات سلفه الذى يبدو مدللا بالنسبة له . فكلمات الوحى الفنى والالهام هنا كلمات متحفية تاريخية : إن عليه أن يستأنف ما انقطع منذ أسابيع ، وان يصطنع الحالة الوجدانية التى تدفعه إلى خلق التفاصيل بما يتفق وما سبق أن قدمه فى الملخص ، أو ما طلب منه من تعديلات ، لا تساعده فى ذلك إلا خبرته وحاجته إلى جمهور والى مال . فالكتابة هنا أقرب إلى ما نسميها الصنعة ، لأن صاحبها يقدم ما يمليه عليه السوق .

ونحن لا نقول إن المبدع فى عصر المطبعة كان يقدم ما يستهجنه السوق ، ولكنه الفرق بين الالزام والالتزام. الالزام هو أن تنفذ أو ترعى ما تؤمر به من سلطة خارجية قبل أن تتمثله فى داخلك . أما الالتزام فهو أن تقدم ما تكون قد تمثلته

● لماذا ضاعت فردية الإبداع التي تمتع بها المؤلف في عصر المطبعة؟

● المؤهل الأول لكاتب الإذاعة والتليفزيون هو القدرة على الكتابة تحت ضغط الظروف المتصلة بمواعيد الإرسال!

● بعض النقابات تطالب الآن بمصادرة أي عمل فني يتعرض لأعضاء هذه النقابات!

● أصبح المؤلف التليفزيوني مطالبًا باستخدام كل براعته وحيله الفنية حتى لا يُغلق التليفزيون في وجه عمله!

● بعض الذين يدافعون عن الأدب قالوا: إن الثقافة الروحية مجهود، وكل نظام يُضعف المجهود فهو يُضعف الثقافة أيضًا

وتشربته واقتنعت به .بينما كثير من كتاب الفنون الحركية يمارسون كتاباتهم ممارسة الصانع مهنته وليس ممارسة المبدع فنه .

## مشاكل الكاتب المبدع

ويرجع ارنولدهاوزر في كتابه « الفن والمجتمع عبر التاريخ » أزمة الفيلم إلى أنه لا يجد كتابه ، وبعبارة أدق إلى أن الكتاب لا يجدون طريقهم إلى الفيلم .فالكتاب الذين اعتادوا أن يفعلوا ما يشاؤون داخل جدرانهم الأربعة أصبح عليهم الآن أن يعملوا حساب المنتجين والمخرجين وكتاب السيناريو والمصورين والمديرين وسائر أنواع الفنيين ، على الرغم من أنهم لا يعترفون بسلطة روح التعاون هذه ، أو حتى بفكرة التعاون أصلا . فمشاعرهم تثور على فكرة انتاج أعمال فنية لتسليمها إلى جماعة أو شركة . يستطيعون هم أنفسهم في كثير من الأحيان أن يعللوا دوافعهم ــ في يد قوة خارجية تفرضها عليهم فرضاً . أو في يد أغلبية على أحسن الفروض ــ والمسألة مسألة ظاهرتين تنتميان الى فترتين زمانيتين متباينتين ، الكاتب المنعزل الوحيد الذى يعتمد على قريحته الخاصة من جهة ، ومشكلات الفيلم التي لا يمكن أن تحل إلا جماعياً من جهة أخرى . فالوحدة التعاونية للفيلم هي سبق لأسلوب اجتماعي لم نصبح بعد اكفاء له (٣) . وكل ما يجرى على الفيلم ينطبق بالتالي على كل من الاذاعة والتليفزيون .

ذلك انه عندما ينتهي الكاتب من كتابة نص لاحدى وسائل الاتصال الجماهيري المسموعة أو المرئية ــ بعد أن ووفق على فكرته ــ يقدمه من جديد إلى المخرج والمنتج ومرة أخرى تعقد اللجان لمناقشة النص ومرة أخرى تعرض اقتراحات بالتعديل والتنقيح . وتختلف الحالة النفسية التي تسود هذه اللجان باختلاف أعضائها . وينتهي الأمر بالنص إلى أن يصبح ربما بعيداً كل البعد عما كتبه المؤلف . حتى إن المؤلف الذي يفكر بعقلية أديب المطبعة يصعق ويصاب بالذهول عندما يرى على شاشة السينما والتليفزيون ما آل إليه النص الذى كتبه . ويمكننا أن نقارن معظم ما قرأناه من روايات بما نشاهده منها على شاشة السينما أو في حلقات تليفزيونية .

فكل برامج الاذاعة والتليفزيون تكتب ثم تعاد كتابتها بحيث تتم في المواعيد النهائية المقررة مما لا يمنح الكاتب إلا عدداً محدداً من الساعات للكتابة . فالمؤهل الأول للكاتب هنا هو القدرة على الكتابة تحت ضغط الظروف المتصلة بمواعيد هذه الأجهزة . والقدرة على تقبل النقد عظيمة القيمة هنا . لأنها تعني أكثر من عدم التجهم ، فتلقي النقد معناه فهمه فهماً جيداً أو سريعاً بما يكفل تنفيذ الاقتراحات في فترة اختصاره أو اعادة كتابة جزء منه حتى يتضمن سطراً أو إشارة معينة (٤) فالقصاص الذى تصل قصته الى الجماهير عن طريق هذه الوسائل الوسيطة يأتي دوره في الدرجة الثانية . فرغم أن القصة كلها أساساً من ابداعه إلا أن المشاهدين يرون عمله عن طريق عدسة الكاميرا ، وتتولى تفسيره عمليات المونتاج الخلاق وتوجيهات المخرجين وأداء الممثلين (٥) .

وهكذا تذوب تماما فردية المؤلف في عصر وسائل الاتصال الجماهيري ، كما ذابت من قبل في عصر الرواية الشفهية ، وتصبح فردية الابداع ــ التي يتمتع بها المؤلف في عصر المطبعة ــ أمرا شبه مستحيل .

وانني كثيراً ما أتساءل ما إذا كان ذلك احدى الدلالات على زوال عصر الفردية ــ اذ يكون لي رأيي وأن يكون لك رأيك ونتعايش معاً ــ والذي تزامن وعصر المطبعة ، ودخولنا مرة أخرى عصر الرأي الواحد . وهل هذه الأجهزة أحد أسباب أم إحدى نتائج ما نحن قد نكون مقبلين عليه ؟

## جماعية التلقي

أما جماعية التلقي لوسائل الاتصال الجماهيري فهو أمر نفترض حتى ولو كان من الممكن تحقيقه أحيانا . لكن الأغلب الأعم هو أن يكون هناك جمهور قد يتسع كما في حالة السينما وقد يضيق كما في حال الاستماع إلى الاذاعة أو مشاهدة التليفزيون أحيانا . ويكون حكم المتلقي هنا متأثراً بمن حوله من انبهار أو سخط ، وليس حكما فرديا كما في حالة القراءة ، وما أشبه هذا المتلقي المعاصر بسلفه حين كان يجلس في المقهى مع جمهور المتلقين أمثاله يستمع إلى الشاعر ذي الربابة .

هذه الجماعية عند كل من المبدع والمتلقي في الفنون المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري تجعلها أقل حرية من الفنون الأدبية التي تقوم على فردية المبدع والمتلقي .

أول هذه القيود أن الرقابة على الأعمال المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري أكثر صرامة من رقابة الكتاب أو حتى المسرح . ذلك أنه كلما اتسعت دائرة الجمهور المتلقي كان التأثير أوسع نطاقا ، وبالتالي كانت الرقابة أشد ، وتأتي

الرقابة السياسية في المقدمة ، أما الرقابة الأخلاقية أو الدينية أو رقابة التقاليد والعرف فتختلف من بلد إلى آخر . وقد وصلت الرقابة ــ كما سمعنا أخيراً ــ إلى حد مطالبة بعض النقابات المهنية بمصادرة كل عمل فني يصل إلى الجمهور عن طريق إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية إذا كانت مهنة إحدى شخصياته المنحرفة تنتمي إلى إحدى هذه النقابات .

يقول بادي تشايفسكي في كتابه (ثلاث تمثيليات للتليفزيون) : فالدراما في التليفزيون تختلف عنها في الاذاعة عنها في المسرح بل ، عنها في السينما . فالاذاعة والتليفزيون على وجه الخصوص تسمع وتشاهد في الأوساط العائلية والمنازل والمدارس والنوادي وما أشبه ذلك . وما دام هذان الجهازان موجودين في المنازل ، فالاستماع إلى أحدهما أو مشاهدة الآخر سيكون متاحاً لجميع أفراد الأسرة ، كبيرها وصغيرها على السواء . وهذا يستلزم أن تكون الموضوعات المذاعة والمتلفزة لا تخدش الحياء .. فتحذف منها مثلا المناظر الجنسية ومناظر العنف كالقتل ، كذلك الأمر مع المسرحيات التي تعرض عن طريق شاشة التليفزيون إذ تحذف منها المشاهد المماثلة . وأحيانا يكتفي بحجب الصوت إذا كانت الألفاظ غير لائقة .

إن الفنون التي تعرض على جمهور كبير محتشد في مكان واحد معاً تضطر إلى مخاطبة العامل المشترك البسيط ــ إذا جاز لنا أن نستعير المصطلحات الرياضية ــ بين هذا الجمهور ، حتى قيل إنها تخاطب مستوى من الذكاء يعادل عقلية صبي في الرابعة عشرة من عمره .

والعامل المشترك البسيط لجمهور السينما أقل بكثير من العامل المشترك لجمهور المسرح أو حفلة موسيقية . فمجرد حضور مسرحية حديثة في مدينة كبرى تقوم بها فرقة مسرحية لها شعبية ويقتضي الاستعدادات الداخلية أو الخارجية : مثل حجز المقاعد مقدماً والحضور في وقت محدد والتأهب لمهمة تملأ وقت السهرة . على حين أن المرء يحضر السينما ربما بطريقة عابرة ، وفي أي وقت إذا كان العرض مستمراً . ويربط أرنولد هاوزر بين وجهة النظر العادية التي يتخذها الفيلم ، والطابع الارتجالي غير المتكلف الذي يتسم به ارتياد السينما . ويرى أن هناك جهداً مبذولاً من أجل جذب أعداد أكبر من المستهلكين بغية تغطية نفقات الاستثمار المتزايدة ، ولقد كان من الممكن تغطية التكاليف اللازمة لأوبريت عن طريق مسرح متوسط الحجم ، بينما كان على الفرقة الاستعراضية أو فرقة الباليه الكبيرة أن تسافر من مدينة كبيرة إلى أخرى لكي تغطي نفقاتها . أما الفيلم الكبير فينبغي أن يسهم في تمويله رواد السينما في العالم بأكمله لكي يغطوا رأس المال المستثمر فيه ، وهذه الحقيقة تحدد تأثير الجماهير الشعبية في انتاج الفن ، فهي لم تستطع أبداً عن طريق مجرد حضورها العروض المسرحية في أثينا وفي العصور الوسطى أن تؤثر في أساليب الفن تأثيراً مباشراً ، فدخول المسرح الاغريقي لم يكن مجاناً فحسب ، بل كانت الدولة تمنح كل مواطن مكافأة كتعويض جزئي عما يضيع عليه من كسب بسبب انقطاعه عن العمل لمشاهدة المسرح الذي كان يدوم اليوم كله ويستمر ثلاثة أيام . وكانت هذه المكافأة تسمى بدل مسرح . وكان الجمهور يستفتى فيما يعرض عليه ، فقد كانت تعرض مسابقات سنوية خلال هذه الأيام الثلاثة ، يخصص كل يوم فيها لشاعر من كبار الشعراء يعرض فيه ما كان يسمى رباعية مؤلفة من ثلاث مآس أي تراجيديا ثم مسرحية رابعة هزلية ويمنح الفائز غصن الزيتون وينقش اسمه على لوحة الخالدين ، ولكن منذ أن ظهرت الجماهير بوصفها جماهير مستهلكة ( بكسر اللام ) ، وأصبح أفرادها يدفعون الثمن الكامل لمتعتهم ، عندئذ فقط أصبحت الشروط التي يدفعون بها أموالهم عاملا حاسما في تاريخ الفن ، وأحيانا ما يكون تملقهم أو عرض ما يغريهم ــ وإن لم يكن في صالحهم ــ سمة أخرى من السمات التاريخية لوسائل الاتصال الجماهيري .

## جاذبية قانون أقل الجهود

وإذا كان استخدام الآلات في الانتاج قد أخذ يوفر من مجهود الانسان العضلي ، فانه قد استبدل بهذا المجهود مجهودا آخر لا يقل قسوة واستهلاكا للانسان وهو المجهود العصبي . فسائق السيارة أو الجرار مثلا قد يظل جالساً ست ساعات أو أكثر دون أن يبذل أي مجهود عقلي ، ولكنه مع ذلك يبذل مجهوداً عصبياً قاسياً بيقظته المستمرة وانتباهه المتصل . وقد أثبت علم التشريح أن الجسم أكثر عجزاً عن تجديد النشاط العصبي منه عن تجديد النشاط العضلي ، ولو أننا أضفنا إلى كل ذلك مشقات الحياة العصرية التي تزداد تعقيداً بالنسبة إلى الحياة البدائية القديمة ، لأدركنا مدى عجز الانسان المعاصر عن توفير ما يلزم من جهد وطاقة للقراءة ، بحيث يتضح لنا الأساس العضوي والنفسي الذي تستند إليه الاذاعة وغيرها من أجهزة السمع والبصر في منافستها للقراءة . فهذه الأجهزة تستمد قوتها من قانون انساني عام هو قانون أقل الجهود ، وجاذبية هذا القانون للانسان المجتهد في عصرنا الحاضر (٦) . فالناس ينظرون إلى هذه الأجهزة نظرتهم إلى أجهزة للتسلية والترفيه ، والثقافة تتطلب حالة نفسية جادة وتأهبا أراديا لتحصيلها ، ثم مجهوداً حقيقياً يجب أن يبذل في سبيلها .

ولكن من ناحية أخرى يمكن القول إن الاذاعة بتقديمها للمسرحيات تعزز أهمية النص الأدبي للمسرحية ، ولا تدع حركات التمثيل أو المناظر تطغى على ذلك النص بحيث يمكن القول إن الاذاعة تؤدي إلى تعزيز الأدب التمثيلي وتقريبه من اهتمام عامة الناس وذلك لأن حسن الالقاء والتنغيم وحسن استخدام المؤثرات الصوتية يضاعف من قوة تأثير النص الأدبي بما ينفث فيه من حياة دون أن تطغى الحركة التمثيلية والمناظر ــ كما سبق أن ذكرنا ــ على النص الأدبي (٧) .

## الكتابة في التيه

والمؤلف المسرحي يعرف دائما رأي جمهوره في مسرحيته فالتصفيق أو القهقهات المنبعثة من أرجاء الصالة أو الصمت التام أو الزحام على المقاعد دلالة على مدى ما يلقاه عمله من اقبال واعجاب . وعلى العكس من ذلك إذا قوبل عمله بالصفير وصيحات الاستهجان وخلو المقاعد من شاغليها . فالمسرحية لا تصبح عملا فنياً متكاملا حتى تقدم إلى جمهورها . ولهذا ربما كانت الرغبة في التعلم من الجمهور هي أثمن ما يستطيع الكاتب المسرحي الناشيء أن يكتسبه للتقدم في كتابة المسرحية وحتى كاتب السيناريو السينمائي ــ برغم أنه لا يعمل من خلال ممثلين من لحم ودم ــ إلا أنه يستطيع ملاحظة رد فعل عمله على الجمهور المحتشد في دار العرض ، كما أن هناك شباك التذاكر يدل كلا من الكاتبين ــ المسرحي والسينمائي ــ دلالة لا لبس فيها على مدى نجاح عمليهما جماهيريا .

ولكن المؤلف الاذاعي والتليفزيوني ــ على عكس صاحبيهما ــ يكتبان في تيه . فلكل منهما جمهور يقدر بأضعاف جمهور المسرح والسينما ، ولكنه جمهور خفي . فلا يمكن التأكد ــ في أية لحظة ــ ما إذا كانت هذه الملايين تشاهد تمثيلية أم أنها أغلقت أجهزة الاستقبال في وجهها . لهذا لا ينطبق عليها هنا القول المأثور بأن الجمهور جزء من التمثيلية .

والحقيقة أنه ليس للمؤلف الاذاعي أو التليفزيوني جمهور بالمعنى المتعارف عليه ، لكن له عدداً كبيراً من المشاهدين ، يشاهدون عمله إما فرادى وإما في مجموعات قليلة العدد . وهذا موقف جديد كل الجدة على المؤلف الدرامي ، وعليه كي يجابهه ألا يتعلم حرفة جديدة فحسب ، بل يتعلم وجهة نظر جديدة (٨) .

فالتأليف الاذاعي والتليفزيوني معناه ان المؤلف يحاول أن يقص قصة على شخص أو عدة أشخاص ليسوا مضطرين إلى سماعها ، ولم يتكلفوا أجر مقعد في دار عرض لمشاهدتها ولا تهيؤا خاصا لرؤيتها ، كما أن جو المنزل الغارق في الضوء يسمح بمشتتات وملهيات لا حصر لها . ومن ثم يتحتم على المؤلف التليفزيوني أن يستخدم كل براعته ، ويستفيد من

كل الحيل الفنية ، كي يجعل الأشياء واضحة أمام المشاهد وجذابة حتى لا يغلق جهاز الاستقبال .

يقول جورج لوثر في كتابه ( دليل التأليف التليفزيونى ) : إن على مؤلف التليفزيون ألا يشعل عود ثقاب بل أن يطلق صاروخا ، لا يأخذ بيدك في رفق بل يقبض على رقبتك ويقتلعك من مكانك اقتلاعا . بينما المؤلف الروائي والمؤلف المسرحي وكاتب السيناريو السينمائى في غنى عن ذلك (٩) .

## مجالات الاختيار

وكل ثقافة تتطلب اختياراً للنوع الذى يريده الانسان منها ، ومجال الاختيار فى كل من السينما والاذاعة والتليفزيون محدود بعدد دور السينما القريبة ومحطات الاذاعة وقنوات التليفزيون مما لا يقاس بمجال الاختيار فيما يراد قراءته من كتب ومجلات . وهى حرية تعود فتبعثها من جديد ــ فيما يبدو ــ انتشار الأشرطة السمعية والبصرية أو الكاسيت والفيديو كاسيت .

أخذ البعض على جهازى الاذاعة والتليفزيون أن مخاطبتها لعدد مهول من الجماعات يعمل على نشر روح القطيع : أى نشر ما يسمى بالكونفورميزم أي الطابعية التى تدمغ الناس بطابع واحد . وتصب أرواحهم وعقولهم فى قالب واحد ، مما يقضى على الأصالة الفردية وحرية الرأي والاختيار . وان كان يمكن القول من ناحية أخرى إنها تقرب بين العقول فى النظر الى الحياة والى المجتمع . وتنمى التقارب فى التفكير السياسى والاجتماعى والقومى (١٠) .

خلاصة القول ان الجمهور المتلقى تطور من جمهور المسرح أو الأوبرا أو الباليه وهو جمهور محدود العدد له ذوق متجانس ، يتأهب أفراده لقضاء سهرتهم ، بحيث يكونون جماعة ذات طابع خاص يختلفون عن المارة فى عرض الشوارع أو الجالسين على المقاهى . فلما اخترعت السينما كانت تكاليف الفيلم من الارتفاع بحيث أصبح على منتجيه أن يعرضوه على جمهور أوسع ، لا لاستعادة رأس المال المستغل فحسب بل وللحصول على أرباح . فأصبح الفيلم يعرض على شعوب مختلفة الأذواق والمستويات والتقاليد والعقائد ، وهو يحاول أن يخاطبها جميعاً وأن يجتذبها ويخرج النقود من جيوبها . وهكذا فقد الجمهور تجانسه النسبى الذى كان يتميز به جمهور المسرح والأوبرا ، بل وجمهور المقاهى فى بلادنا وهو يستمع إلى شاعر الربابة يغنى سيرنا الشعبية . فلما اخترعت الاذاعة والتليفزيون ، بقدر ما ازداد اتساع الجمهور بقدر ما قل الجهد المبذول من جانب المتلقى فى التهيؤ للاستماع أو المشاهدة . فلئن تضاءل تجانس جمهور السينما فقد كان هناك ما يزال جهد جانب المشاهدين فى الذهاب إلى قاعات السينما ودفع أجر معين عند الدخول والتأهب لقضاء سهرة كاملة ، كما أن الظلمة التى تشمل القاعة تعزل أفراد الجمهور بعضهم عن بعض رغم انهم يشعرون بتكتلهم مما يجعل احساسهم بالفردية والجماعية شبه متعادل ، فكأنما السينما بذلك كانت مرحلة وسطى بين فنون المسرح والأوبرا والباليه وفنون الاذاعة والتليفزيون .

تلك الفنون التى تسللت الآن داخل البيوت بحيث تضاعف عدد المشاهدين تضاعفاً مهولا ، لكن بقدر اتساع الجمهور بقدر ضحالته النفسية ، فليس ثمة تأهب خاص ولا جهد مبذول فى الاستماع والمشاهدة ، وليس ثمة عزلة للمتلقى تعينه على التركيز ، بل ربما يستمع الى الاذاعة أو يشاهد التليفزيون وهو يتسامر مع ضيوفه أو بعد عشائه ولهذا فمن الممكن ببساطة إذا لم يجذب العرض المشاهدين اغلاق الشاشة فى أية لحظة بحيث يصدق القول ( اتسعت المساحة وقل العمق ) .

والبعض مثل ديهاميل فى كتابه ( دفاع عن الأدب ) يعلن أن الثقافة الروحية مجهود وكل نظام للحضارة يضعف المجهود فهو يضعف الثقافة أيضاً .

## الاختراعات وبداية المشاكل

ويقول روجر م . بسفيلد ( الابن ) فى كتابه ( فن الكاتب المسرحى ) : لقد كان لزاماً على القصاص المسرحى ــ وذلك لعدة آلاف من السنين ــ أن يحصر نفسه فى مساحة محددة تؤدى فيها مسرحيته . وقد نمت هذه المساحة ، أو حلبة التمثيل ، بأشكال مختلفة خلال القرون إلا أن مظهراً وحيداً فذاً من مظاهرها ظل ثابتاً لا يتغير ، ذلك أن المساحات المحددة كلها كان يتم ترتيبها بحيث يستطيع جمهور من الناس محتشد فى كتلة واحدة ــ وليس أفراداً متباعدين ــ مشاهدة الحدث الذى يصوره الممثلون أو يحاكونه . وقد أطلقت المدينة على هذا المزيج الذى يتكون من التمثيلية وحلبة التمثيل وجمهور النظارة كلمة المسرح .

وبطلوع فجر القرن العشرين ، وظهور اختراعات إديسون وماركونى ، بدأ عصر الالكترونيات وبدأ المسرح فترة جديدة من التحول تبعاً لذلك ، ولم يعد الكاتب المسرحى هذا الوسيط الواحد فحسب ... وسيط المنصة المسرحية التى يقص من فوقها قصصاً ... بل أصبح يملك ثلاثة أوساط أخرى جديدة هي : شاشة الصور المتحركة ، فميكرفون الاذاعة ، ثم شاشة التليفزيون آخر الأمر .

وكانت الصور المتحركة أول هذه الأوساط الثلاثة ، وبظهورها أصبح فى وسع العدسة المتفحصة المستقصية أن تتلمس أدق العواطف وأشدها إرهافاً وتكبرها فوق شاشة واسعة ، كما بلغ فن التمثيل ــ فى تعبيره بقسمات والوجه واستخدامه وقفة التردد ــ مستوى جديداً رفيعاً . أما جمهور المتفرجين فظل كما هو محتشداً إلى بعضه البعض ، يستجيب لما يرى استجابة الجماعة الواحدة ، إلا أن الاستجابة الفورية بين الممثلين الأحياء وجمهور النظارة تلاشت واختفت ، ومن ثم كان على كاتب الدراما أن يغير من فنه الكتابى . وفى مقابل ما خسره الممثل السينمائي من علاقة مباشرة بينه وبين جمهوره ، فقد كسب انتشاراً أوسع لأن العلاقة بين السينما والمسرح كالعلاقة بين الكتاب المطبوع والكتاب المخطوط .

ثم ظهر الوسيط الاذاعى . وهنا نشأ مسرح التخيل الذهنى ، وتفتت جمهور القرن العشرين إلى أفراد أصبحت أذهانهم ــ عبر آذانهم ــ هى المدرج الجديد الذى يكتب له المؤلف المسرحى . كما أصبحت أصوات الآلات وأصوات الممثلين والموسيقى حافزها المستثير ، واكتشف القصاص الدرامى فناً كتابياً جديداً للربط بين الحدث والشخصيات فى تمثيلياته وبين الأذن الانسانية المدركة .

ولكن العلم لم ينقطع مدده للمؤلف المسرحى ، فما لبث أن أتاح له القرن العشرون المزاوجة بين العناصر البصرية لشاشة الصور المتحركة وبين قدرات الالكترونيات فى اجتياز المسافات وذلك عن طريق وسيط جديد هو التليفزيون ، ومن ثم أصبحت غرف الجلوس فى جميع أرجاء العالم هى مدرجه الجديد .

**يوسف الشارونى**

## المراجع :


١ ــ يوسف الشارونى ، القصة والمجتمع ، سلسلة كتابك رقم ٧٤ ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

٢ ــ بادي شايفسكى ، ثلاث تمثيليات للتليفزيون ، ترجمة صلاح عز الدين ، مكتبة مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

٣ ــ أرنولد هاوزر ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١ جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ــ ٤٩٩ .

٤ ــ كنجسون وكاوجيل آخرون ، الاذاعة بالراديو والتليفزيون ، ترجمة نبيل بدر ، المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ ــ ٩٢ .

٥ ــ المرجع السابق ، ص ١١١ ــ ١١٢ .

٦ ــ د . محمد مندور ، الثقافة وأجهزتها ، مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ، ١٩٥٨ ، ص ٢١ و ٢٢ .

٧ ــ المرجع السابق ، ص ٢٥ .

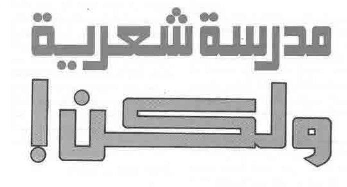
٨ ــ سير بازيل بارتليت تأليف التمثيلية التليفزيونية ، ترجمة عزت النصيرى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٣٨ .

٩ ــ جورج لوثر ، دليل التأليف التليفزيونى ، ترجمة عزت النصيرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

١٠ ــ الثقافة وأجهزتها ، ص ٢٨ .

١١ ــ جورج ديهاميل ، دفاع عن الأدب ، ترجمة د . محمد مندور ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ٤٢ .

هل يتحول شعرنا إلى جولة بغير دليل في دار للمجانين؟





محمود سامى البارودى


خليل مطران

بقلم: الدكتور كمال نشأت



المتابع لحركة الشعر ومسارها ابتداء من أوائل نهضتنا يراه مواكبا لحياتنا . معبراً عن تطورها الحثيث . فالشعر جنس من الأدب يصور كما تصور الأجناس الأخرى الحياة فى المجتمع .. من هنا كان تطوره إيذاناً بتطور مجتمعنا ، ورصداً لمساره الحضارى ابتدأ البارودى حركة احيائه وتلقفه مطران ليمنحه نسغاً من الحياة الجديدة المتأثرة بشعر الغرب ، ولكن فى حدود . وأكمل عبد الرحمن شكرى درب تطوره ، ووضع له العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وميخائيل نعيمه . قواعده الجديدة .

كل هؤلاء وضعوا أسساً وقواعد فى الشعر جديدة .. وكانت الصبغة الرومانسية نابعة من البيئة العربية ، وإن وجدت متنفساً لها فى الشعر الرومانسى الغربى الذى اطلع كلهم عليه فى لغته الأصيلة . فكانت نماذجهم الشعرية نماذج جديدة وإن حملت هموم الناس وتطلعهم الى شعر جديد يواكب نهضتهم الحضارية ، وإذا بحال المجتمع كالذى يقف برجلين : رجل فى القديم وأخرى فى الحديث ، ذلك أن فشل المحاولات السياسية لنيل الاستقلال ، ووجود المستعمر الأجنبى فى أغلب الأقطار العربية ، خلقا حالة من عدم التوازن النفسى والاحباط الفكرى ، وإننا لنجد أصداء ذلك كله فى شعر الجيل الرائد أمثال شكرى ، وخليل مطران ، وأبو شادى ، والعقاد والمازنى .

كان المجتمع العربى يفور ويغلى متطلعاً الى النموذج الغربى فى كل شيء — والملاحظ — فى المجال الذى يهمنا وهو الأدب — أننا دائماً نأخذ عن الغرب تياراته ومذاهبه الأدبية بعد أن تكون هذه التيارات قد انتهت فى بيئاتها الأصلية ، ولذلك كانت رمزية شكرى وأديب مظهر وسعيد عقل ، مثلا تنمو فى شرقنا العربى بينما هى ماتت فى أوروبا .

على أننا ونحن نذكر هذه الحقائق لا ننسى أن نشير الى الشعر السريالى أو الذى اجتمعت فيه مذاهب أو مدارس مختلفة مثل الشعر العربى الحديث ، الذى خرج شعراؤه عن الواقعية أو الرومانسية أو الرمزية ، وكتبوا شعراً جمع بين هذه المدارس كلها .

إن التطور الذى مس شعرنا كان تطوراً حاسماً سريعاً ، والتأثر شيء طبيعى فى مجال الأخذ عن الآخرين ، فلابد أن ينشأ تيار ما أو مذهب ما يلتفت إليه الناس فى موطن نشأته ، فاذا آمن به جيل من الشعراء بحيث تتوطد تعاليمه لتؤثر فى أدب هذا الجيل كان من الطبيعى أن المتأثرين به فى أمة أخرى يحتاجون الى وقت ليس بالقصير حتى يتأثروا به ، وهذا هو الذى حدث فى أمر تأثرنا بالتيارات الشعرية الغربية الحديثة .

وهو أمر — كما ذكرنا سابقاً — طبيعى لا شذوذ فيه .

## حركة بلا هوية

إلا أن شعرنا الذى مر بمراحل متباينة قد تعرض الى تيار جديد كان مزيجاً من تيارات مختلفة ، ابتدأ من الستينات ، وكتب نماذجه



أدونيس



إليوت

الأولى الشاعر السورى (أدونيس)، وقد تأثر به جيل كامل من الشعراء على اختلاف فى مستويات التأثر، وقد استفاض هذا التيار الذى يقوم ــ اذا حاولنا رده إلى أصوله ــ على مزيج من الرمزية والسريالية والتصويرية، ومع انه شكل مدرسة، إلا أنه لم يجد من يضع لها اسماً .. إنه حركة شعرية موجودة دون اسم يحدد هويتها، ولقد لعب اليوت فى رفد هذا التيار دوراً هاماً، خاصة أن شعراءه قد تأثروا باعتماده على الأساطير، وان كان شعره أكثر تماسكاً ووضوحاً.

لقد اعتمد إليوت فى مذهبه الشعرى على الشعر الميتافيزيقي الذى احتفل بالذهنيات، وعلى الشعر الفرنسى الرمزى الذى ابتعد عن الوضوح، ولجأ الى البلورة والايحاء، وعلى «الإيماجيين» الذين يعتمدون على (الصورة) وعلى رأسهم الشاعرة (إميلى دكنسون) والشاعر (إزرا باوند). كان إليوت يؤسس مذهباً خليطاً من هذه الاتجاهات، وكان أهم ما دعا إليه هو (المعادل الموضوعى) الذى أقصى الذاتية الفردية وجعلها تختفى خلف معادل ما من الأساطير والمواقف الموضوعية البعيدة عن ذات الشاعر. أما السريالية فقد أنكرت الواقع الخارجى واعتمدت على كشوفات علم النفس، خاصة (اللاشعور) الذى تكمن فيه وراثات الجنس البشرى وخبراته، فدعت الى (الكتابة الآلية) التى لا يحدها منطق، ولا يتدخل فى جريانها عقل، ومثلما يعبر (الحلم) عن الانسان حيث تتدفق الصور الخرافية دون عقلانية أو منطق، تتدفق على الشاعر السريانى القصيدة التى يجب أن تتابع صورها فيكتبها ــ وهو فى غفوة العقل اليقظ ــ دون مراجعة، وعليه ان يكتب بسرعة مثلما يكتب كاتب الطابعة السريع الطبع ما يمليه عليه متحدث سريع الكلام، وهى الكتابة التى أسماها، أندريه بريتون، الكتابة الآلية.

هذه باختصار شديد التيارات التى غزت الساحة العربية، فأثرت فى مجرى، الشعر العربى الحديث عند جيل من الشعراء وإن كانت الرمزية أقدم تأثيراً فى شعرنا الحديث، وقد كان هذا التأثر عن طريق القراءة المباشرة من قبل الشعراء الذين يجيدون لغة أجنبية، وهم قلة، أو عن طريق التأثر ببعض الشعراء الذين تمثلوا هذه التيارات، وعلى رأس هؤلاء الشاعر (أدونيس) الذى يجيد الفرنسية، ويتابع حركة الشعر الحديث، وهو قادر على تنظير وجهة نظره المتأثرة بالتيارات الحديثة فى الشعر الأوروبي قدرته على تقديم النموذج الشعرى الذى يحاول أن يحقق فيه وجهة نظره الشعرية : وقد تابعه جيل كامل من الشعراء ومازالوا، واذا بهم يدورون فى فلكه، لا يستطيعون الخروج فيه بشخصيات مستقلة، والقادرون على ذلك كانوا قلة محدودة.

على ان هذا التيار المزيج من الرمزية والسريالية والتصويرية كانت السريالية عماده الأول، وقد اختلف الشعراء الذين ينتسبون إليه بعد ذلك فى مدى استقلالهم منه، ومدى تأثرهم بالنماذج الشعرية التى كتبها الكبار فيهم .. وهكذا اختلفت المواقف، وتشعبت الاتجاهات داخل هذا التيار، فوقع الكثيرون فى متاهة العرضى والتافه والتقليدى، فالشعراء يشتركون فى الصور والتعابير وطريقة صياغة الجملة حتى أصبح شعر هذا التيار قصيدة واحدة تنشر بأسماء مختلفة.

أما الشعراء الذين أثبتوا وجودهم فى الساحة الشعرية واستفادوا من كل التيارات الغربية وتمثلوها، وعرفوا كيف يستفيدون منها ممزوجة بتراث أمتهم الشعرى ولم يفقدوا صلتهم بجمهور الأدب، فقد كانوا قلة.

أما فى الشعر الانجليزى الذى خضع كثير من شعرائنا لأثره وتأثيره فقد كان (ديلون) توماس) شاعراً استغرق نفسه فى التعمية المقصودة، حتى أن المسودات التى كتبت فيها قصيدة واحدة من شعره بلغت سبعاً وأربعين ورقة، وكثير من جملها قد شطب وغير مرات عديدة بلغ أقصاها احدى وأربعين مرة للجملة الواحدة (راجع «ديلان توماس» لجبرا ص١١٨) وقد اختلف النقاد فى الحكم عليه .. من هنا كان رأى هـ. ج. بوريتوس الذى قال فى شعره (إنه جولة بغير دليل فى دار للمجانين) أما ستيفن سبندر فقال (انه مجرد مادة شعرية لا أول لها ولا آخر، ولا سيطرة عليها ذكية أو مفهومة) .. لقد ظل ديلان (لعشرين سنة غير مفهوم لدى معظم الشعراء والنقاد المدركين فى زمانه) .. وعلى الرغم من النقاد الذين وقفوا الى جانب شعره، فإن الاختلافات حول هذا الشعر كانت عميقة وكثيرة، ولا عبرة بأن ديوانه قد طبع مرات خلال سنتين، فإن القاءه المذهل للشعر خلال ندواته الشعرية فى انجلترا وأمريكا يقف ــ فى رأينا ــ وراء هذا النجاح !

واذا كان الخلاف على شعر ديلان توماس عميقاً فى بيئة لم يشكل هذا الشعر مفاجأة لها لأنه قد نما نمواً بطيئاً وصحياً على أسس سابقة استقرت فى البيئة الأوربية، واندامج فى نفوس الناس وأذواقهم .. أقول إذا كان شعر ديلان توماس هو حصيلة كل هذه المذاهب، وهى تقف وراء كل بيت من أبيات شعره، ومع أنه ثمرة لكل هذه المذاهب الشعرية فإن عدداً كبيراً من النقاد الغربيين الذين عاشوا هذه المذاهب يرفضون شعره ويرمونه بالجنون أو التصنع والافتعال الغامض الخ ..

فاذا كانت هذه هى حال كثير من الأدباء والنقاد أمام هذا التيار الشعرى الذى نما نمواً طبيعياً فى بيئاته الأصلية، فما هو حال جمهورنا المتذوق للشعر الذى يفاجأ بهذا النمط دون مقدمات من مذاهب أدبية معينة تعيش خلال عشرات السنين وتلون الذوق العام، وتهيىء هذا الذوق لتقبل تيارات جديدة تتوالد من هذه التيارات : فالمعروف أن أى مذهب جديد لا يخرج من عدم، ولا يأتي من الهواء، وإنما هو جنين شرعى لما سبقه .. أرجع لأقول : كيف يتعاطف القارىء العربى مع هذا التيار وقد نما ذوقه ــ عبر أجيال ــ على شعر يهتم بالعلاقات القريبة بين الأشياء وكان أقرب إلى الواقع وبساطة الخيال.

ان هذه النقلة الشعرية فى مسيرتنا الابداعية كانت مفاجأة باترة حادة، ولم يكن لها تمهيد على الاطلاق. ولأنها قادمة من بيئات ذات تطور حضارى معين، كانت الهوة عميقة بين الجمهور المتذوق للشعر وهذا التيار الجديد، وقد ساعد على انصراف الناس عنه النماذج الغريبة الشاذة التى اطلعوا عليها. من هنا كان عدم التعاطف معه على المستوى العام، وإن كان الشعر المعقول فى هذا التيار يحتاج بطبيعته إلى جمهور خاص من النخبة، ويكفى أن تسأل قارئاً محباً للشعر عن اسم شاعر يعجب به لتدرك أن اسماً واحداً من شعراء هذا التيار لا يمر بذاكرته، وستتأكد أن الشعراء الذين لا يتجاوزون عشرين شاعراً أو أكثر قليلا هم الذين يقرأون بعضهم البعض، وخارج هذا العدد المحدود لا أحد يعرف شيئاً عن هذا الشعر وأصحابه.

## نقد مشروع

إن النقد الذى يوجه الى هذا التيار الشعرى الذى بدأ منذ الستينات، أى حوالى ربع قرن، يمكن اختصاره فيما يلى :

• لم يفرز هذا التيار شاعراً ناجحاً ولا أقول جهيراً على الرغم من مرور هذه المدة الكبيرة، وأدونيس نفسه، وهو رائد هذه المدرسة، معروف




كشاعر قبل أن يتبلور عنده هذا التيار .

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يقدموا ( قصيدة واحدة ) ممتازة ، يتفق جمهور الأدب ومتذوقوه على امتيازها مثلما اتفقوا على امتياز ( سدوم ) لأبي شبكه و ( صلوات في هيكل الحب ) للشابي و ( أخي ) لميخائيل نعيمه و ( لست أدرى ) لأبي ماضي و ( أنشودة المطر ) للسياب الخ ..

• عدم قدرة القارىء على حفظ قصيدة واحدة من هذا الشعر ولاشك أن انعدام المنطق في تركيب الجملة والغموض الذى يرين عليها عامة يقف وراء هذا العجز .. من هنا كان هذا الشعر متأبياً على القراءة .. والفهم .. والحفظ .. والتلحين ( كأى شعر آخر ) بعيداً عن أن يكون نموذجاً أدبياً راقياً يختار منه لتنمية الذوق الأدبي للطلبة ( كأى شعر آخر ) .

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يكتبوا أو يكتب واحد منهم مسرحية شعرية .. وهذا شيء طبيعي .. فاذا كانت القصيدة المفردة لا تحقق تواصلا فنجاحاً لدى الناس المهتمين بالشعر ، فما بالك بمسرحية ؟

## العيب في القصيدة

• يحتاج هذا التيار الشعرى إلى مقاييس نقدية جديدة ، فالمقاييس التي يعتمد عليها النقاد قد استقرت في الساحة الأدبية بعد مئات السنين استنتاجاً من واقع النصوص الأدبية الممتازة ، وهذه المقاييس تنادى مثلا بوحدة القصيدة ، ولنقل وحدة الموضوع على الأقل .. فأين هذه الوحدة في أغلب شعر هذا التيار ؟ وهذه المقاييس تنادى بأن الانسجام بين تجربة القصيدة وايقاعها اللفظى من معالم نجاحها الشعرى ولكن القصيدة المنتمية الى هذا التيار لا ايقاع لها يتفق مع نوعية تجربتها .. لأن التجربة ضائعة .. مهوشة .. مبهمة ، والقصيدة كومة من المجازات والمجردات .. من هنا كان النقاد الشباب الذين تناولوا بعض شعر هذا التيار يقفون في فراغ القصيدة ، فيدورون حولها من الخارج ، لأن داخلها معتم لا يبين شيئاً ، فيعمدون الى العموميات ، والعموميات تؤدى الى الانشاء وخلق الجمل الأشد غموضاً من القصيدة المنقودة ، واذا بنا — في السنوات الأخيرة — نقرأ نقداً غامضاً وانشاء لا يفصح عن شيء ، والعيب غالباً عيب القصيدة التي لا تقدم إلا هذه الألاعيب اللفظية ، فليست هناك تجربة شعورية ذات صلابة تتيح للناقد أن يتعامل معها .

• كانت نتيجة هذه المجازات التي لا يمسكها منطق ، ولا يحددها ذوق أدبي متمرس ، أن وقر في ذهن كثير من الشباب الأدباء أن الغموض هو سبيل التعبير الوحيد ، وها هو كاتب شاب يكاد ينكر الوضوح فيعتذر له مبرراً .. يقول ( وإن لم يكن الشاعر مفهوماً واضحاً فما ذاك بعائب له ، فهو ذو قضية أصبحت ( موضوعه ) الشاغل الذى يصب فيه مضامينه ..

ولنا أن نسأل : اذا كان هذا التيار الشعرى يمثل مرحلة في الكتابة الشعرية تجريبية الوجه والهدف .. فالى أى حد نجح ؟ وما الأعمال التي قدمها ؟ هذا سؤال يجب أن يكون هدف الأدباء والنقاد ؟

إن هذا التيار قد انتهى في الشعر الانجليزى الحديث .. مات .. وماتت مدرسة إليوت منذ ثلاثين سنة بتأثير الشعراء الشباب أصحاب ما يسمى بـ ( الحركة ) الذين أرجعوا الشعر الى بساطته .. وغنائيته .. ورومانسيته ، واذا بهذه الرومانسية التي كانت سبة في حق الشاعر ( العجيب أنها مازالت عندنا نحن المقلدين للتيارات الأدبية الغربية ! ) تكون المعلم الرئيسى لهذا التيار الذى قوض .. التجريد والغموض واستخدام الأساطير والثقافات المختلفة في وقت — كما قلت في مكان آخر — أصبح الناس يحتاجون القصيدة ( الواحة ) لا القصيدة ( اللغز ) بسبب من تعقد الحياة والتهديد بحروب تفنى فيها الأسلحة الشيطانية الانسانية كلها ، فضلا عن ارتفاع الأسعار العالمي .. وفساد الحياة الحضارية الآلية التي يعيشها الناس .

يؤكد كلامى هذا ، كما يؤكد صحة الحركة الشعرية الجديدة في انجلترا ، ما نشرته جريدة الثورة العراقية في العدد الصادر بتاريخ ١٨ آيار ١٩٨٣ : ( أقيم في مدينة نيويورك المؤتمر السنوى لعشاق الرواية الرومانسية حضره ٤٠ مؤلفاً وكاتباً وكاتبة في الرواية الرومانسية من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وتمت خلال المؤتمر مناقشة العديد من الموضوعات الخاصة بهذا النوع من الكتابة الذى زاد الاقبال عليه من قبل القراء والذى بلغ عددهم ٣٠٠ مليون قارىء ، وتمثل نسبة المبيعات فيها ٤٠ في المائة من مجموع الكتب التي تصدر في الولايات المتحدة ... ) .

**بين أدب البساطة وأدب العُقَد النفسية**

أما جريدة الجمهورية ففي عدد من أعدادها ( الثلاثاء ١٧ آيار ١٩٨٣ ) خبر له دلالة تؤيد هذا الاتجاه . يقول الخبر ان رواية ( الجندى الطيب شفايك ) للكاتب التشيكى ( جاروسلوف هازيك ) قد ترجمت الى خمسين لغة أجنبية وحققت شهرة عالمية و ( ان عناصر المرح والدعابة والسخرية التي تطبع أعمال ( هازيك ) على تضاد مع اليأس القائم والكآبة التي تصورها أعمال معاصره وابن بلده ( فرانز كافكا ) الذى ألف كتبه بالألمانية والذى يبدو أنه يستأثر باهتمام أقل من ( هازيك ) على صعيد تخليد ذكراه ، إذ تصادف هذا العام أيضاً الذكرى المئوية لميلاد كافكا ) ..

## العودة الى البساطة

وفي هذين الخبرين المختلفين دلالة لا تقبل الشك على اتجاه الأدب في العالم كله الى البساطة والى التفاؤل والى روح الرومانسية .. بعد أدب التعقيد والعقد النفسية واستعراض العضلات الثقافية ( إليوت ) والغموض الذى لا يفصح عن شيء ( ديلان توماس ) .. يجرى هذا في العالم كله وتحدث هذه الارتدادة لأن طبيعة الحياة استوجبتها ، ولكننا نحن المقلدين لتيارات الغرب الأدبية أشد حرصاً على هذه التيارات الأدبية التي تركها مبتدعوها !

إن الشيء الذى يجب أن يعرفه شعراؤنا هو أن الانتماء الى تيار شعرى معين لابد أن يبرره قرب مزاج الشاعر وتكوينه النفسي لهذا التيار .. فالشاعر الغنائي طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً رمزياً ، والشاعر الرمزى طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً واقعياً .. ولكن أن ينتمى جيل بأكمله الى تيار ما .. وافق أمزجة الشعراء وطبائعهم أم لم يوافق ، فهنا الخطورة ..

والعجيب أن شعراء هذا التيار يعتقدون أن طريقتهم في الكتابة الشعرية هي الطريقة الوحيدة ، فهم يتهكمون على الشعراء الآخرين الذين لا ينتمون الى تيارهم وكأن الشعر ( مودة ) كما يحدث في مجال الأزياء في الوقت الذى لا يرتقى فيه شعر في أمة ما إلا اذا ترك الشعراء يقولون في الأسلوب الذى يلائم مزاجهم وطبائعهم .

من هنا كان تشابه وجوه الشعراء لأنهم دخلوا ( القالب ) . ولأن التيار أصلا مفاجأة غير متوقعة للذوق الأدبي العربى كان هذا الحاجز العالى بين شعر هذا التيار وجمهرة المتذوقين ، وان كانت هناك نماذج ناجحة فالذين يتعاطفون معها قلة من النخبة الذين تمرست أذواقهم على نماذجه الغربية لتمكنهم من لغة أجنبية .

كمال نشأت

# كائنات

شعر: محمد آدم

في الحجرة
معتمة الضوء
تموجُ الأشياء
وتدخلُ ريحٌ من فتحاتِ الحائطِ
تدْهَمُ مصباحَ الغازِ الموقدَ
يهتز قليلاً
ويغيبُ الضوءُ المتأرجحُ
ما بينَ الظلمةِ
والظلِ
فأبحثُ عن عودِ ثقابٍ
أُشْعِلُ قِنْديلاً
هلْ تأتي السيدةُ الآنَ
ويأتي الطيرُ البحريُّ
من السفرِ المترِبِ
عبرَ الغاباتِ
المتلاصقةِ الأطرافِ
انفرطَ المطر الليليُّ
على قِطْعَانِ الأيلِ المتحركِ
صوبَ النبـعِ
السـاكنِ
صمتٌ
يخرقُ أرجاء القريةِ
مازالتْ أبخرةُ الليلِ تُحلِّقُ
فوقَ الأعمدةِ المتساقطةِ
الضوءِ
كلابٌ تتعاركُ فوقَ الوحلِ
المُتألقِ
مازالَ الفَجرُ يُعَرِّشُ
خِلْوَتَه
والسيدةُ تُرَتِبُ زينتَها
وتعدُّ الشـايَ
الرجلُ الكهلُ - المتأنقُ -
يتأبطُ
فَزَعَ طفولتهِ
ويثرثرُ
عن حربٍ قد شارَكَ فيها
من زمنٍ
لا يتوقفُ فوقَ عقاربِ
ساعتهِ
قِطعٌ من غيمٍ أبيضَ تَسَّابَقُ
ناحيةَ الأفقِ المُعْتمِ
وتخلِّفُ أشباحاً
من غيمٍ
يتراكضُ
في ذاكرةِ الوقتِ
وها هيَ ريحٌ تَطْرُقُ بابي
وتَنْقُرُ فوقَ الجدرانِ
المتصالبةِ
على أنقاضِ العشبِ
هدأتْ أمطارُ الليلِ
ابتدأ رجالُ الدَرَكِ
يجوبونَ
شوارعَهُمْ
في الحجرة
معتمةِ الضوءِ .



## على طريق النهضة في قطر




بقلم
درويش مصطفى الفار

علم صناعة الخرائط بأنواعها من سمات الحضارة الإنسانية ، منذ بدأ الإنسان يعقل . ولا تستطيع دولة من الدول أو مجموعة من البشر ، فى زماننا هذا أن تدعى الانتماء إلى الركب الإنسانى ومواكبة التقدم العلمى المعاصر إذا لم تعط لعلم صناعة الخرائط ما يستحق من اهتمام ، وتبذل فى سبيله من الجهد والمال ما ينبغى له ..

والخريطـــة أو الخارطـــة كلمة جـديدة فى لغتنا العربيـــة إذا أردنا بهـــا تلك اللوحات التى نستبين منهـــا ، بمختلف المقـــاييس ، مواقـــع الأمـــكنة على ســـطح هـــذه الأرض برا وبحـــرا ..



وكان جغرافيونا الأقدمون ، كالمسعودى ، والجيهانى ، وابن خرداذبة والعذرى وابن حوقل والكيماكى والقردى واليعقوبى والمنجم والبصرى والادريسى يسمون الخرائط : مساحة الأرض ، أو صورتها ، أو رسمها ، ولم ترد فى كتبهم كلمة خريطة أو خارطة ...

ولا نود أن ننحو منحى المتزمتين والمتنطعين ، الذين يطيب لهم الجدل العقيم فى أن الشاعر الانجليزى ( شكسبير ) من أصل عربى وكان اسمه ( شيخ زبير ) ....

فقد ظهرت كلمة ( كارت ) أو ( تشارت ) بمعنى الخريطة أو الخارطة فى سنة ١٥٧١ فى اللغة الانجليزية ، وكان الانجليز آنذاك أكثر الناس اهتماما بصناعة الخرائط ، تمهيدا لإنشاء الامبراطورية ..

واشتقت تلك الكلمة من كلمة اغريقية وأخرى لاتينية معناهما رقعة من ( البردى ) أو قرطاس من البردى . وكان البردى ورق الكتابة منذ أن اخترعه المصريون القدماء على ضفاف النيل ..

ولا أدري هل ( قرطاس) العربية هي الأقدم بين الناس أم (خارطس ) الإغريقية أم ( كارد ) أو ( شارتا ) اللاتينية .

ثم استخدموا كلمة ( تشارت ) سنة ١٦٠٥ لتسمية لوحة دائرية من ( الكاغد ) أو الورق المقوى ، يعلوها اثنان وثلاثون خطا كل منها يبدأ من مركز الدائرة ، لتبيان الجهات الأصلية على البوصلة .. أما كلمة ( ماب ) الانجليزية فقد استخدموها سنة ١٥٢٧ ، اختصارا لعبارة لاتينية تلفظ ( مابا موندى ) بمعنى صورة الأرض من سطحها ..

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة ، إذا قلنا إن كلمة خريطة أو خارطة كما نستعملها اليوم فى لغتنا العربية هى تعريب أو توليد من كلمة ( تشارت ) أو ( كارتا ) .. تماما كما أخذنا من الآخرين كلمات ، جغرافيا ، وفيزياء ، واسطرلاب ، وكما أخذ منا الآخرون كلمات ، الجبر ، واللوغاريتم ، والترسانة ، والقند ، وما إلى ذلك .

• والخرائط فى الحضارة الإنسانية ، على طول الزمان ، أنواع واشكال لا غنى للناس عنها فى السلم والحرب والبر والبحر ، وحتى نجوم السماء ومجراتها ، صنعوا لها الخرائط بمختلف المقاييس ..

• ولعل من أهم أنواع الخرائط التى يتداولها الناس كأساس لبناء أنواع العمران الحضارى ، ما نسميه الخرائط الجيولوجية ..

• والخرائط الجيولوجية تتميز عن غيرها من الخرائط ، فى أن نوعاً منها ، تعبير عن (الزمان والمكان ) معا ، بينما غيرها من الخرائط والمخططات هى تعبير عن المكان فقط ..

• وإذا كانت الخرائط عادة ، صورة لسطح الأرض من ظاهره ، فإن الخريطة الجيولوجية تبيان ، عند أهل الاختصاص ، لباطن الأرض وما تحت سطحها ، لأن المشتغل بعلم الخرائط الجيولوجية ، يستطيع بما لديه من العلم والخبرة والممارسة ، أن يرى باطن الأرض من ظاهرها !!!!

فإذا نظر المختص إلى خريطة قطر الجيولوجية مثلا ، ووجد أن سطحها تغطيه طبقات العصرين ( المايوسين ) و( الايوسين ) الأوسط والادنى ، علم انه بالحفر يمكن اختراق طبقات العصور المتتابعة من الأحدث الى القديم ، الطباشيري والجورى

والترياسي والبرمي والفحمي والديفوني والسيلوري والاوردوفيسي والكامبري ، وان ما فوق الميوسين ، من طبقات البلايوسين والبلايستوسين ، إما أنها لم تترسب أصلا على سطح شبه الجزيرة ، أم أن عوامل التعرية قد محتها خلال الأحقاب منذ بروز شبه الجزيرة وجزر حوار والعاليه والسافلية من تحت الماء .. وان غياب طبقات الأيوسين الأعلى والمايوسين الأدنى والأوليجوسين والباليوسين ، قد يعود إلى واحد من أسباب عديدة لا مجال هنا لحصرها ..

وقد بدأ العلماء في الاهتمام برسم الخرائط الجيولوجية لسطح الأرض منذ زهاء قرنين من الزمان ، باستثناء أقدم خريطة جيولوجية عرفها علماء التاريخ حتى اليوم ، وهي بردية ثورين التي يرجح الباحثون أنها لمنطقة منجم ذهب الفواخير بالصحراء الشرقية المصرية ..

وقد حاول العلماء في البدء تمييز أنواع الصخور على سطح الأرض من نارية وبركانية ورسوبية متماسكة ورسوبية لا تزال سائرة إلى التماسك كالكثبان الرملية ورواسب الأنهار والشطوط والأوشال والسباخ والبحيرات والبطائح ، وسموا الأولى بصخور العصر الأول والثانية بصخور العصر الثاني والثالثة بصخور العصر الثالث ، دون أن يؤكدوا حقيقة العلاقة الزمانية بين تلك المجموعات الثلاث الكبرى ..

ثم تصادف أن اكتشف مهندس انجليزي يدعى وليم سميث سنة ١٨١٥ أن الطبقات المتتابعة تتمايز عن بعضها البعض ، مهما امتد بها المكان ، بوجود بقايا مستحجرة من القواقع والمحارات وعظام الأسماك وغيرها من الحيوان ، وأوراق النباتات البائدة ، فاستنتج أن ذلك التشابه في المحتوى الأحيائي المندثر ، لابد وأنه يعني علاقة زمانية قطعا ، أي أن كل الطبقات ، وان اختلفت سحنتها ، التي تحتوي على مخلفات ما انقرض واستحجر من المخلوقات ، تنتمي إلى بحر واحد ترسبت فيه بما كان يعج به ذلك البحر في زمانه من الأحياء ..

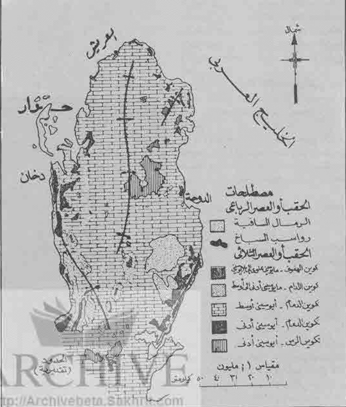
ومن هنا بدأ اهتمام العلماء بالعلاقة الزمانية بين الصخور وطبقاتها ونشأ ذلك الفرع من علم الجيولوجيا الذي نسميه علم الاستراتيغرافيا أو علم الطبقات ..

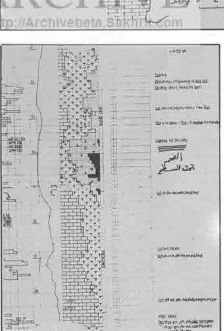
وهذا الفرع من العلم هو الذي يقودنا إلى مظان زيت الصخر أو النفط وكذلك الغاز ..

ولولا قواعد هذا العلم وقوانينه ، لما تسنى في الثلاثينات ، الاقتناع بحفر أول الآبار وما تبعها في منطقة دخان بغرب قطر ، وما نجم عن ذلك من خير ونعمة وفضل من الله ..

ولعل أقدم ما نعرف عن التخريط الجيولوجي لشبه جزيرة قطر كان ما عمله بلجريم سنة ١٩٠٨ ..

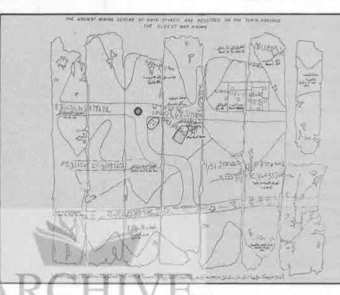
وكان بدء الاهتمام بعمل الخرائط الجيولوجية لدولة قطر ومياهها الإقليمية ، من مجموعة جزر



خريطتان : الأولى تمثل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر .. أما الخريطة الأخرى فهي طبقات من الفحم الحجري ، يبلغ سمكها زهاء أربعين قدما ، في العصر الطباشيري الأدنى ، على عمق تحت سطح الأرض في شبه جزيرة قطر ، وقد أسفر عنها الحفر بحثا عن النفط والغاز الطبيعي ، وربما تكون ذات فائدة اقتصادية يوما ما ..

# الخرائط الجيولوجية




أقدم خريطة جيولوجية عرفها الانسان.. ويرجع تاريخها إلى عهد الملك سيتى الأول ( ١٣١٣ ق . م ) وتمثل منجما للذهب بالصحراء الشرقية بمصر . وهى محفوظة بمتحف تورين بإيطاليا

خريطة جيولوجية لشبه الجزيرة العربية

( حوار ) غربا إلى جزر حالول وشراعوه شرقا ، قد بدأ فى الثلاثينات من هذا القرن الميلادى .. ولقد تواصل العمل فى صناعة الخرائط الجيولوجية لدولة قطر دون انقطاع منذ أن كان رسم الخريطة الجيولوجية بأنواعها ، الاستراتيغرافية والتركيبية يقوم على أساس العمل بالطرق التقليدية باستخدام اللوحة المسطحة أو ( البلانشيطة ) وما يكتنفه من مشقة وعناء ، إلى استخدام الطائرات والمصورات الفضائية ، مما يسمونه فى مصر ( الاستشعار عن بعد ) ويسمونه فى العراق ( التحسس النائى ) ويطيب لنا أن نسميه ( الاستشراف ) ترجمة لكلمتى ( Remote Sensing ) ، وهى ترجمة فى رأينا عربية تعنى تماما معنى اللفظة الأجنبية ..

وإذا كان عمل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر ، قد استقطبه البحث عن مظان النفط والغاز بالدرجة الاولى ، فإن البحث عن الثروة المعدنية والحجرية قد ناله بعض العناية أيضا ، مما أسفر عن وجود الجبس ، وطين الأثابولجايت وكبريتات الاسترنشيوم ( السلستاين ) وكبريتات الباريوم ( الباريت ) والحجر الجيرى الصلب ، وأنواع الحصى والرمال ..

ولكن الأمل لا يزال معقودا على أن تتبنى دولة قطر ، استكمالا لمسيرتها الحضارية ونهضتها ، إنشاء ( مساحة جيولوجية ) مستقلة ، لكى تضطلع :

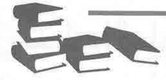
(١) بتجميع كل ما سبق ، حتى الآن ، الحصول عليه من معلومات جيولوجية فى مضمار البحث عن النفط والغاز ، لكتابة ( جيولوجية قطر ) وتاريخها خلال الأحقاب بطريقة مستوفاة كاملة .

(٢) ودراسة المحتوى الحفرى للأحياء المستحجرة الكبيرة والمجهرية من النبات والحيوان ، دراسة مستوفاة متكاملة ، سواء فى الطبقات الظاهرة على السطح ، اعتبارا من الحقب القديم الذى تظهر طبقاته وما يقطعها من الجدد البركانية فى جزيرتى حالول وشراعوه ، حتى أحدث رواسب السباخ على سواحل الجزر وخاصة فى منطقة حوار ، وسواحل شبه الجزيرة الأم ، لعمل ( كتالوج ) مصور كامل يشمل ذلك كله .

(٣) ودراسة العينات المستخرجة من آبار الحفر عن البترول وغيرها مما تم حفره لأغراض أخرى ، أو يجرى حفره حاليا ومستقبلا بصدد تحديد موارد الماء الباطنى أو تقييم انتشار الغاز الطبيعى ، دراسة مستفيضة قد يتأتى من ورائها الحصول على ما يفيد اقتصاديا تحت سطح الأرض وفى أعماقها ، لا سيما ، وأن بعض الآبار يشير تتابعها الطبقى إلى وجود راقات من ( الفحم ) لا ينبغى اغفالها ، إذ قد تكون ذات نفع فى المستقبل .

ولعلنا لا ندعى غير الحق ، حين نذكر أن ( المساحات الجيولوجية ) منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، كانت ، ولا تزال ، هى المدارس الحقيقية التى تربى أجيال الجيولوجيين الأفذاذ الذين يقدمون بين آن وآخر من الملاحظات والاكتشافات ، ما يغير النظريات العلمية الجيولوجية ويعدل مسارها ويستجلى غموضها ، لأن علم الجيولوجيا قبل كل اعتبار ( علم مشاهدة ) للفرد فيه أثره العميق منذ نشأ وحتى اليوم وإلى الغد القريب والبعيد ، ولا مكان أقدر على تقديم وجبات النضوج للمشتغل بالجيولوجيا من جهاز ( المساحة الجيولوجية ) ولعلنا كذلك لا نقول جزافا ، حين نذكر أن أجهزة المساحة الجيولوجية كان لها نصيب الأسد فى رسم السياسة العالمية منذ مطلع هذا القرن ، وان الخرائط الجيولوجية لمختلف مناطق العالم ، هى التى تحدد اليوم القيمة الحضارية العالمية لأى دولة من دول العالم فى مشارق الأرض ومغاربها .

درويش مصطفى الفار



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

# في أدب الرجال والنساء

قال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم (وغض الرجال من نظرهم عند لقاء النساء ، هو عدم الاسترسال فى النظر اليهن ، «وعدم ملاحقتهن بالنظرات الجارحة لحيائهن) .

ويحفظوا فروجهم (فلا يباشروا المعاشرة الجنسية غير المشروعة . وهى الزنا إذ فى اقتراف جريمة الزنا انتهاك بحرمة المرأة .. وضياع لشرف الرجولة ، الذى يتمثل فى المسئولية الفردية عن الولد) ذلك أزكى لهم (أى ما جاء هنا خاصاً بالرجال فى أدب اللقاء مع النساء هو طريق الطهر والنمو فى العلاقة بين الاثنين) ان الله خبير بما يصنعون .

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (أى لا يتابعن الرجال بالنظرات ، ولا يثرن بنظراتهن الفتنة فيهم) .

ويحفظن فروجهن (أى لا يقترفن جريمة الزنا ، لأن مباشرتها منهن ليس فيها اهدار لكرامتهن فحسب ، بل فيها أيضاً : اعتداء على كرامة المجتمع ، وعلى تحديد المسئولية الخاصة برعاية الأطفال الذين يلدنهم ، عن طريق اقتراف هذه الجريمة) .

ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (أى وليسترن أبدانهن . إذ المراد بزينة المرأة : بدنها ، فهو فى ذاته فتنة للرجل ، لو كشفت عنه أو عن بعض أجزائه . ولكن يسمح لها بالكشف عن الوجه والكفين لضرورة حاجتها فى الحركة والتعامل مع الآخرين أو الأخريات .

« وليضربن بخمرهن على جيوبهن (أى وليسدلن من لباس الرأس على نحورهن وصدورهن بما يغطيها) .

ولا يبدين زينتهن (أى يظهرن من أبدانهن ما عدا العورة) إلا لبعولتهن (ازواجهن) أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن أو أبنائهن . أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بنى اخواتهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت ايمانهم ، (من النساء) أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال (أى الذين يتبعونكن لفضل يترقبونه منكن من الرجال الذين ليست لهم حاجة الى النساء : لبله ... أو لعجز ... أو شيخوخة) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (ويراد بهؤلاء الأطفال : الصغار الذين لم يستطيعوا بعد أن يميزوا : ما هى عورة المرأة ، وربما يقصد بهؤلاء الأطفال من هم فى سن الطفولة المبكرة) .

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (أى ولا يحركن أرجلهن فى المشية أو فى الجلوس : حركة تكشف عن سيقانهن) .

وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (والتعقيب بطلب التوبة من المؤمنين والمؤمنات جميعاً ينبىء عن : ان ما أمر به المؤمنون والمؤمنات هنا الآن من : غض البصر عند اللقاء .. وعدم مباشرة الزنا .. وعدم ابداء المرأة زينتها لغير محرم لها .. واسدالها خمارها على نحرها وصدرها .. وعدم تحريك رجليها ، بمايكشف عن ساقيها : كانت اباحته من العادات السائدة فى العصر الجاهلى للمجتمع العربى السابق ، وكذلك فى المجتمعات الحضارية المادية فى عصر ماقبل الرسالة : فلم تكن المرأة بماتكشف به عن فتنة بدنها لأجنبى عنها ..

أو بما تبيحه لنفسها من معاشرة جنسية غير مشروعة : تعتقدأنها ترتكب أمراً مخالفاً للآداب السائدة فى مجتمعها إذ ذاك . كما تفعل المرأة الآن بنفسها لاغراء الرجل واثارته نحو المرأة : من الكشف عن مفاتنها وعن تجسيم ما تبقى من بدنها بلباس يكاد يحدد عورتها . ولم يكن الرجل بما يفعله إذ ذاك من التقاء المرأة بنظراته .. وبما يبيحه لنفسه من معاشرتها معاشرة حيوانية فى أية صورة من صورها : يشعره بمخالفة يخجل منها لأنها ضد تقاليد مجتمعه أو ضد آدابه فى السلوك) النور : ٣٠—٣١ .

— وجاء فى أدب الجلوس ، قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا . إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، يفسح الله لكم (أى فى نعيمه ورضاه) .

وإذا قيل لكم : انشزوا (أى ارتفعوا من أمكنتكم لضرورة اقتضتها التوسعة فى المجلس) فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات (أى وبسبب طاعتكم هنا واستجابتكم لما يطلب منكم فى أدب الجلوس : يزد الله من منازلكم لديه) والله بما تعملون خبير » المجادلة : ١١ .

# فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبيد!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

من قديم الزمان ، ظهر على هذا الكوكب طير يدعى « أبو قردان » ، وكان من الطيور الوديعة التى تعيش على التهام الحشرات والديدان ، ولقد ظل على هذا الحال ، الى أن جاء الانسان ، وعندئذ حدث الاستلطاف بين هذا وذاك .. فالانسان يحرث الأرض ويرويها ، فتخرج منها الآفات الكامنة فيها ، ويجيء أبو قردان ليخلص صاحبه من بلاويها ، واستحسن الانسان منه هذا الفعل المفيد والحميد ، خاصة وأن الطير لم يكلفه أجرا ، أو يسبب له ضررا ، واستمرت هذه الصداقة والألفة بين الاثنين آلاف الأعوام ، حتى عرف عن أبى قردان أنه صديق الانسان .. الى أن حدث شيء مؤسف أطاح بهذه الصداقة التقليدية ، وأصبح الطير ضحية ، وكأنما الانسان قد قطع اليد التى امتدت اليه بالاحسان !



لكن « أبا قردان » لم يكن الضحية الوحيدة للانسان ، بل هو واحد من طوفان الضحايا التى كانت بمثابة « المبارد » الحية ، أو أداة من أدوات المقاومة البيولوجية التى استمرت على هذا الكوكب لمئات الملايين من السنين ، لكن الانسان راح يبيدها بمبيدات من صنع يديه ، ظنا منه أن هذه المبيدات ستخلصه الى الأبد من الآفات ، فخاب ظنه ، اذ لازالت هذه الآفات تتسلط عليه وعلى زرعه وضرعه ، هذا رغم أن المبيدات قد ظهرت على نطاق واسع منذ اكثر من أربعين عاما ، وكان من المفروض أن تؤدى الى نتائج طيبة ، الا أن واقع الأمر يشير الى غير ذلك ، إذ يذكر أحد التقارير الأمريكية أن استهلاك المبيدات قد تضاعف ١٤ مرة مابين عام ١٩٤٧ ــ ١٩٧٥ ، ورغم ذلك فقد زاد دمار الآفات الى حوالى الضعفين فى المدة ذاتها ،

ويعنى ذلك أن المبيدات لم تحقق الآمال العريضة التى كانت معقودة عليها ، إذ كانت بمثابة مخدر أو علاج مؤقت ، ولابد ــ والحال كذلك ــ من



شكل (١) أحد الأسلحة البيولوجية النافعة والمعروفة باسم حشرة الدعسوقة أو « أبو العيد » ، وهى ــ كما ترى هنا ــ تعيش على التهام الحشرة المعروفة باسم ذات الوسادة القطنية ، لأنها تبدو وكأنما تغلف نفسها بغطاء من القطن .. ( الدعسوقة تبدو داكنة اللون فوق الحشرة البيضاء )

البحث عن وسائل أخرى للانقاذ ، خاصة وأن المبيدات سلاح ذو حدين : حد منه لقتل الآفات وهذا خير ، لكن الحد الآخر قد أصاب الانسان وأصاب البيئة ، وهذا شر ، وهو ما تعرضنا له فى مقال الشهر الماضى على صفحات هذه المجلة .

## المبيد أباد النافع مع الضار

وعندما تسرع الانسان فى استخدام المبيدات ، وأسرف فيها ، فقد قتل النافع مع الضار ، وأحدث بذلك خللا فى الميزان .. ذلك أن الحياة لم تترك للمخلوقات الحبل على الغارب لتتكاثر دون ضابط أو رابط ، بل أوجدت لها « الفرامل » التى تحد من انطلاقها الجامح فى التكاثر ، ورصدت لها « المبارد » الحية التى تبرد أعدادها الزائدة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر .. اذ لا يوجد كائن حى الا وله أعداء طبيعيون ينالون منه فى كل مرحلة من مراحل حياته ، يستوى فى ذلك الميكروب والنبات والحيوان والانسان .

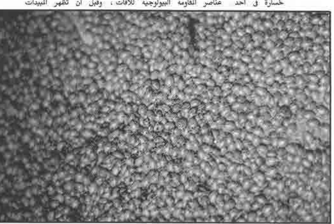
والذى يسعى الى « كتاب » الطبيعة ، ويقلب فى صفحاته ، ويتطلع الى أحكامه ، فلاشك أنه واجد فيه معلومات غزيرة تساعده على مقاومة تلك الآفات ، وبالسلاح البيولوجى الذى تسلط عليها من قديم الزمن ، فكما لا يفل الحديد الا الحديد ، كذلك لا يفل الآفات الا آفات مثلها .. المهم أن تستخرج من سجلات الحياة ما يفيد لما يفيد ، خاصة وأن هذه السجلات المدونة فى كتاب الطبيعة الأصيل تحتوى على كل دساتير الحرب البيولوجية التى استخدمتها وتستخدمها ضد الأنواع التى تتكاثر وتفتك بغير حدود .

فطائر أبى قردان الذى حل به الانقراض أو كاد ، ليس الا نوعاً أو سلاحاً واحداً فى قائمة ضخمة من ترسانة الأسلحة البيولوجية التى استخدمت قبل ظهور الانسان ، وكانت تقضى على اعداد لا حصر لها من الحشرات والديدان ، ولقد تعطل هذا السلاح بظهور المبيدات الكيميائية ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، اذ عندما قتلت المبيدات الآفات ، ثم أكلتها أسراب أبى قردان أو غيرها من طيور تعيش عليها ، تجمعت المبيدات بالتدريج فى أجسامها ، فقتلت بعضها ، ودمرت الكثير من ذريتها ، فأدى ذلك الى نقص ذريع فى أعدادها ، مما يهدد بانقراضها ، فخسر الانسان بذلك صديقاً وسلاحاً كان يبيد له بالمجان ، وطبيعى أنه قد أخل بالميزان ، لأنه دمر أحد أركان التوازن البيولوجى المتمثل فى أبى قردان ، أو غيره من كائنات كثيرة كانت تشتغل لصالحنا .

ولكى تتضح لنا الأمور أكثر ، فعلينا أن نتعرض لتلك الكارثة التى حلت بمساحات هائلة من الأشجار فى شمال شرق الولايات المتحدة ، اذ تسلطت عليها يرقات ( ديدان ) نوع من الفراشات



شكل (٢) حشرة أبى العيد أو الدعسوقة وهى تتجول بين أسراب المن النباتى لتبيده قبل أن يبيد النبات .. وهذه الحشرة الصديقة قد تقتلها المبيدات مع ما قتلت من حشرات ضارة ، ويعنى ذلك خسارة فى أحد عناصر المقاومة البيولوجية للآفات ، وقبل أن تظهر المبيدات



شكل (٣) حشود من حشرة أبى العيد التى تباع فى أكياس لتصبح « مبيدا » طبيعيا للآفات ، وهى ــ بلاشك ــ أسلم وأرخص من المبيدات..

## فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبيد!

تعرف باسم الجيبسى Gypsy (أو الغجرية ــ ان صحت الترجمة الحرفية). ولقد بلغ من سرعة انتشار هذه الآفة وضخامة تدميرها، أنها كانت تكتسح أمامها كل عام ١٣ مليون فدان من الأشجار التى أهلكت أوراقها الديدان. ولاشك أن تلك خسارة فادحة بكل المعايير، فما الذى داس على زنادها لتنطلق كقذيفة مدمرة؟.. ثم كيف حدث ذلك؟.. وأين ــ اذن ــ السلاح البيولوجى، أو المبرد الطبيعى الذى يكبح جماحها؟

لاشك أنه موجود، لكن الخطأ كان من الانسان، فلقد دخلت هذه الآفة الى الولايات المتحدة، دون أن يدخل معها عدوها، وفى غياب هذا العدو تكاثرت على هواها دون ضابط أو رابط، ولكى لا تتفاقم الكارثة، سافر فريق من العلماء الأمريكيين منذ عامين الى الصين، حيث الموطن الأصلى لهذه الفراشة، وبعد شهور من البحث فى مناطق بلغت ٥٢ منطقة مختلفة، خرجوا بحصيلة وفيرة من «المبيدات» الحية لهذه الفراشة أو يرقاتها، وكان بيانها كالآتى: ثلاثة عشر نوعاً من الطفيليات التى تمرضها وتقتلها، وأربعة عشر نوعاً من الطيور والحيوانات والحشرات الأخرى التى تصطادها وتعيش عليها، هذا بالاضافة الى أعداد أخرى من أنواع الفيروسات والفطريات التى تنهكها وتحد من تكاثرها.

ان هذا المثال يضع أمامنا صورة شبه كاملة لعدد أنواع «المبارد» الحية التى تحد من انتشار نوع واحد من الحشرات فى بيئة محددة من البيئات.. لكن هذه الظاهرة ليست جديدة تماماً، اذ استخدم الصينيون القدامى بعض أنواع النمل، وربوها على أشجار الفاكهة، لتبيد الحشرات والديدان التى تعيش عليها، وفى عام ١٨٠٠ ركز الطبيب والعالم الطبيعى ارازموس داروين على ضرورة استخدام وترويض المقاومة البيولوجية للحشرات الضارة فى كتابه فلسفة الزراعة والبساتين.. وفى عام ١٨٨٨ استورد الأمريكيون من استراليا حشرة صغيرة تعرف باسم الدعسوقة، ليقاوموا بها حشرة قشرية كانت تعيش على أشجار الموالح (شكل ١)، وتسبب فيها خسارة فادحة، وبالفعل أبادت هذه الأداة الحية أعداداً هائلة من الآفات، وانقذت الأشجار من تدميرها.

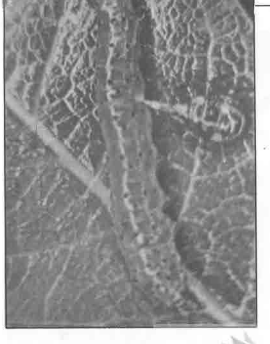
### تركة ثقيلة من الآفات

لكن مما لاشك فيه أن اختيار السلاح البيولوجى، أو المبيد الطبيعى لكل آفة من الآفات أمر بالغ التعقيد، ويتضح ذلك من حالة فراشة الجيبسى التى تبين أن لها أكثر من ٤٠ عدواً طبيعياً يحد من تكاثرها، لكن هذه الفراشة تمثل نوعاً واحداً من بين عشرة آلاف نوع من الحشرات المدمرة التى لها صلة مباشرة باقتصاديات الانسان، هذا بالاضافة الى حوالى ٨٠٠٠ نوع من الأمراض الفطرية التى تصيب النبات والحيوان والانسان، وأكثر من ٢٠٠٠ نوع من الديدان الثعبانية الدقيقة التى تخترق جذور النبات، وتسبب فيها خسارة فادحة، كما يوجد حوالى ٢٠٠٠ نوع من الحشائش والأعشاب الضارة التى تحتاج الى مقاومة، هذا غير آلاف أخرى من الفيروسات والبكتيريا والحيوانات الأولية التى تتسلط على كل الكائنات.

انها ــ كما ترى ــ تركة ثقيلة تحملتها مخلوقات هذا الكوكب، وعلى رأسها الانسان، ومع ذلك لم يفقد العلماء الأمل، لعلمهم أن هناك توازناً بديعاً قد أرسيت قواعده بين المخلوقات، وهو محصلة تجارب طويلة استمرت عشرات الملايين من الأعوام، وفيها تفاعلت الكائنات فيما بينها على أوسع نطاق، حتى صارت بالصورة المتآلفة التى نراها بها الآن، وما علينا الا أن ندرس ونختار منها العدو المناسب، للآفة المناسبة، وفى الوقت المناسب، وتحت الظروف المناسبة، لنصل الى تحقيق الأهداف المرجوة..

فمن الحشرات ما هو عدو وصديق، فأما الصديق فقد أعان الانسان فى الحد من الآفات، ومن الممكن توجيهه ليصبح مبيداً حيوياً أقوى من المبيدات الكيميائية التى تلوث البيئة، وتؤذى الانسان، فالحشرة المعروفة باسم «أبو العبد»، أو «أم سعيد» ــ كما يطلق عليها بعض المزارعين، أو الدعسوقة ــ كما تعرفها بهذا الاسم بعض البلاد العربية، هى حشرة صديقة تعيش على التهام أعداد هائلة من المن والبق والقمل النباتى (شكل ٢) بالاضافة الى الحشرات القشرية التى تعيش على أشجار الموالح أو على غيرها من أشجار فيها مآرب للانسان، فمن مؤهلات هذه الحشرات الضارة أنها تتكاثر بسرعة رهيبة، وتمتص عصارة النباتات بشراهة شديدة، وتسبب خسارات فادحة، لكن الأمر يختلف فى وجود «أبى العبد» الذى يستبشر الناس بحضوره خيراً، وهو بالفعل فاعل خير!

لكن أبا العبد هذا ليس نوعاً واحداً، بل أحصى العلماء منه أكثر من أربعة آلاف نوع. ولكل نوع بيئته وسلوكه وطعامه وشكله المميز، ثم ان الأنثى تختار النباتات المناسبة التى تتكاثر عليها تلك الآفات، وتضع بويضاتها بين حشودها، حتى اذا خرج الأنجال، وجدوا الموائد منصوبة وعامرة، وهى كأمهاتها تتميز بشراهة بالغة للطعام، لدرجة ان الواحدة منها تستهلك من المن النباتى مثلا عدة مئات فى بضعة أيام، ولنتصور ــ بعد ذلك ــ ان الدعسوقة الواحدة تضع ما بين ١٠٠ ــ ٢٠٠ بويضة، وأحياناً قد يصل العدد الى ألف، فهذا يختلف باختلاف النوع، ثم ان انتاج الأجيال قد يتكرر مرتين أو ثلاثا فى الفصل الواحد، ويعنى ذلك ان الذرية الناتجة من



شكل (٤) مبيد حى آخر فى هذه الصورة يبين حشرة تغرس خرطومها فى يرقة (دودة) تأكل النبات، فتقتلها قبل أن تقتل النبات

حشرة واحدة قد تصل الى عشرات الألوف أو الملايين في غضون ثلاثة أشهر أو أربعة ، ما لم يحد من تكاثرها شيء ، وكل واحدة منها تلتهم المئات ، وهذا ينبئك بقدرتها الفائقة على إبادة هذه الآفات ، ودون أن تكلفنا شيئاً مذكوراً ، ومن أجل هذا ظهرت فكرة جمعها وتربيتها وبيعها في أكياس يحوى الواحد منها ما بين ٤٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ حشرة ( شكل ٣ ) ، خاصة بعد أن ثبت أن الدعسوقة قد أنقذت بالفعل ــ وفى غضون سنتين ــ زراعات الموالح في كاليفورنيا ، وبتكلفة لم تتجاوز خمسة آلاف دولار ، وهى تكلفة لا تذكر بالنسبة لمحصول يدر عدة ملايين من الدولارات كل عام .

ولقد هددت ديدان فراشة قرمزية محصول جوز الهند في جزر فيجي ، وانتقلت الفراشات بعد ذلك من جزيرة الى جزيرة ، وكادت زراعات جوز الهند أن تبور ، لولا أن استغاث الناس بالعلماء ، فأغاثوهم بذبابة ، لكنها ليست كذبابنا المنزلى ، بل نوع آخر يتطفل على فراشة جوز الهند في مواطنها الاصلية ، وأرسلوا منها لجزر فيجي ٣٠٠ ذبابة لا غير ، وانطلقت على يرقات الفراشات ، لتضع فيها بويضاتها ، فتفقس لتعطى مزيداً من الذباب ، الى أن وصل عددها في غضون سنةواحدة الى ٢٠٠ ألف ذبابة ، وحامت بين الفراشات كألسنة اللهيب ، فأبادت منها أعداداً هائلة ، وبهذا أنقذت المحصول من دمار أكيد .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، ولا يتسع المجال لذكر المزيد .

## آفاق أخرى أشمل ..

وليس سلاح الابادة البيولوجية مقصوراً على آكل ومأكول ، أو صيد وصياد ، كما هو الحال مع الطيور التى تلتهم أعداداً ضخمة من الحشرات والديدان ، ولا هو كذلك حكر على حشرات تأكل حشرات أخرى ، أو تتطفل عليها ، كما هو الحال مع « أبى العبد » وذبابة فيجي وكثير جداً غير ذلك ( شكل ٤ ) بل قد يمتد مجال المقاومة البيولوجية للآفات إلى آفاق أخرى أوسع وأشمل . فالداء موجود بصور شتى ، والدواء متاح في البيئة ذاتها ، لأنها طبيبة نفسها ، أو هي كانت كذلك قبل أن يتدخل الانسان في شئونها ، فأخل بموازينها ، وما دام قد تدخل ، وفعل ما فعل بملوثاته التى لا تعد ولا تحصى ، فعليه أن يلجأ الى البيئة ليستعين بما اختزنته من أسلحة أو « عقاقير » بيولوجية لها فاعليتها التى لا تنكر .

ولاشك ان لكل كائن حي ميكروباته وأوبئته وطفيلياته .. بداية من الانسان الكبير ، ونهاية بالميكروب الضئيل ، لأن للميكروب الصغير ميكروباً أصغر يعيش عليه ويهلكه ، وميكروب الميكروب فيروس ، ومع أنه أضأل من الميكروب حجماً ، الا أنه أخطر منه شأناً ، وهكذا يسير الصراع بين كل الأنواع ، وعلى جميع المستويات ، فرب كبير يهلكه الصغير ، كما أن الصغير قد يصبح لقمة سائغة للكبير ، وهكذا يتطاحن الكل مع الكل ، ليحدث التوازن المطلوب بين الأنواع ، وهذا ما عبر عنه اوجستس دومورجان في شعره ( مع شيء من التصرف البسيط منا ) .

للبراغيث الكبيرة براغيث صغيرة
على ظهورها تعيش وتلدغ .
وللبراغيث الأصغر براغيث أضأل ،
وهكذا فالكل يلسع .
لكن للبراغيث الكبيرة بدورها براغيث أكبر
وعليها تسود وتتجبر .
بينما لهذه الأكبر براغيث أكبر منها فأكبر
.. لهذا فعليك أن تتدبر .

ولكى تتدبر ، فعلينا أن نأخذ على سبيل المثال هذا النوع من الصراع غير المنظور في التربة الزراعية بين فطر ( عفن ) وديدان ثعبانية ( نيماتودا ) . ولا يكاد كلاهما يرى بالعين المجردة ، ومع ذلك فهى تتكاثر بسرعة فائقة ، وتصيب جذور النباتات اصابات بالغة . لكن الفطر يوجد عادة حيث توجد هذه الديدان ، وينصب لها المشانق الحية بخيوط نسيجه الدقيق ، فاذا حدث ودخلت الدودة في الأنشوطة (عقدة أو خية كالتى توجد في المشنقة ) ، ضغطت عليها ، واحتجزتها ، ثم تخترق لحمها ببروز من نسيجها ، وبعدها يتفرع الفطر في داخلها ويتكاثر حتى يقضى عليها ، ليجهز مزيداً من المشانق ، لمزيد من الديدان ( شكل ٥ ) ولولا هذا السلاح البيولوجي المثير ، لهلكت المحاصيل ، ومن أجل هذا تربى تلك الأنواع من الفطريات ذات المشانق ، وتوزع في التربة الزراعية ، لتبيد الديدان بطريقة أكفأ وأسلم من المبيدات الكيميائية التى تستخدم ضد تلك الديدان الثعبانية .

وليس ذلك بالسلاح البيولوجي الوحيد ضد تلك الديدان ، بل هناك كثير غيره توصل إليه العلماء ، ولنذكر حالة أخرى ذكرتها بعض المراجع العلمية كمبيد للديدان الثعبانية ، فالنبات المعروف باسم الآذريون أو القطيفة ( ماريجولد ) يفرز من جذوره مادة كيميائية في التربة الزراعية ، وبها يبيد الديدان الثعبانية ، ومن أجل هذا يزرعه بعض الناس بين محاصيلهم ، ليخلصهم من دمار تلك الديدان .

## الشيء بالشيء يذكر

وما دمنا قد تعرضنا لهذا النبات الذى يبيد الديدان ، فلا أقل من التعرض لنبات آخر ورد ذكره في بحث هام أجراه دكتور محمد فخر الدين الصاوى ــ أستاذ صحة المناطق الحارة بالمعهد العالى للصحة العامة بجامعة الأسكندرية ، في أثناء بحوثه عن بدائل لمبيدات القواقع التى تضاف الى مصادر المياه العذبة ، واضعا نصب عينيه ما تحدثه من آثار ضارة وقاتلة للأسماك ، وما تسببه من أورام خبيثة في مبايض وكلى حيوانات التجارب ، مما قد يشكل خطورة على صحة الانسان ، هذا بالاضافة الى أن المبيد المستخدم والمعروف باسم البايلوسيد يتركز في النبات والحيوان ، وينتقل بعد ذلك الى الانسان ــ على حسب المراجع العلمية التى أشار اليها د . الصاوى في بحثه الممتع .. من أجل هذا فقد حالفه التوفيق في التوصل الى بديل طبيعي يغنى عن استخدام المبيد الكيميائى .. والبديل نبات عشبي ينمو في وادى النيل ، ويعرف باسم الدمسيسة ( آمبروزيا ) ، ولازال يستخدم كوصفة شعبية لعلاج المغص الكلوى ، وطرد بعض الحصوات من الكلى ، ويعنى هذا ان النبات لا أذى فيه للانسان ولا ضرر ، لكن المثير حقاً أن التجارب التى قام بها د . الصاوى ، أو قام بها غيره من بعده ، قد أثبتت أن هذا النبات لو أضيف الى الماء في حالة جافة أو غضة لكان كفيلا بابادة القواقع وبتركيزات تتراوح ما بين ١٠ ــ ١٢ جزء في المليون ( أى كيلوجرام من النبات في حوالى مائة ألف لتر من الماء ) .. وهى نتيجة طيبة ، والأمل ــ بعد ذلك ــ معقود على استخدام هذا النبات غير المكلف على أوسع نطاق ، حتى يمكن القضاء على تلك القواقع الحاملة لديدان أمراض ظلت مع الناس آلاف السنين ، ولازالت ( منها البلهارسيا والدودة الكبدية .. الخ ) .

واذا كانت بعض الديدان الثعبانية تضر ، فإن بعضها الآخر ينفع ، ومن أنواعها النافعة ما قد يصبح مبيداً بيولوجياً لعدد من الحشرات الناقلة للأمراض ، والتى اكتسبت مناعة ضد المبيدات ، لكنها ليست منيعة لنوع من الديدان الثعبانية المائية المعروفة باسم « ريزميرس » ، فهذه الدودة الضئيلة تتطفل على يرقات البعوض وتقتلها ( شكل ٦ ) ، ولو أحسن استغلالها ، لكانت سلاحاً بيولوجياً فتاكاً .. لكن ليرقات البعوض عدواً آخر يلتهمها التهاماً ، ويتخذها طعاماً مستساغاً ، ولهذا يستهلك الواحد منها أعداداً هائلة ، والمستهلك سمكة تعرف باسم سمكة البعوض أو الجامبوزيا ، ولقد أثبتت التجارب أنها ذات أثر فعال في المقاومة البيولوجية للبعوض .

ومن الديدان الثعبانية أيضاً ما يتطفل على أنواع من الحشرات التى تصيب النباتات ، ومنها أيضاً ما يهاجم الأعشاب المائية غير المرغوب فيها ويدمرها ، وغيرها يلتهم الفطريات التى تتطفل على جذور النباتات .. الى آخر هذه الحلقات المتشابكة والمعقدة ، والتى تحتاج الى دراسات مكثفة ، لنعلم مالم نكن نعلم ، وعندئذ نعرف كيف نوجهها لصالحنا ، فلا تطبيق سليم ، بغير علم قويم .

## سلاح الميكروب

وكما يمرض الانسان بقائمة من الميكروبات ، ومعه أيضاً النبات والحيوان ، كذلك يكون الحال

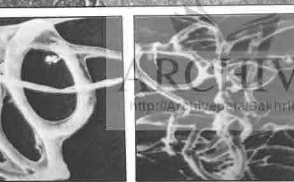
## فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد
## ففيـــه أنفـــع مبيـــد !

مع الآفات ، اذ أن لها أمراضها .. المهم أن تعزل منها ميكروباتها التى تتسلط عليها فى الطبيعة وتصيبها ، ثم ندرسها ونوجهها اليها بحالة وبائية كما انتشرت هى أيضاً بحالة وبائية .

ولقد حقق العلماء تقدماً فى هذا المجال ، فمنذ حوالى خمسين عاماً ، استخدموا أنواعاً من البكتيريا بعد اكثارها على أوساط غذائية خاصة ، ثم ترش بالطائرات أو بالعمالة البشرية على الحشرات التى تهدد الزراعات ، ولقد طبقت هذه الطريقة بنجاح فى بعض الخضروات وزراعات القطن والتبغ والبطاطس وما شابه ذلك ( شكل ٧ ) .. وفى كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، استخدمت جراثيم الفطريات التى عزلت من الحشرات المصابة بها ، ورشت بالطائرات على مساحات واسعة من أشجار الفاكهة والغابات ، وعندما تأكل الديدان النباتات التى تلوثت بتلك الجراثيم ، فلا مناص من انباتها فى داخل أجسامها ، ثم تتفرع بنسيجها الفطرى الغزير لتمتص لحمها ، وتقضى عليها .

اكتشف العلماء كذلك عدداً من أنواع الحيوانات الأولية التى تسبب أمراضاً مميتة لبعض أنواع الحشرات الضارة ، وعندما ربيت تلك الحيوانات الدقيقة على أوساط غذائية ، وتكاثرت فيها بالبلايين ، أصبح من الممكن استخدامها كوباء مبيد .. فهناك ــ على سبيل المثال ــ حيوان أولى اسمه « نوسيما » المتخصص فى اصابة أحد أنواع الجراد ، وعندما رشوه بالطائرات على هذه الآفة المدمرة ، وبمعدل بليونين فى الفدان الواحد ، أهلك حوالى ٦٠٪ من الجراد ، وهى نتيجة طيبة على أية حال ، خاصة وان الاصابة فى الجراد كانت تنتقل من جيل الى جيل ، حتى خفت حدتها ، ومن الممكن بعد ذلك تكرارها ، لتكرر مزيداً من الابادة فى هذه الحشرة الضارة .

وعلى صعيد آخر تمكن العلماء حتى الآن من عزل حوالى ٣٧٠ نوعاً من الفيروسات التى تصيب الحشرات المدمرة ، ولازالت البحوث سارية لترويضها كمبيد بيولوجى بتار ، ولقد تحقق بعض النجاح فى هذا المضمار ، اذ يذكر عالم الحشرات ريتشارد ريد جواى الباحث بوزارة الزراعة الأمريكية فى دراسة نشرت له عام ١٩٨١ ، أنه قد تم حتى الآن تجهيز خمسة أنواع من الفيروسات لرشها على النباتات المصابة بأنواع خاصة من الحشرات ، وانها مطروحة الآن فى الأسواق بعد أن ثبت صلاحيتها فى المقاومة البيولوجية لهذه الآفات .. ولازالت البحوث جارية لترويض أنواع أخرى .



شكل (٥) صورة مكبرة بالميكروسكوب لخيوط ثلاثة أنواع من فطر يعيش فى التربة الزراعية ، وقد اتخذت شكل الأنشوطة أو العقدة (الخية) لتلتف بها حول الديدان الثعبانية (الصورة السفلى) ، ثم يتفرع الفطر داخل جسم الصيد ليبيده ، فينقذ المحاصيل من شروره .

### ابادة عن طريق الخداع

وآخر ما تفتق عنه ذهن العلماء تلك الحيلة الخادعة التى استخدموا فيها عطر الحب الذى يجمع بين ذكور وأناث النوع الواحد ، ليتم التلقيح والاخصاب وانتاج ذرية جديدة ، والعطر ــ بطبيعة الحال ــ ليس من عندنا ، بل هى مواد كيميائية تنتشر من أناث الحشرات ، لتتوزع فى الهواء بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، لكن الذكور الهائمة تحس بها ، وتدرك أن هناك اناثاً تنادى ، فتتوجه إليها ليتم التزاوج .

ولقد اهتدى العلماء الى بعض هذه العطور ، والمعروفة باسم الفيرومونات ، لكن الأمور لم تكن سهلة كسهولة هذا الكلام ، اذ اكتشفوا أن لكل « ليلى » عطرها المميز الذى يجذب « قيسها » ، وليس قيساً سواه ، ويعنى هذا ان لكل نوع بطاقته أو هويته الكيميائية التى يتعرف بها على نوعه ، ولابد ــ والحال كذلك ــ ان يعزل العلماء الفيرومون أو العطر الخاص بكل نوع ، ليعرفوا تركيبه الكيميائى ، وبهذا يمكن تصنيعه فى المعامل على نطاق واسع .. لكن ذلك أيضاً يحتاج الى جهد ووقت وصبر ، فالغدد التى تفرز العطر الأنثوى الحشرى غدد جد صغيرة ، وتركيز الفيرومون فيها ضئيل . ولهذا فان الحصول على جرام واحد

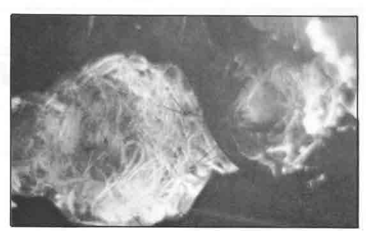
كل الزراعات الأمريكية ـ على حسب ما ذكره أحد التقارير الصادرة من وزارة الزراعة الأمريكية .

## الانسان هو البادىء بالخلل

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن فيما قدمنا من لمحات عابرة يكفي لتوضيح أن أمور التوازن البيئي بين الكائنات محكومة بعوامل وموازين حساسة ، وأن التلاعب فيها قد يؤدى الى خلل لا تحمد عقباه ، ولاشك أن الانسان هو النوع الوحيد الذى تدخل بكل ثقله فى إحداث هذا الخلل ، وهو خلل غريب لم يشهده هذا الكوكب منذ مائة عام فقط ، ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة ، ومن هذه الأسباب حدوث انفجار سكانى فى البشر ، نتيجة للتقدم الطبى والصحى والدوائى الذى قضى على أمراض وأوبئة كثيرة كانت تصيب الناس قديماً ، وتحد من أعدادهم ، لكن ليس معنى ذلك أن يطالب أحد بعودة « مبارد » الأوبئة لتبرد فى الناس ، فهذا شىء لا يستقيم مع منطق سليم ، بل ان الأمر يتطلب أن تتوازن موارد الطعام ، مع الزيادة المضطردة فى السكان ، وهذا يستلزم مزيداً من الأرض الزراعية ، لتزدحم الأرض بنباتات موجودة فى كل آن وحين ، ولابد ان يتبع ذلك المزيد من الآفات ، لأن فرصة أية آفة فى التكاثر ستكون ميسورة ومتاحة طالما هى واحدة دائماً فى مساحات هائلة من النباتات فى كل المواسم ، وطبيعى أن يسعى الانسان للحد من الآفات ، فاستخدم المبيدات ، لكن المبيدات قد قتلت النافع مع الضار ، وعندما اختفى النافع الذى كان يبرد الضار ، حدث الخلل فى التوازن ، أضف الى ذلك أن كثيراً من الحشرات الضارة التى كانت تقتلها المبيدات فى الماضى ، أصبحت الآن منيعة ضد كثير من هذه المبيدات ، مما جعلها تنتشر بضراوة أكثر مما كانت فى الماضى .

فكأنما البيئة كائن حى معتدل ، أو كأنما هى تسير على مبدأ « خير الأمور الوسط » .. أى انها لا تحب التخمة فى نوع على حساب نوع آخر ، وعندما حلت التخمة بالنوع الانسانى على هيئة انفجار سكانى ، أدى ذلك إلى خلل قد يعانى منه الناس لأجيال طويلة ، مالم يتداركوا الأمر ، ويعودوا لكتاب الطبيعة ، ليتعلموا منه الشرائع المضبوطة ، والحكم السامية ، والسنن العظيمة التى وجهت هذا الطوفان الدافق من المخلوقات عبر مئات الملايين من السنين ، وهو ماعبرت عنه الآية الكريمة أدق تعبير «وأنبتنا فيها من كل شىء موزون» ، الى ان جاء الانسان ، فطغى وبغى بالميزان ، فكان ماكان مما ورد ذكره من تلوث وخلل وضحايا ، وهو ما تعرضنا له فى سلسلة من المقالات .. وآخرها هذا المقال ، وفى ذلك الكفاية ، لعل الناس يرشدون ، وعلى بيئتهم يحافظون ، وفى مبيداتهم لا يسرفون .

عبد المحسن صالح



شكل رقم (٦) هذا الحشد الكبير من الديدان الثعبانية الدقيقة قد أصاب احدى يرقات البعوض فى رأسها وبطنها ، وسوف تنطلق هذه الديدان لتصيب مزيدا من اليرقات .. وأنعم به من سلاح بيولوجى أفضل بكثير من المبيدات .



شكل رقم ( ٧ ) أحد أنواع البكتيريا الذى تم عزله وتربيته بكميات لرشه على الزراعات المصابة بآفة من الآفات ، وعندما تأكلها الآفة بما عليها من بكتيريا ( التى تبدو كأسطوانات ) أو من سموم تفرزها البكتريا ( البلورات الموجودة فى وسط الصورة ) ، فانها تمرضها وتقتلها ، وتخلص النباتات من فتكها ( الصورة مكبرة آلاف المرات ) .

من أى عطر ، يستلزم جمع عشرة آلاف مليون حشرة ( أى تقريباً ضعف سكان العالم من البشر ) .

ورغم ذلك ، فلا بأس من ارتياد هذا المجال الدقيق والصعب ، وتم بالفعل عزل عدة فيرومونات من الحشرات التى تسبب خسارات فادحة ، وأمكن تصنيعها فى المعامل بكميات تسمح باستخدامها على نطاق واسع ، ثم وزع كل فيرومون فى مصائد على مساحات واسعة ، والى المصائد تتجه الذكور وتتجمع ، ظناً منها ان الدعوة صادرة من أنثى ، لكنها كانت دعوة إلى الموت .. ثم اتضح ان هذه الطريقة مجهدة ، فاستبدلوها بغمس بلايين القصاصات من الأوراق التى تتشرب الفيرومونات ، ووزعوها على الحقول الشاسعة بالطائرات ، فانتشرت القصاصات على مساحات ضخمة ، وانتشرت روائحها فى كل الاتجاهات ، وعندئذ لم تستطع الذكور ان تهتدى للاناث ، فلقد اربكتها العطور الأنثوية التى تهب عليها من كل الجهات ، وأحدثت بذلك تشويشاً أضلها عن الاهتداء للجنس الآخر ، وبهذا فوتت عليها فرصة التلقيح والاخصاب ، اللهم الا من صدفة عابرة وفى أضيق الحدود .. ويقال ان مثل هذه الوسائل قد استخدمت بنجاح فى عدد من الآفات ، وعلى رأسها سوسة أو خنفسة لوزة القطن التى تسبب وحدها خسارة سنوية فى هذا المحصول الأمريكى تتراوح ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مليون دولار ، وكانت تستهلك فى مقاومتها ثلث كمية المبيدات التى تستخدم فى

# بكائيات متقاطعة

قصة بقلم: ســـــارة

« أنا على ردِّ مالم أقلْ أقدرُ مني على ردِّ ماقلت »
قيصر

( ١ )

قال: سيقتلك عنادك.
قلت: ولا .. يقتلني خوفي.
تناثرت النجوم، انغلق القمر، وشح ضوء الشمس
و .. افترقنا.

( ٢ )

كان لي بيت، يتضوع ترفاً، وريحاناً، وعصافير، وشموساً.
كان لي بيت كبيوت غرناطة، لكنه ضاع كما ضاعت غرناطة، في غفلة مني ضاع، وفي غفلة منه ضعت.

• • •

« ليس بعد التمام إلا النقص » قالها أحد الصحابة وهو يبكي حين سمع خطبة الوداع في حجة الوداع.

( ٣ )

تمددت على السرير في إحدى العيادات السرية، ملوعة كنت، مشروخة كنت، مغموسة في الحزن كنت، وكان « مارس » يورق في الطرقات، الحواري، الحقول، الوجوه، يورق في ضحك الماعز، وفي ثغاء الصغار، في عيون الأقاحي، وفي انغماس العشق في العاشقين.
سألني الأشيب ذو النظرة الرمادية: لماذا تنوين التخلص من الجنين؟
قلت: تعودت أن أختار النهايات قبل أن تختارني.
و .. فرت من صدرى آهة، دمعة، شهقة، لوعة.

قال مسلمة بن عبد الملك، ما مدحت أو شكرت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم.

( ٤ )

يا وجه أمي البعيد ..
يا وجه أمي البعيد ..
« آه .. يمه ».

( ٥ )

كان جدي محترماً، مهيباً، جليلاً، عظيماً.
وكنت أعرف أنه لم يكن محترماً، ولم يكن مهيباً، ولم يكن جليلاً .. ولم يكن عظيماً.
أجبرت على أن أحترمه، وأهابه، وأجله .. وأعظمه.
تصدعت، تصدعت، تصدعت.
و .. رفضت.

• • •

قال محيي الدين أحمد بن ابراهيم النحاس الدمشقي صاحب « مشارع الأشواق » المتوفى سنة ٨١٤ هـ. قال « شاهدت مراراً الفأر يركب على الهر، وينزل ويعود مراراً، لا يعدو الهر على الفأر، ولا ينفر الفأر من الهر، وذلك بالتعليم والتدريج في الإقدام، حتى ينعكس الطبع إلى ضده ».

( ٦ )

كنت أصرخ، أصرخ، أصرخ.
ولا أصرخ.
كنت أموء، أثغو، أعوي.
ولا أبكي.
كان على بعد أمتار مني مضرجاً بدمائه ــ هكذا قررت الحرب وقرروا ــ بلا ذراع.
كانت ذراعه في يدي.

كان ميتاً، كنت ميتة.
الشظايا تنفجر، تنفجر الشظايا، النيران تلتهب، تلتهب النيران، يشتعل الشارع والبيوت والأشجار والأرض والسماء، الشارع والبيوت والأشجار تشتعل، يندلع الرصاص الطائش، الرصاص الطائش يندلع، يندبني الرماد، يندبني الحريق، تندبني الكلاب الضالة، تندبني بقايا الأجساد المشوهة.
أتبعثر، أتبعثر، أتبعثر.
يجدب العمر بعدك يا من كانت ذراعه بذراعي ..
يجدب العمر ..
آه يا بيروت ..
يا لذكراك التي .. يا لذكراك التي.

• • •

قال ابن عربي: لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً، لأذقنا الفراق طعم الفراق.
ايرحمك الله ..
و .. يرحمنا.

( ٧ )

فارساً كان يمتطي الغمام ويناطح النجوم قبل أن يدخل المعتقل.
بعد أربعة أقمار مكتملة، وأربعة أيام مجفلة ..
وأربع ساعات متثائبة، وأربع ثوان منذرة ..
عاد إلينا ..
كان غاضباً بانكسار، لكن ما عاد قادراً على أن يتنفس حلماً.
آه .. كم تؤذينا السجون.

• • •

قال الامام الغزالي: « من مال غضبه إلى الفتور، عالجه بما يقويه، ومن مال غضبه إلى الإفراط عالجه بما يكسر سورته ».

( ٨ )

في برد « لندن » الموحش.
وأيامها الموحشة.
وبشرها الأكثر وحشة.



قاومت جوعاً ــ ما أكثر ما قاومت ــ حاصرتني ليال طويلة الأنفاس ، ثقيلة الأنفاس ، مطيرة الأنفاس ، مثلجة الأنفاس ، قاومتها بشرائح من « التوست » أنقعها فى اللبن ، شريحة فى الصباح ، شريحة فى المساء .

أتذكر ، أتذكر .

* * *

قال أرسطو : « يا إسكندر : لا تجزع على مافاتك ، فإن ذلك من خواص الضعفاء » .

( ٩ )

الحزن يصدىء القلب ..
الحزن يصديء القلب .

( ١٠ )

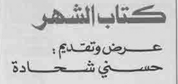
فى ليلة تطفح بالسأم ..
قررت أن أثرثر معكم على الورق .. فكانت هذه البكائيات المختزلة ، قد تثير في نفوسكم السأم ، هذا ليس ذنبي .

و .. قد تقلبون شفاهكم وتقولون : كم هي سخيفة هذه المرأة .

هذا ذنبكم ، لأنكم واصلتم القراءة حتى النهاية .

أترككم فى أمان ، لتتركوني فى أمان .

سارة ــ القاهرة









إحدى لوحات كتاب كليلة ودمنة

لوحة من مقامات الحريري رسمها يحيي بن محمود الواسطي



# فن التصوير عند العرب

● استطاع الفنان في مقامات الحريري أن يضفي على العمل الكبير كل عناصر الحيوية والجمال في العصور العربية الوسطى !

● عندما هاجر كثير من الفنانين العرب إلى خارج بغداد بعد إحراق المغول للكتب ورميها في نهر دجلة !

فن التصوير عند العرب ، كتاب يتناول فناً جمالياً . أبدع فيه الأجداد .. إنه يحكى قصة هذا الفن على مر العصور العربية المختلفة . بكل ما أعطتنا من ثراء وغناء فى أشكال الفنون المتعددة ، التى تبلورت من جديد بقيام الدولة الاسلامية ، مكونة أساليب متميزة ، تحقق تطلعات أولئك المؤمنين من العرب الحماة ، الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية ، مجاهدين فى سبيل الله ، فاتسعت الدولة الاسلامية ، وعمرت ونما ذلك الوعى الناضج بين المسلمين على اختلاف مشاربهم وأجناسهم .. وربما كان هذا الأمر هو الذى عبر عنه ــ بكل وضوح ــ العالم الكبير ، أبو الريحان البيروني بقوله : « إن ديانتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان ، الأولى تحميها قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء : فلطالما حاولت طوائف من الرعايا أن تتآلف سوية لاضفاء الصفة غير العربية على الدولة ، ولكنها لم تنجح فى هدفها » .

وقبل الدخول في تفاصيل عرض هذا الكتاب الهام ، أحب أن أقول إن التراث هو الميراث الذى يخلفه السلف إلى الخلف .. وإلى المجموعات البشرية المتعاقبة .. فهو وسيلة حضارية ، جمعت بجهد فكرى وابداع عقلي ، وقوة بدنية . وبالعلم والعمل ، تجسد الانجازات ، والتجارب ، والخبرات ، والمواقف ، والقيم .

ومن هذه الأنماط الحضارية ، الكلف بالجمال ، وتطوير فنونه ، وأساليبه ومراميه ، ذلك أن حب الجمال ، قديم قدم الانسانية ، فبهجة الانسان ، بنواحي الجمال التى تحوطه ، من مظاهر طبيعية ، أو فيما ترك من آثار ، أمر يشهد به تاريخ الانسانية ، وتسجله آثارها ، منذ العصر الحجري ، ومروراً بالحضارات القديمة ، حتى يومنا هذا .

ولهذا فإن كتاب « فن التصوير عند العرب » هو خلاصة تراث العرب الفني على مر العصور ، ويزيد من أهميته ، أنه من تأليف عالم متخصص من أبرز العلماء في الفن وهو « ريتشارد اتنغهاوزن » ، وترجمه الى العربية الدكتور عيسى سلمان ، والأستاذ سليم التكريتي .

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول ، تقع في حوالى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ومزود بلوحات مختارة من الفنون الاسلامية في العصور المختلفة .

## بداية الفنون التصويرية

وقد استعملت كلمة تصوير في هذا الكتاب بأوسع معانيها ، فهى لم تشمل الرسوم على الجدران ، وعلى الخشب ، وعلى الورق ، فحسب ، بل شملت الرسوم على الزجاج ، ورسوم الفسيفساء الزجاجية ، والرسوم على الفخار أيضاً .

ولما اتسعت الدولة الاسلامية ، فأصبحت دمشق حاضرة الأمويين ، وبغداد حاضرة العباسيين ، وقامت مدن اسلامية كبيرة في مشارق الدولة الاسلامية ومغاربها ، أصبح للفن التصويرى دعاة ، فهذا الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٧١٢ — ٧١٥م) ، يشيد قصر عمرة في بادية الشام في الأردن ، طرف البحر الميت الشمالي الشرقي ، فيزين السقف والجدران بالنقوش الجميلة ، وكذلك الخلفاء العباسيون ، زينوا قصورهم في بغداد ، وسامراء ، وآل عثمان في تركيا ، بالاضافة الى الفرس الذين سبقوا غيرهم في هذا المضمار .

لقد عني المسلمون بإبداع رسوم جميلة ، ولكن يندر تصوير الأحياء فيها ، إذ تكون في غالبها من أشكال نباتية هندسية فنية ، يتداخل بعضها ببعض ، فتكون زخارف ، أصبحت من مميزات جمالية الفن الاسلامي . وبقيت تلك الرسوم شاهدة على فنية هذه الأعمال التصويرية .

## قبة الصخرة المشرفة

ومن أهم تلك الرسوم ، أقدم التصاوير التى ابتدعت في الحضارة الاسلامية ، والتى مازالت محفوظة على نطاق واسع ، على الجدران الداخلية لقبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس ، وهو أول بناء ضخم في دولة الخلافة الاسلامية ، بنى بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان عام ٦٩١ م ، ويتألف البناء من قبة كبيرة ، ورواقين يدوران حول ما هو بارز من الصخرة ، وذلك إحياء لذكرى المكان الذى بدأ منه معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن مظاهر الزخارف التى تزين البناء ، تحكي قصة فن التصوير العربي الاسلامي المميز ، فنرى في الفسيفساء الزجاجية التى تغطى أجنحة وبواطن عقود الرواقين ، ورقبة القبة ، تنوعاً كبيراً ،



لوحة من كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » وهو محفوظ في مكتبة طوبقبو سراي باسطنبول

لأشكال رسوم نباتية ، فهذه أشجار رسمت رسماً واقعياً ، وهذه رسوم نباتية شكلية ، تتخللها أزهار وورود ، فى زهريات مختلفة الأشكال ، مزينة بفروع وأغصان ذات التواء ، وأخرى عمودية محتشدة وبنطاق واسع ، وتلك زهرة ذات حجم كبير ، تطغى على ما حولها .. وهكذا .

وهناك صفة مميزة أخرى ، وهى الاستعمال المفرط لأشكال المجوهرات المصنوعة من الأصداف والأحجار الكريمة ، المرصعة على الأشكال النباتية . وأكثر هذه الرسوم الفنية دهشة ، تلك التيجان المتنوعة الأكاليل والدروع على جوانب الأروقة المواجهة للصخرة فى الوسط .

إن هذه الزخارف الفسيفسائية المفرطة فى الغنى ، مظهر له ما يبرره ، فهى قبل كل شيء فى بناء يشغل مكاناً مقدساً منذ القدم .

وهذه أشكال التيجان والجواهر الثمينة النادرة الأخرى حول الصخرة المشرفة ، إبراز لدحر القوتين الكبيرتين المعاديتين للاسلام الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية . كما أظهر الخليفة تقواه كمسلم ، حين أرسل شعار الدولة المؤلف من سرادقين الى الكعبة فى مكة المكرمة .

أما الهدف الثالث لغلاء هذه الزخارف وفنية صنعها ، فهو التفوق على أبهة مبانى الديانات الأخرى ، واستمالة المهتدين الجدد ، الداخلين فى دين الله أفواجاً .

وبذلك نرى أن الغرض الأساسي لهذه الزخارف ، يبدو وكأنه ليس لابهار أبصار المشاهدين فحسب ، بل أكثر عن ذلك ، وهو الإعلان عن انتصار دين الله ، واظهار سيادته العالمية .

## الجامع الأموي فى دمشق

وكما نعرف فقد اتسم عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ، كعهد ازدهار للدولة العربية الاسلامية ، فقد اتسعت الفتوح شرقاً وغرباً ، فأظهر طموحاته العظيمة فى الداخل ، وخاصة ازدهار العمران ، فبنى عمائر كبيرة فى مراكز الخلافة ، وشيد المسجد الأموي فى دمشق ، ومسجداً فى المدينة المنورة ، وثالثاً فى القدس الشريف ، وتقول المصادر التاريخية ، بأنه أمر بتزيين الكعبة الشريفة فى مكة المكرمة بالفسيفساء .

ويعتبر جامع دمشق الكبير ـ الجامع الأموي ـ الأهم بالنسبة لتاريخ التصوير ، حيث نجد أوراق « الاكنتس » النابعة من « قرون الرخاء » ، والأشجار المرسومة رسماً واقعياً ، مشابهة لما هو موجود منها فى قبة الصخرة المشرفة ، أما المباني ، فتظهر فى الرسوم ، على هيئة مجاميع صغيرة ، أو وسط مناظر برية ، كما هو ظاهر فى المشهد الشامل على الجدار الغربي للرواق ، وهذا الرسم هو المفخرة الفنية الباقية من زخارف المسجد الأصلية ، حيث وصلت الى تلك الرسوم يد البلاء والتلف ، بسبب الزلازل تارة ، والحرائق أخرى .

وهناك مجاميع عديدة من المباني ذات الطرز المختلفة بين ثماني أشجار ضخمة . بالقرب من متسع مائي ، يخاله الرائي كنهر يجري بشكل واقعي .

وقد تجلت مهارة أولئك الفنانين ، فى إنجاز هذه الأعمال الفنية وتصويرها طبقاً لمتطلبات الشريعة الاسلامية . اذ لم تظهر مطلقاً رسوم لمخلوقات بشرية أو حيوانية من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كانت تمثل العالم الاسلامي الفسيح ، وقد أكد العالم الجغرافى المشهور « المقدسي » ذلك بقوله :

« من العسير أن تكون فى هذه الرسوم شجرة معروفة أو مدينة شهيرة ، لم تصور على تلك الجدران » .. ويعزز « ابن شاكر » وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجرى هذا الرأي ، عندما يصف الفسيفساء « انها تمثل كل الأقاليم المعروفة » .

ويعلق المؤلف على ذلك فيقول :

« من العسير على المرء أن يتصور دليلاً أقوى أثراً لسلطة عالمية تمارسها دولة جديدة ، أكثر مما وجدناه معروضاً فى هذه الزخارف الفسيفسائية التى يضمها الجامع الرئيسي فى العاصمة دمشق .

## قصر عمرة

أما قصر عمرة ، فقد بناه الوليد بن عبد الملك ، باني مسجد جامع دمشق الكبير « الجامع الأموي » ، وترجع أهمية قصر عمرة من الناحية الفنية إلى أنه حلقة الوصل بين الفن العربى الذى تأثر بالفن والثقافة البيزنطية ، وبين بداية الكشف عن شخصية الفن العربى المتميزة ، فالزخارف التى حفظت على جدرانه ، تعطينا فكرة ذات أهمية كبيرة ، فالصحن المركزى للقاعة الكبرى ، يشكل وحدة زخرفية متكاملة ، ذات أشكال هندسية ، مربعة ، أو ذات أضلاع كثيرة ، مزخرفة بأقواس تخلب اللب من جمالها وتناسقها ،أما غرف النوم فقد زينت جدرانها وسقوفها بزخارف مستوحاة من النباتات ، ومن المجموعات الحلزونية لأشجار الكرمة ، وقد وشيت هذه الزخارف بالمرمر والفسيفساء ، وقد غطي السقف بزخارف هندسية ، وتشاهد على الجدران شعارات تمثل زهرة « اللوتس » فى كأس مفرطح ، ذات تعبيرات رمزية .

ومن الموضوعات الفنية الشيقة والحية التى ترى فى أحد الأروقة ، قصة صيد البقر الوحشية بالشباك . وعلى الجدار المقابل رسم تقوم فيه كلاب الصيد بالهجوم على قطيع من الغزلان .

وهناك فى إحدى المقصورات ، سقف يدعو الى الدهشة والتأمل ، اذ رسمت فيه زخارف القبة السماوية ، بأبراج ونجوم ، وبطريقة علمية ، وهذه الزخارف مصنوعة من ألوان الذهب ، حتى السماء فيها مذهبة ، ومزينة بالفسيفساء .

ولعمرى فإن الفن التصويرى فى قصر عمرة ، ينتقل من موضوع تصويرى الى آخر ، وكأنه كتاب فنى ، يرى فيه الدارس لوحات مختلفة ، وفى انتقال مفاجيء باتجاه نحو تقسيم المنظر إلى وحدات تتكامل لتكون صفة بارزة من صفات فن التصوير عند العرب .

## القلاع والقصور الأخرى

لم يكن قصر عمرة هو المنزل الوحيد الذى شيد فى زمن الأمويين فى الصحراء ، ذلك لأن معظم بني أمية كانوا يكرهون العيش فى المدينة ، لأنهم كانوا يظنونها غير صحية لازدحامها ، لذلك بنوا لأنفسهم الكثير من المباني التى تشبه القلاع عند تخوم الأراضى الزراعية فى سوريا ، والأردن ، وفلسطين ، فعدا قصر عمرة ، يوجد قصران أمويان آخران ، يتجلى فيهما فن التصوير العربى ، وهما « قصر الحير الغربي » و « قصر خربة المفجر » .

وقد شيد قصر الحير الغربى بإتقان ، وزخرف بافراط ، وهو يقع على الطريق من دمشق الى تدمر ، ويعود تاريخه الى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، ويحتمل أن يكون قد شيده فى حوالى سنة ٧٣٠ م ، ويحتوى القصر على صورتين كبيرتين على جدران الغرف ذات السلالم ، الأولى موشاة بالفسيفساء ، التى يستغرق صفها وقتاً طويلا ، وأما الثانية ، فهى مرصعة بالمرمر فى تصوير بديع .

أما قصر خربة المفجر بالقرب من أريحا فى فلسطين ، فقد شيد فى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، وقد عثر المنقبان « هاملتون » و « برمكي » على نحو مائتين وخمسين قطعة مرسومة ، وعلى عدد كبير من الفسيفساء التى بقيت فى حالة جيدة ، من قصر خربة المفجر .

إن هذه التصاوير مدهشة خلابة ، اذ تحتوي علي تصاميم هندسية ، فى احداها مثلا شكل يتألف من شجرة تفاح أو سفرجل كبيرة ، مع نباتات مورقة على يمين الصورة وعلى يسارها ، ويرى بين هذه النباتات من الجهة اليسرى غزالان يقضمان الأوراق فى حركة بطيئة نحو الواجهة الأمامية ، وعلى الجهة اليمنى ، فتوجد صورة أسد مفزع ، قد قفز على ظهر غزال يرتعد فرقاً ، وهو يحاول الافلات .. ولكن دون جدوى .

## ازدهار فن الكتابة

والواقع أننا عندما نستعرض الرسوم التصويرية العربية ، فإننا لابد أن نتطرق من ذلك الى فن الكتابة ، فى الفترة الممتدة من أوائل القرن الحادى

عشر الميلادى وحتى منتصف القرن الثاني عشر ، لم يحدث أي تطور مباشر ، بعد التجارب السابقة لحركة التصوير الواقعية ، إلا فى التحف المعدنية ، والأوانى الخزفية ، والقراميد ، والجص .

وقد ظهر فى نهاية القرن الثاني عشر ، باعث آخر للتطور بشكل ملموس ، فى المخطوطات ، وهى أجمل المنمنمات التى يبدأ تاريخها بصفة أساسية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى

## كليلة ودمنة

كان شعراء العرب القدامى يتخذون الحيوانات مادة لموضوعاتهم الأدبية ، ولاسيما الخيل والابل ، لذلك لم يكن من المدهش ، أن نجد واحداً من المؤلفات العربية يتناول أساطير عن الحيوان ، وهو كتاب « كليلة ودمنة » يعزى الى الفيلسوف الهندي « بيدبا » ، وترجمه ابن المقفع المتوفى سنة ٧٥٩ م ، والذي يبين فى مقدمته بأنه لم يستخدم التصاوير الملونة للحيوانات ، ليجتذب الشباب العوام فحسب ، بل اهتمام الملوك على وجه التخصيص . لقد كان الكتاب فى الواقع مرآة للأمراء . وقد قيل عن صوره التى رسمت بألوان مختلفة ، أنها قد رسمت ، لتزيد من بهجة القارىء ولتجعل المفاهيم الواردة فى القصص أكثر تأثيراً .

## كتاب الأغاني

ويتمثل هذا النمط التصويرى أيضاً بصورة مشابهة فى كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الاصفهاني ، المكون من عشرين مجلداً ، والذى أنجز سنة ١٢١٩ م ، بعد عمل استغرق أربع سنوات ، وبقيت من هذا الكتاب ستة أجزاء ، منها المجلد الثاني والرابع والحادي عشر موجودة فى دار الكتب المصرية . أما المجلدان الرابع عشر والتاسع عشر ، فهما فى مكتبة « ملت كتب خانه سي » باستانبول ، والجزء العشرون فى المكتبة الملكية فى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك .

## الفن البيزنطي في لبـــاس عربى

ولقد ساد عنصران رئيسيان فى التصوير العربى خلال العهد الأموي ، العنصر البيزنطي ( الكلاسيكي ) والعنصر الساساني ، أما فى العصر العباسي ، فقد كان ـ بادىء ذي بدء ـ العنصر الايراني هو السائد ، ثم مالبث أن ساد العنصر الكلاسيكي عن طريق الإيحاء البيزنطي ، عندما استطاع المصور العربي أن يدخل التأثيرات الكلاسيكية فى منهجه الخاص ، ثم تكييفها لطريقة الحياة الإسلامية ، ويتضح ذلك فى المخطوطات الاغريقية التى ترجمت الى العربية بتصاوير مزوقة بالزخارف المختلفة ، مثل مخطوطة « مادة الطب » الاغريقية « لديوسقوريديس » المؤرخة فى عام ١٢٢٩ م ، والموجودة فى متحف « طوبقبو سراي » باستانبول فى تركيا .

وهناك صورتان تستحقان التنويه فى تلك المخطوطة ، عن النباتات الطبية ، الأولى تمثل رسماً لشجرة الكرم ، تمثل نمو النبتة من الجذر حتى الأوراق ، بتصوير صادق ، لدرجة أنها لو لم ترسم على ورقة ، لحسبها المرء نبتة أصيلة أغريقية أدخلت فى كتاب عربى .

أما الرسم الثاني : فهو تصوير لنبتة « العدس » وهى تقف على شكل مغاير تماماً لشجرة الكرم ، فنجد أن الصورة قد رسمت فى شكل متناظر الأجزاء ، دون أي تدرج فى التلوين .

وفى هذه المخطوطة العربية لمادة الطب رسم جدير بالتنويه عنه ، لنبتة « الاتراغالوس » ، التي تستعمل كعلاج لبعض الأمراض ، فقد رسمت بطريقة عادية ، ولكن بدلا من أن توضع فى مكان خال ، كما هى فى مخطوطة مادة الطب الأصلية باللغة الاغريقية ، أصبحت فى المخطوطة العربية ، تشترك مع منظر صيد ، يظهر فيه كلب مفترس من وراء التلال يطارد غزالاً شارداً ، فقد حاول الفنان العربي أن يضع هذه المنمنمات ، رغبة فى إضفاء الحياة على الرسوم النباتية .

## عاصمة الخلافة العباسية

وقد بلغ فن التصوير العربى شأو تكامله بعد سنة ١٢٠٠ م ، فى عاصمة الخلافة العباسية ، بغداد ، وبلغ مجده فى الربع الثاني من ذلك القرن ، وشاء القدر أن تكون أول إشارة تدلل على هذا التطور ، مخطوطة فى الطب البيطري ، خاصة بعلاج الخيل ، وهى مخطوطة « البيطرة » « لأحمد بن الحسين الاحنف » ، وتوجد منها نسختان ، نسخة محفوظة فى دار الكتب المصرية ، نسخت عام ١٢٠٩ م ، أصاب المنمنمات فيها بعض التلف . أما الأخرى ، فموجودة فى « استانبول » ، ونسخت سنة ١٢١٠م ، وتحتوى على تصاوير من ذات الأسلوب تماماً .

ولكن مرحلة النضوج تتمثل في منمنمات نسخة من مخطوطة « رسائل إخوان الصفا » ، وهى موسوعة علوم ، نسخت فى بغداد سنة ١٢٨٧ م ، وتمثل الأسلوب البغدادي الخالص فى أوج عظمته ، لأن فكرة التصاوير قد هضمت جيداً ، فى مفاهيم الحضارة العربية الاسلامية ، فأصبحت تتاجاً متميزاً .

## مقامات الحريري

ولقد كان لرسوم « مقامات الحريرى » ، التى أنجزت فى بغداد ، بالجهد الكبير ، والمتنوع ، والذى بذل فيها ، منزلة ، دفعت فن التصوير العربى الى الذروة .

تحتوي مقامات الحريرى على خمسين مقامة ، دارت أحداثها فى أماكن متفرقة ، ومختلفة ، أعطت للفنان العربى بعداً وخيالا ، ووفرت للقارىء تصوراً يضفى على المقامة حيوية وجمالاً وتاريخاً ، حيث اعتبرت مرآة للحياة العربية فى العصور الوسطى .

واشتهر من المقامات ، مخطوطتان ، الأولى محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس العاصمة الفرنسية ، تحتوي على تسع وتسعين صورة ، برسم الواسطي ، وتعرف باسم « شيفر حريري » نسبة الى مالكها « شيفر » .

أما الثانية ، فمحفوظة فى معهد الدراسات الشرقية ، بأكاديمية العلوم فى « ليننجراد » ، وتمتاز بمنمنماتها ذات الصفة التعبيرية المتوافقة مع قصة المقامة المعبرة عنها .

ولابد من وجود عدد من المخطوطات المفقودة لمقامات الحريري وقد دلل على ذلك اكتشافه نسخة ثالثة مزوقة مؤخراً ، فى استانبول ، ولكنها تعرضت لتشويهات لا يمكن اصلاحها .

لقد اعتمدت كل المنمنمات الموجودة على خبرة وحسن اطلاع على المناظر النوعية التي رسمت ، ولكن هناك استثناء وحيداً يتمثل فى صورة إحدى الجزر الشرقية التى رست عندها سفينة « أبوزيد والحارث » . إن هذا الرسم من بنت أفكار المزوق . فقد رسمت بطريقة زخرفية بديعة ولكنها مختلفة .

وغير مقامات الحريرى ، هناك الكثير من المخطوطات المزوقة ذات التصاوير . وقد اقتصرنا على ذكر ماسبق ، للشهرة الذائعة ، مثل ألف ليلة وليلة ، ومخطوطة رياض وبياض الأندلسية ، وكلها تدلل على ما كان للتصوير العربى من أشكال أكثر جاذبية وبهاء .

## فن ما بعد الغزو المغولى

ويعتبر الغزو المغولي نقطة التحول الكبرى فى تاريخ التصوير العربى الاسلامي ، والذى بلغ ذروته القصوى باحتلال بغداد ، سنة ١٢٥٨ م ، حيث قتل آخر خليفة عباسي حاكم فيها ، فخربت المدن ، وقتل الناس ، وأحرقت الكتب ، ورميت المخطوطات فى نهر دجله حتى غلب لون الحبر على الماء ، فدمر المناخ الاجتماعي والاقتصادى بعد الازدهار الذى أدى الى سمو فن تزويق الكتاب . فتبع ذلك ثلاثة تغييرات كبرى أولها هجرة كثير من الفنانين الى أماكن آمنة فى الغرب أو فى الشمال الغربى ، وأجبر آخرون الى الهجرة الى الشرق الأقصى للعمل فى العواصم المغولية



فرسان ينتظرون المشاركة فى استعراض : احدى لوحات المقامة السابعة من مقامات الحريرى

الحديثة ، وهذا التحول أحدث بدوره التغير الثاني الذي جعل الفنانين الذين أخذوا للعمل تحت إمرة الأسياد الجدد ، فهيأوا أنفسهم لأذواق فنية متغيرة ، والثالث خضوع هؤلاء الفنانين الى تأثيرات مغولية .

وخضعت بغداد مدة مائة وخمسين سنة تحت الحكم المغولى . الذين كانوا وثنيين ثم هداهم الله فاسلموا . ولكن انتاج المخطوطات المزوقة بقي مستمراً بشكل محدود جداً ، فقد انتقل مركز الانتاج الحقيقي الى دولة المماليك فى مصر وسوريا ، ولكنه لم يبلغ المستوى الرفيع الذى بلغه فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، ولكنه شهد انتعاشاً ضئيلاً فى النصف الأول من القرن الرابع عشر . فمن أهم السلسلات المميزة لمنمنمات هذه الفترة سلسلة تتألف من إحدى عشرة تصويرة فى بداية كتاب « منافع الحيوان » لمؤلفه « بختيشوع » وهو مخطوط طبي يتناول الانسان والحيوان والنبات ، بنفس الطريقة التي طبقها « ديقوريدس » عن النباتات ، وهناك أيضاً مخطوطة واحدة ، امتزجت فيها الصفات العربية والصينية ( المغولية ) وهي مخطوطة « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، للبيروني ، مؤرخة سنة ١٣٠٧ م ، فتظهر رسومها الأشخاص بسحنة مغولية ، ولباس عربي ، وكذلك مخطوطة « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزويني الذى تناول فيها الاجرام السماوية والمعادن والنبات والحيوان والانسان ، وهناك منمنمة أخرى فى مخطوط عنوانه « منافع الحيوان » تأليف « ابن الدريهم الموصلي » ، الذى خطه بيده فى سنة ١٣٥٤ م . وهكذا يتضح أثر الغزو المغولي فى المنمنمات العربية ، ولكن يبقى الطابع العربي هو الغالب .

## المنمنمات فى العصر المملوكي

وقد تجلى مظهران من مظاهر الفن التصويري العربي فى عهد المماليك البحرية ( من سنة ١٢٥٠ م ـ ١٣٩٠ م ) ، الأول هو الفن المتقن التأليف فى العالم الاسلامى ، الذى يتمثل فى الاشكال الهندسية المعقدة . التى لم تكن تغطى جدران المساجد وقبابها فحسب ، وإنما كانت تغطي المنابر ، والأبواب ، ودفات الشبابيك ، وأغلفة الكتب ، والسجاد .

أما المظهر الثاني فهو ظهور شكل واحد من الأشكال الرئيسية للزخرفة ، بل إنه الشكل الوحيد أحياناً ، ذلك هو الكتابة الخطية لاسم السلطان ، أو الأمير بكل نعوته الدقيقة وأوسمته ، وهذا ما جعل الرسام الرسمى فى عهد المماليك ، غير قادر على انتاج فن واقعي ، يمثل الحياة اليومية تمثيلاً صادقاً بمضامينها النفسانية . ويتخلى عن الفن الاجتماعي على غرار ما حوته مخطوطات مقامات الحريري ، الموجودة فى مكتبتي باريس ولينينجراد .

ويتمثل الأسلوب الملوكي فى مخطوطة مملوكية فريدة مؤرخة سنة ١٢٧٣ م ، وهى مخطوطة « دعوة الأطباء » ، من تأليف « ابن بطلان » ، وبها إحدى عشرة صورة ويمكن مشاهدة جملة من المظاهر المميزة للأسلوب المملوكي فيها ، ذلك أن التصويرة لها إطار تخطيطي ذو أقواس وزخارف



شجرة مع مناظر حيوانية ( ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م ) وهى فسيفساء أرمنية فى غرفة الاستقبال لحمام خربة المفجر ( الأردن )

متناظرة ، كما نسخت مقامات الحريري وزينت بتصاوير مملوكية . وكذلك كليلة ودمنة .

وهناك مرحلة أبعد فى تطور التصوير فى العهد المملوكي ، فى مخطوطة فريدة تم التوصل إليها ، وأنجزت فى حوالى منتصف القرن الرابع عشر ، وهذه المخطوطة هى « كشف الأسرار » لمؤلفها « ابن غانم المقدسي » ، الذى تناول الأزهار والطيور والحيوان ، وصورها تمزج بين العرض الشكلى فى التصوير المملوكى ، وبين رشاقة الترتيب الزخرفى .

## المنمنمات فى القرآن الكريم

وهناك فرع ثالث . بالإضافة الى الرسوم والزخارف التى صنعت فى البلاطات وفى المراكز المدنية ، ألا وهو التصوير الزخرفى فى القرآن المجيد ، والذى سار موازياً لهذين النوعين ، ويتمثل هذا الفن فى أشكال هندسية مضافاً اليها أشكال نباتية ، إذ منذ القرن الحادي عشر الميلادى غدا زخرفة القرآن المجيد شكلا أساسياً للمصحف الشريف .

وتتمثل أقدم الزخارف القرآنية ، فى تلك الأشكال التى تفصل بين الآيات ، ثم تلك الزخارف التى تفصل بين السور ، وزخارف الهوامش والمقاطع ، وأخيراً ظهرت الزخارف التى تغطى صفحة الغرة بكاملها ، إما على شكل تركيب من صفحة واحدة أو صفحتين ، كما تضاف زخرفة الى خاتمة القرآن .



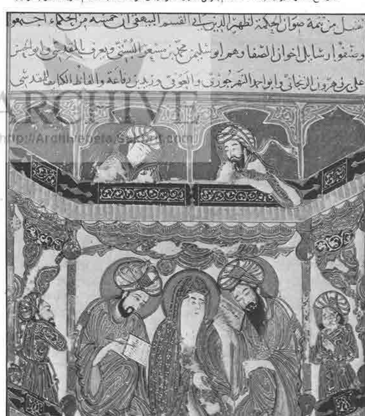
## المرحلة الأخيرة فى التصوير العربى

ثم يعتبر عام ١٣٥٠ م هو المرحلة الاخيرة للتصوير العربى الاسلامى ، لأنه خضع لأساليب غير عربية ، ما عدا تزيين القرآن الكريم ، الذى استمر ولازال بأسلوبه المميز .

لقد طغى الأسلوب التركى فى بلاد الامبراطورية العثمانية ، والأسلوب الفارسى فى بلاد فارس ، فنجد مثلا مخطوطة « عجائب الخلق » المنسوبة للطوسى تنسخ فى عام ١٨٨٨م ، وقد وضعت بأسلوب فارسى ظاهر ، وكذلك جميع المخطوطات التى نسخت بعد ذلك ، فقد تغلبت عليها إما الصفة التركية أو الصفة الفارسية ، وإن كان قد صبغ الفن التصويرى بطابع غير عربى ، إلا أن الحرف العربى يبقى بجماله ورونقه ، لان العربية هى لغة القرآن .

وستبقى تلك الرسومات والمنمنمات العربية أصدق مرآة للحضارة العربية الزاهرة .. فقد ورثنا الكثير .. وتعلم العالم شرقه وغربه من حضارتنا .. فكيف نقف اليوم إزاء هذا الإرث الحضارى ، وما منزلته فى حاضرنا وعند الأجيال المقبلة ؟

**حسنى شحادة**



من كتاب رسائل إخوان الصفا ( ١٢٨٧ م ـ ٦٨٦ هـ )

## في وجه الاستعمار: صفحات من البطولات الخليجية

# سيف بن سلطان والأسطول الأعجوبة

بقلم: أحمد العناني

**ما نزال مع فترة ماجدة من تاريخ عمان ترعرعت فيها زهرات المجد بفيض من دماء مختلطة ، بعضها دماء المجاهدين ضد المستعمرين الواغلين ، وبعضها من أسف بالغ دماء يسفكها المسلمون في فتنهم الداخلية .. ويا لله كم تكبر عظمة الرجال الذين يروضون جياد الحياة الجامحة في عصور المحنة الكبرى .. وهي عظمة في التاريخ الاسلامي لا يمكن أن تكون بغير جذور إسلامية ، وصفات من العظمة حقيقية ، واذا اجتمعت غاية الاسلام وشرف الرجولة في قائد فهو الحلق الذي لا يلحق ...**



يرى الدكتور صلاح العقاد المتخصص في تاريخ الخليج (١) أن الحافز الديني (كان) يلعب نفس الدور الذي تؤديه المشاعر الوطنية في عصرنا الحديث ومن ثم لم يكن بوسع أي زعيم تحقيق الوحدة إلا على أساس دعوة دينية ومن هنا (كما يرى هو) ارتبط قيام أسرة اليعاربة باحياء نظام الأمة ، كما نسبت إلى بعض الأئمة المعجزات ... الى آخر ذلك ،

ونحن على خلاف حاسم فيما يراه الأستاذ الدكتور صلاح العقاد في أمر «كان» هذه عن الدور الديني في استقلال وتحرك الشعوب الاسلامية ، فان الذي نراه من منطلق عقيدتنا غيرما يراه هو من منطلق اعتقاد له يداري التخفي فيه وهو غير خاف .. نرى أن الحافز كان ويظل يلعب الدور الأساسي في قيام أمواج لا تنقطع من التحديات التي تواجه طبعا بردود فعل استعمارية وأحياناً وطنية ، ولقد كان ذلك بالضبط هو رأي دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا الاستعماري اليهودي الذي قدر عبثية المواجهة مع الاسلام بغير القضاء على جذور القرآن من المجتمعات الاسلامية ..

واني لا أشك إطلاقاً أن دراسات توينبي في تاريخ الاسلام وهو رجل شغل بابن خلدون كل الانشغال وبالدراسات الاسلامية بعامة ، هي التي حفزته إلى بلورة نظريته المعروفة في سير التاريخ عن التحدي ورد التحدي والتي نقض بها نظرية ماركس في الموضوع نفسه . فالاسلام قد يظن أن شعوبه ماتت تأخراً وقهراً وصراعاً فيما بينها ، واذا بقيادة رجل مخلص حكيم تأخذ الأمور اتجاهاً آخر ، واذا القلوب كلها من وراء ذلك الرجل صفاً واحداً وكتلة شعور واحدة ... ذلك ما حصل في غير حادث واحد .. وما معركة الزلاقة ومعباسة وعين جالوت وحطين ووادي المخازن وغيرها كثير إلا أمثلة عن ظاهرة الاسلام العجيبة ..

واذا ما عم الألم والغضب الشعوب الاسلامية فإن الأمر لا يتطلب إلا قائدا يحمل سمات الاسلام للرجل الزعيم فاذا الامور بين ليلة وأخرى على غير ما عرف عنها تماماً ..

### استعادة الثقة

في وهج المشاعر التي أوجدها طرد البرتغاليين من آخر معاقلهم في مسقط عام ١٦٥٠ للميلاد ، لم يستعد العمانيون ثقتهم بأنفسهم ، وبعقيدتهم وبتاريخهم وحسب ، ولكنهم في الواقع اتخذوا دوراً هجومياً لطرد البرتغاليين من المجال الحيوي العماني ولا سيما في شرقي أفريقيا ، ومعروف جيداً دور العرب المسلمين في كل ساحل زنجبار على المحيط الهندي ، في موانئه الزاهرة مثل كلوه وممبسة ، وباتا ودار السلام ونجبا ومافيا وغيرها .. فبعد أن عمروا واجهة افريقيا الشرقية على المحيط وأوجدوا فترة نشاط هائلة بين تلك

الجبهة البحرية وآخر أبعاد المحيطين الهندي والهادي . جاء البرتغاليون بأساطيل متقدمة التسليح وارادة للعدوان لا تبالي ولا تتردد ، وحقد صليبي متوقد .

وما ان صحا العمانيون على حقيقة وضعهم الجديد حتى أدركوا أن طرد البرتغاليين من موانىء بلادهم ما لم يتبعه هجوم آخر لاستعادة حقوق عمان المسلوبة في مجالها الحيوي في ساحل زنجبار وفي الجزائر ذوات الأهمية الاستراتيجية للمحيط الهندي ، وفي المواقع التجارية على الساحل الغربي للهند ، خصوصاً وان النفوذ الاسلامي كان غالباً في مواقع كثيرة منه .. أقول أدركوا أي العمانيون انه بغير إكمال حلقات النصر فان كل شيء كان معرضاً لأكبر الخطر ... وذلك ما أدركه الامام سيف الدين بن سلطان بخاصة .

## خصائص عمان البحرية

لقد صحت عزيمة الامام سيف بن سلطان على اعادة مجد بلاده البحري ، والعمانيون كما هو معروف محمولون حملا على مثل ذلك المجد ، فهم يواجهون على الجبهة البرية امتدادا من مجاهيل الربع الخالي ، وبينهم وبين مراكز الخصب النسبي في ساحات الاحساء ( حيث موقع مدنية التجارة العظمى الجرعاء في قديم الأيام ) وفي جزر البحرين وسيراً مع دروب الشمال الى البصرة والعراق واقليم فارس .. مسافات باهظة الكلفة على المتاجرين أو حتى المسافرين في البر ..

ولم يكن للعمانيين للدخول الناشط الى عالمهم الخليجي وعالمهم في المحيط الهندي إلا النهضة البحرية ... وهي حين يوجد القائد العازم ليست أمراً عسير التحقيق .

فعمان بلد يزخر بالموانىء الطبيعية الممتازة ، والمتاجرون في البحر تتفتح أمامهم أفضل الفرص المواتية سواء في القارة السوداء أم في الهند والشرق على حد سواء .

وكانت ذكريات المجد العماني البحري قد بدأت تطوف بأذهان الناس وما زال للعمانيين سفنهم المتنوعة الكثيرة من سفن صيد وسفن تجارة ونقل من العبرة ــ ذلك القارب الرفيع المعروف باسم الكانوه ــ وحتى سفن النقل الكبيرة من نوع « البغلة » ذات المؤخرة العالية . وكان سهلاً عليهم الحصول على أشكال الخشب من العادي منه حتى خشب الساج الهندي ... لكن الشيء الوحيد الذي كان ينقصهم هو السفن الحربية المزودة بالمدافع وذخيرة البارود النافذة ، وهذا ما استماتوا في الوصول اليه .

وانه لأمر يثير أعظم الاعجاب أن يتمكن سيف بن سلطان خلال تسع عشرة سنة من الحكم أن يبني أسطولاً حربياً عرفت فيه ثمان وعشرون فرقاطة ضخمة ، لكن أحداً لا يستطيع أن يجزم بعدد سفنه المساندة الأخرى ، وحسبنا أن نعلم أن البوارج من سفنه الكبرى كانت مسلحة بثمانين مدفعاً ، وأنه كان في الامكان وخلال فترة استنفار محدودة تحويل ما يقارب الأربعمائة سفينة وقارب من الخدمات المدنية الى الخدمة العسكرية بفضل الاحتياطات المتخذة سلفاً في بناء تلك السفن .

والواقع أن العمانيين كانوا قد تلقوا منذ مدة طويلة رسائل الاستغاثة من ساحل زنجبار وغيره من المناطق الداخلية والبحرية من شدة وطأة الاستعمار البرتغالي وتعصبه الديني ، بعد أن اصبحوا يبتزون أموال الناس لأتفه الأسباب حتى قيل إنه حين كانت تعثر دابة لبرتغالي أمام بيت أو متجر لمسلم كلف المسلم تعويضاً قد يستغرق كامل ثروته .

وقد تمكن الامام سلطان بن سيف عام ١٦٦٠ م بأسطوله المتواضع عندئذ أن يحتل ممبسة لكنه كان عاجزاً عن محاولة الهجوم على القلعة الهائلة المعروفة هناك بقلعة يسوع فما لبث البرتغاليون أن استردوا ممبسة ، وكأن شيئاً لم يكن . ولم يكن نصيب سائر الحملات التي شنها خلفه وابنه بلعرب بن سلطان بأحسن من حظ حملته هو ، وظل الشر الكبير يعصف بمسلمي شرقي أفريقيا حتى عام ١٦٩٣ حين كان حكم البلاد قد آل إلى سيف بن سلطان .

## النصر البحري العظيم

لقد قاتل الاسطول الاسلامي العماني قتالاً عظيماً في معركة ممبسة التي ابتدأت في ١٣ مارس ــ آذار عام ١٦٩٦ واستغرقت سجالاً حتى ١٤ ديسمبر ١٦٩٨ ، حين أدت العناية الالهية الى حسم المعركة نهائياً في صالح المسلمين حيث استشرى الطاعون حتى أهلك بقية المقاومين البرتغاليين .

لقد أدى الاسطول العماني القوي الدور الرئيسي في معركة اتسمت بصورة من أقسى صور الصراع العنيد بين حماة الاسلام والنصرانية ، وليس هذا الكلام من باب المبالغة في شيء أبداً ، فحين وجد البرتغاليون أن بوارج العمانيين كانت تغطي اللسان البري الضيق من خلف قلعة يسوع ، الذي كانت امداداتهم ترد منه ، تكبد البرتغاليون مشقة حملة ضخمة سيروها من جوا في الهند ... وكان التحدي الكبير أن تتمكن النجدات من الوصول الى داخل قلعة يسوع وتوصل المؤن والأدوية الى المحاصرين فيها ، ولهذا دارت معارك وحشية ومطاردات عنيفة في البحر والبر ، ولم يتمكن سوى ما يقارب عشر المدد من الوصول الى القلعة ، ولكن أولئك العشرة في المئة ما لبثوا أن اصيبوا بالطاعون الذي كان قد استشرى داخل القلعة .

وفي أوائل سبتمبر ١٦٩٧ وقد مضى على حصار المسلمين للقلعة واحد وعشرون شهراً تمكنت حملة من موزمبيق من الوصول تسللاً الى داخل القلعة ببعض المؤن ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، فظلوا يتابعون الحصار . وفي ديسمبر من عام ١٦٩٨ وفيما كان أسطول جديد للبرتغاليين يطل على ممبسة وقلعة يسوع قادماً بتجريدة كبرى لفك الحصار ، كان المسلمون قد قضوا على مقاومة آخر جندي برتغالي ، ودخلوا الى القلعة التاريخية التي اشبهت مدينة الاشباح إذ كان معظم جنودها قد سقطوا صرعى المرض والجراح والمجاعة .

ولكن ما وجه البطولة من ناحية سيف بن سلطان والعمانيين طالما كان للطاعون كل ما كان له من يد طولى في حسم المعركة ؟ إن الجواب على هذا يدخلنا إلى الجوانب الحزينة من التاريخ الاسلامي منذ القرن السادس عشر للميلاد بخاصة وهي جوانب تبرز منها ثلاث سلبيات كبرى شوهت تاريخنا تشويهاً رهيباً .

## الثالوث المفزع

يتألف ثالوث السلبيات المفزع في تاريخنا الحديث من ثلاث نقاط سيئة : هي الخلافات القبلية أولا والخلافات المذهبية ثانياً . والصراع على السلطة مما يؤدي الى تمزيق الأمة .

ولضيق المجال هنا لو أردنا أن نعدد مصائب الخلافات القبلية التي شوهت وجه الحياة أيام دولة اليعاربة وما بعدها ، ومعروف مع الأسف البالغ أن الخلافات المذهبية الدينية تتبع النزعات القبلية كتبعية الظل للشيء .

إن المذابح والصراعات الداخلية كانت طول الوقت مستعرة في خلال صراع السلطان مع البرتغاليين لطردهم من شرق أفريقيا كله .

ولقد استفحل الشر وعظم الخطب حتى انكفأ الرجل الذي كان يعد لأسطول على مستوى دولة عظمى يسترد به الطرق الاسلامية التجارية في المحيط الهندي والهادي حتى أسقط في يده ، ويبدو أن بعض القوم أغروه اغراء شديدا ، بالاستعانة على خصومه بدولة أجنبية فوجد أن يستنجد بنادر شاه الفارسي بدلا من الاستعانة بقوة أوروبية من النوع الذي كان يحاربه .

وكانت خطوة غير موفقة على الاطلاق فان قدوم نادر شاه الى خورفكان على رأس قوة فارسية للتدخل في شئون عمان الداخلية أثبت أنه كان شراً مستطيراً . لكن الرجل العصامي الذي أوجدته تلك الظروف العسيرة لانقاذ عمان من حضيض كارثة كبرى كان هو أحمد بن سعيد الذي سيكون إن شاء الله تعالى موضع دراسة في مقالنا المقبل .

**أحمد العناني**

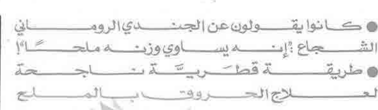
هامش :

(١) التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٤٨ طبعة مصر

## الملح في حياتنا

# مادة لها تاريخ في حياة الإنسان

## كثرتها في الطعام خطر وقلتها أمان وسلامة






بقلم: الدكتور عبدالله الباكر



يعتبر ملح الصوديوم من العناصر الهامة للجسم ، وهو العنصر الموجب الأساسي فى سوائل خارج الخلية ، حيث نجده فى محلول متعادل تسبح فيه الخلايا لاستمرار عملها وتغذيتها ، وبالتالي حياتها ، إذ أن خلايانا بتعبير أدق « تسبح فى بحر من الملح » ؛ ويخضع تعادل الملح فى المحلول لتأثيرات هرمونية وعضوية أهمها الكلى وغدد ما فوق الكلى والغدد العرقية .

ولقد عرف الملح منذ فجر التاريخ ، وبدأ تذوقه يضيف نكهة على الأكل إذ أن الأكل الطبيعي لم يكن مذاقه مالحاً ؛ وكانت للملح قيم مختلفة عبر التاريخ فكانت له قيمة « مادية » لدرجة أنه كان يطلق على العبيد الجيدين وعلى الجنود فى العصر الرومانى والذين كانت رواتبهم تدفع بكميات من الملح « أنه يساوى وزنه ملحاً » . والأغرب من ذلك أن كلمة راتب Salary جاءت من اسم الملح Salarium وكان الملح أيضاً يستعمل فى بعض الأحيان كقيمة بديلة لمواد أخرى ، ويقال إن اثيوبيا كانت تستعمل الملح على هيئة قطع نقدية مستديرة منه حتى بداية هذا القرن ، واستعمل الملح فى الطب أيضاً بمختلف الأدال : فكان يستعمل فى غسيل العيون والقرح والدمامل والحروق ولتنظيف مختلف الجروح ، وكسائل معباً بتركيز متعادل أو بدون العناصر الأخرى كبديل لفقدان السوائل والدم من الجسم بادخاله عن طريق الأوردة أو الفم فى حالات الاسهال عند الأطفال . واستعملناه حديثاً فى قطر فى علاج الحروق بتركيز معين « ٤,٥ جرامات » لكل لتر من الماء فى الطريقة القطرية لعلاج الحروق والتى عالجنا بها ٢٠٠٠ مصاب حتى الآن .

وكان يستعمل فى كثير من الاعتقادات والمناسبات مثل رش الأطفال فى العصر البابلي لمنع الشياطين عنهم ، أو عند الكاثوليك عند التعميد حيث يوضع فى الفم كرمز للصفاء والنقاء ، كما كان يعلق على أبواب البيوت والمحلات ليكون مانعاً للحسد وحارقاً لعين الحسود .

وبالرغم من هذا التاريخ عن الملح الا أنه من المواد التى أضيفت حديثاً الى طعامنا ، اذا أننا نشأنا فى سابق الزمان على أكل فيه قليل من ملح الصوديوم وكثير من ملح البوتاسيوم ، لأن الانسان كان يعيش على الفواكه والخضروات ، أى أنه كان نباتياً بالطبيعة ـ لذلك السبب فان الآلة الفسيولوجية فى

الجسم مركبة على أساس الحفاظ على الصوديوم وفقدان البوتاسيوم حتى لا يبقى البوتاسيوم بكمية زائدة في الجسم فتضر الانسان .

والأطفال حديثو الولادة يحسون بطعم الملح اللاذع ، وبتقدم العمر يبدأ تذوق الملح والشهوة له تزداد ، حتى في سنين المراهقة ، فقد وجد أن البعض يلعق الملح ويشتاق بشدة إليه ، ويذهب الدكتور / ليدت بيج الى القول مستنتجاً « الى أنه من الواضح أن الشهية للملح تعتمد على التغذية الأولية المتعود عليها ، وليست لها علاقة بحاجتنا الى الملح » .

أما عن أهمية الصوديوم في الجسم فتتلخص في التالى :

(١) ان عنصر الصوديوم من اهم العناصر لاستمرار العمليات الحيوية في الجسم ، إذ أن التناضحية Ormolarity في سوائل خارج الخلية والبلازما بالذات تعتمد أساسا على وجود كمية معينة منه يمكن قياسها ، حيث أن الزيادة والنقصان في هذه الكمية تؤدى إلى تفاعلات فسيولوجية سريعة تشمل غالبية الأجهزة في الجسم لاحداث التعادل المطلوب ، الأمر الذى إن لم يتم سيؤدى إلى حالات مرضية بسبب هذا الاضطراب قد تؤدى الى الوفاة إن لم يتم التدخل الطبي فيها .

(٢) أما على مستوى الخلية فإن حركة الملح في مختلف الاتجاهات خروجا أو دخولا هامة جدا ، حيث أن خلايا الجسم يوجد بها مضخة تسمى « مضخة الصوديوم » للتحكم في حركة الصوديوم والبوتاسيوم معا ، وأهمية هذه المضخة أنها :

• تحافظ على حيوية الخلية واستمرار مفعولها إذ أن فشل هذه المضخة التي تعتمد على الطاقة يؤدى إلى موت الخلية .

• لها دور كبير في امتصاص الأملاح والمواد المرافقة لها سواء في الأمعاء أو في الكلية مثل الجلوكوز والأحماض الأمينية .

• لها دور كبير في الافرازات بمختلف أشكالها في مختلف أجزاء الجسم .

## مقادير الملح الصحية

إن الكمية الضرورية للجسم من ملح الصوديوم تعادل ٢٥٠ ـــ ٣٠٠ ملليجرام يومياً ، وحتى إذا تجاوزنا ذلك في بعض الأماكن التي يعمل فيها الانسان ويفقد كميات ضئيلة بالعرق فإنه يجب أن لا يزيد عن ١٫٥ ـــ ٣٫٥ جرامات يومياً وهذه الكمية موجودة في جميع المأكولات الطبيعية بدون إضافة الملح على الأكل ، فهل نحن متمسكون بذلك ! طبعاً لا . فلقد وجد أن الأمريكي العادى يأكل ما يعادل ١٠ جرامات ـــ ٢٠ جراماً من الملح يومياً بسبب إضافة الملح على المأكولات المصنعة والمعلبة والمجففة للحفظ والتخزين .

وبنظرة بسيطة على كمية الصوديوم الموزعة في جسم الانسان ستتضح عدة حقائق ..

| | | |
|---|---|---|
| وجبة دجاج ٢٫٢٣٤ | فطيرة دجاج ٩٠٧ | دجاج ٢/١ صدر ٦٩ |
| ملح معلقة ١٫٩٣٨ | زيت الصويا معلقة ١٫٠٢٩ | ليمون ١ |
| ملحة طماطم فنجان ١٫٤٩٨ | شوربة الطماطم فنجان ٩٣٢ | طماطم ١٤ |
| كفتة ١٫٣٠٤ | هامبرجر ٩٩٠ | شريحة لحم ٣ اوقيات ٥٥ |
| خيار مخلل ٩٢٨ | سلطة خيار باللبن ٢٢٤ | خيار ٧ شرائح ٢ |
| فطيرة التونة ٧١٥ | تونة معلبة ٣ اوقيات ٣٨٤ | سمك التون ٣ اوقيات ٥٠ |
| فوار الحموضة ٥٦٤ | ماء الصودا ٨ اوقيات ٣٩ | ماء ٨ اوقيات |
| بطاطا مهروسة فنجان ٤٨٥ | بطاطا مقلية عشر شرائح ٢٠٠ | بطاطا ٥ |
| جبنة حلوم اربع اوقيات ٤٥٧ | حليب مجفف ٢/١ فنجان ٣٢٢ | حليب فنجان ١٢٢ |
| ذرة معلبة فنجان ٣٨٤ | كورن فلاكس فنجان ٢٥٦ | ذرة ١ |
| كعك ٢٩٣ | كيك شريحة ١٧١ | خبز توست لقطعة واحدة ١١٤ |
| فطيرة التفاح ٢٠٨ | عصير تفاح فنجان ٦ | تفاحة ٢ |
| مارجرين نباتي ١٤٠ | زبدة مملحة معلقة صغيرة ١١٦ | زبدة معلقة صغيرة ٢ |
| عصير عنب اربع اوقيات ١٩ | جيلي عنب معلقة صغيرة ٣ | عنب عشر حبات ١ |

جدول (١) يوضح كميات الملح الزائد فى كثير من الأطعمة المعلبة والمحفوظة ، مشاراً إليه بالمللى جرام



مأكولات طبيعية يوجد بها الكمية الضرورية للجسم من الملح ، وذلك تحت شرط عدم إضافة الملح على هذه المأكولات ويستثنى من ذلك بالطبع طبق شوربة الصلصة والذى نقول لك إحـــذر منـــه .

يحتوى جسم الانسان على ٩٠ جراما من الصوديوم موزعة على الشكل التالى :

١) السوائل خارج الخلية ( ٤٠ جراما منها ٤٤ في المائة قابلة للتبادل

٢) سوائل داخل الخلية ( ٨ جرامات ) منها ٩ في المائة قابلة للتبادل .

٣) العظام ( ٤٢ جراما ) جميعها قابلة للتبادل .

## التغيرات في نسب الملح

أ ــ نقص الملح في الجسم :

ينتج عن إحدى طريقتين :

(١) إما عن طريق نقص الكمية المتناولة عن طريق الفم كما هو الحال في علاج حالات هبوط القلب ، أو بعد العمليات الجراحية عندما يعطى الماء وحده لعدة أيام ، أو عدم التعويض بعد العرق الغزير أثناء التأقلم والذى قد يصل النقص اليومى فيه الى ٣٥ جراما .

(٢) وإما عن طريق زيادة في اخراج الصوديوم . ويكون ذلك عن طريق :

• الدم كما في حالات التزيف أو الحروق أو العرق في بعض الحالات .

• الجهاز الهضمى كما في حالات القيء أو الاسهال .

• عن طريق الكلية كما في حالات التهاب حوض الكلى المزمن وفشل الكلى المزمن .

ب) زيادة الملح في الجسم :

ينتج عن إحدى طريقتين :

(١) زيادة في الكمية المتناولة عن طريق الفم أو عن طريق الوريد ، خاصة بعد العمليات الجراحية .

(٢) نقص في الكمية المخرجة من الصوديوم كما يحدث في بعض أمراض الكلى ، هبوط القلب ، أمراض الكبد أو خلل بعض الهرمونات .

## من أين تأتى كمية الأمــلاح الزائدة ؟

يوجد الملح الزائد في كثير من الأطعمة المعلبة والمحفوظة ، واذا قلنا إن الأنشوجة والسالمون المدخن وأنواع المكسرات بها الكثير من الملح ، فهذا ليس بغريب ، ولكن الغريب إذا قلنا إن الحبوب والخبز والبدنج والبنكيك ( الكيك ) وعصير الطماطم وجميع أنواع الشوربة تحتوى على كمية كبيرة من الملح أيضاً ( أمثلة : جدول ١ ) .

حتى مياه الشرب في بعض المناطق قد تحتوى على كميات زائدة من الصوديوم ، وتصل في بعض مناطق الجنوب في أمريكا الى ٤٠٠ مجم في كأس من الماء في بعض الأحيان .

أما بالنسبة لدولة قطر فان نسبة الصوديوم من مياه الشرب حسب تحليل مختبرات وزارة الصحة العامة فانها على الشكل التالى :

١ ــ المياه الحكومية : تختلف النسبة فيها من منطقة إلى منطقة حيث انها تتراوح بين ٤٥ ــ ٧٠ مجم في كل لتر ، وهذه النسبة مقبولة صحياً حسب المواصفات الدولية .

٢ ــ المياه المعبأة المتداولة في الأسواق : انظر الجدول(٢) .

إن أكبر كمية من الأملاح توجد في المأكولات المصنعة ، وهذا مصدر القلق ، والتى تعتبر في بعض البلدان ٥٥ ــ ٦٠ في المائة من مصادر الأكل .

إن استعمالات الملح كثيرة ، فهو يستعمل لتحسين المذاق في الأكل المصنع وفي الأطعمة المخبوزة ، ويستعمل للتحكم في الخميرة وتقوية المواد الجلوتينية بهـا .

ويدخل الملح في اللحم المصنع كمادة حافظة وكعامل لتحسين البروتين . ويدخل ــ أيضاً ــ في الصويا والحليب المجفف ( نصف الدسم ) .

أما في مشتقات الألبان فيدخل في الزبدة كمادة حافظة ، وفي الجبن كمادة للتحكم في النضوج ولمنع تكاثر البكتيريا ويسهل الطعم .

وطبعاً لاشك في وجود الملح بكميات كبيرة في جميع المخللات .

## ما هى بدائل الصوديوم ؟

١ ــ كلوريد البوتاسيوم :

يباع هذا الملح تحت أسماء مختلفة ، وقد جرب كبديل ، لكنه يجب أن لا يؤخذ من قبل المصابين بمرض القلب أو الذين لديهم اضطرابات كلوية ، وهناك مشكلة أخرى وهى طعمه المر ، لذلك تلجأ بعض الشركات الى اضافة مواد أخرى إليه للتخفيف من طعمه ، وتلك المواد ذاتها قد تشكل خطراً على الانسان .

٢ ــ ملح مورتن لايت :

وهو خليط من الصوديوم والبوتاسيوم للحد من مرارة الطعم وللتقليل من الصوديوم في نفس الوقت . ولابد من تحذير مرضى القلب والضغط المرتفع جداً والكلية من هذا المزيج .

٣ ــ ملح البحر :

يباع ملح البحر في عبوات في بعض البلدان ، وبدراسته كبديل على الحيوانات وجد أنه يرفع الضغط أكثر ، ورغم أنه يحتوى على بعض المعادن الجيدة ، الا أن نسبتها تتراوح من مكان الى مكان وتعتمد على المواسم ، وبه مادتان ، هما النيكل والقصدير ، فقد ترتفع نسبتهما فتشكلان خطراً على الجسم . وهذا الملح الى جانب أنه غالى الثمن بالنسبة للملح العادى ، لا ينصح بأن يكون بديلا .

٤ ــ مادة جديدة :

أعلن حديثاً أن العلماء اليابانيين في جامعة هيروشيما قد طوروا مادة جديدة ، لها طعم الملح ولكنها لا تحتوى على الصوديوم .

## الملح والعرق

من ضمن التعادل الفسيولوجى للأملاح والتنظيم لعملية التبادل يفرز في العرق كمية قليلة من الملح ، وتقل نسبة ملوحة العرق كلما غزر وقرب الصيف بالنسبة للناس العاديين والمتأقلمين على المناخ الحار ، لذلك كان الاعتقاد الخاطىء ، وهو الذى أدى الى الافراط في الملح في بعض البلاد الحارة ، بأن « الذى يعرق كثيراً يجب أن يأكل ملحاً أكثر » ، حتى أن بعض الناس يلجأون الى اعطاء حبوب الملح وخاصة بالنسبة للرياضيين .

## الملح واليود

يعتبر اليود من المواد الهامة التى تدخل في تكوين هرمون التيروكسين الذى تفرزه الغدة الدرقية ، ويؤدى هو نفسه الى تضخم هذه الغدة ، ويحتاج الانسان منه الى (٥٠ ــ ٣٠٠) ميكروجرام يومياً .

ويوجد هذا المرض بشكل واسع في المناطق الجبلية والبلاد الواقعة بعيداً عن البحار ، وأهم مصدر له هو المأكولات البحرية ، فلذلك أصبح أمر اضافة اليود الى الملح في البلدان التى لا تأكل من البحر أمراً ضرورياً فهو بنسبة ٧٦ ميكروجراماً في كل جرام من الملح ، لذلك ننصح في الأكل أن تكون هناك مأكولات بحرية عند الاقلاع عن الملح أو اضافة كميات صغيرة على الطاولة أثناء تناول الطعام من الملح الذى يوجد به يود ، وخاصة بالنسبة للذين في طور النمو وعند البلوغ وأثناء فترة الحمل .

## ما الذى يجرى في البلدان المتقدمة ؟

اتجهت الأوساط الصحية الى توجيه الناس في أواخر السبعينات وأواخر الثمانينات من خلال جميع القنوات وأجهزة الاعلام والتجمعات للاقلال من الملح أو الابتعاد عنه كلية . فهناك

اصرار من الجهات العلمية المتعصبة بقناعتها بوضع علامة تبين نسب الملح وأنواعه وكمياته على كل علبة بشكل واضح حتى يعلم الناس مقدار الملح الذى يستهلكونه وبالذات المصابين أو المعرضين للاصابة بالضغط المرتفع . وتفيد التقارير الواردة من أمريكا :

١ ـ أن بيع المأكولات الذى كتب عليها « قليلة الملح » أو بدون ملح « بدأ يرتفع فى السنوات الأخيرة ، وبدأت المحلات الصحية تبيع منه بكثرة وأن بيع الملح فى السوق قد انخفض .

٢ ـ ظهرت مطاعم عديدة تعلن عن وجبات بغير الملح أو بقليل منه فأصبح يرتادها الكثير من الناس بناء على قناعتهم بخطورة الملح الزائد ، ودلالة ـ بالتالى ـ على الاهتمام بصحتهم .

٣ ـ إن الأمور بالنسبة للملح قد ذهبت الى مرحلة أخرى فى أمريكا بالذات ، حيث صدرت كتب الطبخ ونشرات الأكل بغير ملح ، ونظم البعض حلقات دراسية يدخلها الناس للتعلم بطريقة جماعية على أسلوب الاقلاع عن الملح . والأكثر من ذلك وفى النهاية تم تسويق آلة تسمى « حارس أو مراقب الملح » ، وهى عبارة عن كمبيوتر صغير للجيب ، تستطيع أن تغذيها بمعلومات عن رغبتك فى الأكل فتعطيك الجيد منه وتحسب لك فى جميع الأطعمة بنسبة الملح الموجود بها حتى آخر مللجرام ، واذا زاد الملح فى أكلك عن المعدل فإنها تعطيك صفارة انذار .

٤ ـ نشر توجيهات عن طريق الاقلاع عن الملح :

• الرجوع الى الأكل الطبيعي والنباتي منه بالذات .

• الطبخ بدون اضافة ملح الى الطعام والاكتفاء بما يوجد من أملاح فى المواد الغذائية الطازجة .

• الابتعاد كلياً عن جميع المعلبات حيث أنها المصدر الرئيسى للاملاح ، ناهيك عن بقية المواد الكيميائية المستعملة فى حفظها والتى لها دور فى مرض السرطان .

• إذا دعت الحاجة الى استعمال المعلبات فانظر الى المعلبات التى يكتب عليها كميات الملح وقدر حاجتك اليومية على أساسها وينصح أن لا تستعمل المعلبات التى يأتى اسم الملح الثالث على قائمة محتوياتها ، وفى نفس الوقت عليك بتصفيتها من الماء الذى بها ، واغسل الخضراوات بماء جديد لتقليل الملح .

• الرجوع الى بعض الكتب والمقالات الجيدة التى تنشر بانتظام عن الأكل من غير أملاح .

• عند الأكل لا تضع ملحاً اضافياً من على الطاولة .

• اذا كنت خارج البلاد فهناك مطاعم يمكن السؤال عنها تقدم وجبات بقليل من الملح أو بدون ملح .

• ابتعد كلية عن الأكل السريع والجاهز كالهمبرجر وغيره ، فهو يحتوى على مواد أخرى قد تكون مضرة غير الملح

• اذا كنت مضطراً لادمانك على تذوق الملح فالجأ الى بدائل الملح مثل كلوريد البوتاسيوم أو المخلوط منه البوتاسيوم مع الصوديوم .

• حاول التقليل من مشتقات الألبان أو الابتعاد عنها وخاصة الجبن والزبدة . بهذا أيضاً أنت تقلل الدهون فى طعامك .

• تأكد من أن الماء الذى تشربه لا يحتوى على كميات كبيرة من ملح الصوديوم وينصح أن لا تزيد عن ١٠٠ ـ ٢٠٠ جزء من المليون ( ينصح لمرضى القلب والكلى أن يكون أقل من ذلك بكثير ) .

• بامكانك فى الطائرات الآن أن تطلب طعاماً قليل الملح أو من غير ملح .

• اذا كنت من أصحاب الضغط المرتفع فلاحظ أن تنتبه أن يكون طعامك ودواؤك أيضاً تحت اشراف الطبيب .

• أخيراً هذه بعض الخطوات للاقلاع عن الملح :

(١) ابدأ بعدم رش الملح أثناء الأكل .

(٢) ابدأ بالتدريج بانقاص كمية الملح عند الطبخ أو الخبز ويفضل انقاص المقادير المطلوبة الى النصف . ثم استمر على هذا المنوال ثم النصف الى مرحلة لا شيء .

(٣) استعمل الاعشاب والبهارات والليمون الأسود وغيره لاضافة النكهة على الأكل حتى تغنيك عن التذوق المالح .

جدول رقم ( ٢ )

مستوى الصوديوم فى بعض أنواع من المياه المعبأة المتداولة فى الدوحة

| النوع وبلد الانتاج | مستوى الصوديوم ملجم/لتر |
|---|---|
| أبولونارس ـ ألمانيا | ٤٤٠ |
| كورالا ـ ايطاليا | ١ |
| دوحة ـ قطر | ١٦ |
| ايفيان ـ فرنسا | ٧ |
| جلفا ـ الامارات العربية المتحدة | ٢٢ |
| جامنيكا ـ يوغوسلافيا | ٨٧٥ |
| مسافى ـ الامارات العربية المتحدة | ١٣ |
| بيريير ـ فرنسا | ١٥ |
| راملوسا ـ السويد | ٢٠٣ |
| ريان ـ قطر | ٤٣ |
| صحة ـ لبنان | ٣ |

## الملح والأطفال

هناك تركيز فى السنوات الأخيرة على ارتفاع الضغط عند الأطفال لدرجة أن معهد القلب والرئة والدم الوطني فى أمريكا أوصى سنة ١٩٧٧ أن جميع الأطفال فوق سن الثلاث سنوات يجب أن يقاس ضغطهم سنوياً على أساس احتمال الاكتشاف المبكر لحالات ارتفاع الضغط الثانوى ، وأولئك الذين من المحتمل أن يصابوا بارتفاع الضغط الأساسي فى سن النضوج . إن هذا الاهتمام تؤيده غالبية الدراسات ولكن بطرق أخرى وبالذات فى الأطفال المصابين بالسمنة أو فى حالات تاريخ للاصابة العائلية بارتفاع الضغط . إن هذا الاهتمام سببه أن هذا الأكل المصنع بالمعامل للرضع والأطفال يحتوى على كميات من الملح أكثر من المسموح به لنفس السن ، لذلك تقرر منع استعمال الملح فى كثير من هذه الأغذية بالذات وخاصة أغذية الأطفال الرضع .

ولقد أوصت لجنة التغذية التابعة للأكاديمية الأمريكية للأطفال بالتالى :

(١) ضرورة تخفيض وعدم زيادة كميات الملح الحالية فى غذاء الأطفال .

(٢) ضرورة كتابة المعلومات كاملة عن الملح على غذاء الأطفال .

(٣) الذين هم من عائلات مصابة بارتفاع الضغط يمكنهم الاستفادة من غذاء قليل الملح بالرغم من أن الاثباتات حتى الآن ليست مؤكدة .

إن المشكلة هي عندما ينتقل الأطفال للأكل من نفس طعام العائلة حيث يتناولون كمية من الملح مجبرين ، وهذا يشكل خطراً كبيراً عليهم لأن الأطعمة المنزلية تجهز لكي ترضي الذوق المالح لدى الكبار ورب البيت فى الدرجة الأولى .

## ما هي علاقة ملح الصوديوم بضغط الدم ؟

صار من المعروف منذ بداية هذا القرن بعد الدراسة التى نشرها L. Ambard & E. Benjard أن تقييد استعمال الملح سيؤدى الى تخفيض ضغط الدم ، وتبع ذلك التطبيق العملى والاكلينيكي لهذا الاكتشاف حتى أصبح واسع الانتشار بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان أوائل الذين نشروا دراسة جيدة عن استعمال الأرز كغذاء وليس به ملح هو Kenpenw واشتهرت بعد ذلك وجبة الأرز والفواكه كعلاج للضغط ، وظل

الحال على هذه الفكرة والغالبية العلمية بقناعتها أن هناك علاقة واضحة بين الملح وارتفاع الضغط . ووضعت على أساس هذا المفهوم نصائح وصيغ للمرضى للسير عليها سواء فى المستشفيات أو فى العيادات الخاصة بالضغط أو حتى للمتعالجين فى البيوت ، ولكن الدراسات التى صدرت بعد منتصف السبعينات خرجت عن هذا الأساس وقللت من أهمية هذه العلاقة ، بالرغم من عدم نكران وجودها ، وكانت أول دراسة أثارت هذه الضجة من استراليا على أثر مقال نشرته فى المجلة الطبية الاسترالية عام ١٩٧٥ الدكتورة بريسلا كنيد Priscilla Kinaid وتبعها آخرون .

وظل موضوع الملح والضغط حتى وقتنا الحاضر موضوعاً ساخناً للنقاش بين مؤيد لدوره الكبير فى الضغط وبين مقلل لعلاقته بالضغط التى ان وجدت فهى ضئيلة جداً .




جميع المعلبات تحتوى على مواد حافظة يدخل ـ أساسا ـ فيها ملح الصوديوم

## ماذا يقول المؤيدون ؟

(١) الدراسات الوبائية : بالدراسات الوبائية المقارنة للشعوب المختلفة وجد أن الضغط المرتفع الأساسي يكثر فى البلدان التى تتناول الملح وبالذات فى المجتمعات الغربية والحديثة . والياباتيون مثل لذلك حيث يكثر استهلاكهم للطعام النيء المجفف والمملح والمخللات بأنواعها والخضراوات المجففة والمملحة واستعمال الصويا ، وحتى أوائل الثمانينات كان الشلل المفاجيء ونزيف المخ كمضاعفات للضغط العالى يتصدران قائمة الوفيات .

أما الشعوب البدائية والتي تستعمل الملح القليل كالأسكيمو ورجال القبائل فى أفريقيا وسكان حوض الأمازون ومرتفعات ماليزيا فانها لا تعانى من هذا المرض وفى بعض الأماكن لم يسمع عنه . ولكن هذه الأجناس عندما تنتقل الى المجتمعات المتحضرة وتأكل من أكلها يرتفع ضغطها .

(٢) الدراسات المختبرية : تبين فى كثير من الدراسات على أنواع معينة من الحيوانات والفئران بالذات أن اطعامها الملح يؤدى الى رفع ضغطها وأن التقليل منه يؤدى الى انخفاضه .

(٣) الدراسات الاكلينيكية : هناك الكثير من الدراسات الاكلينيكية التى بينت أن تقييد الملح بدرجة كبيرة ( ٦٠٠ ملجم فما تحت ) يقلل الضغط فى المرضى بالضغط الأساسي وان كان بمختلف الدرجات ويساعد على التخفيض اذا استعمل بدرجة معتدلة مع بقية أنواع العلاجات سواء كانت تغذوية أو علاجية بالأدوية أو العناصر التي تأتي فى قائمة أسباب ارتفاع الضغط الأساسي .

(٤) الدراسات الفسيولوجية : هذه الدراسات ، والتي قامت بها مجموعة من أساتذة هذا العلم وعلى رأسهم جايتون Guyton .. A C ومجموعته ، تربط ملح الصوديوم بالضغط من خلال عملية معقدة تعتمد ببساطة على « أن الزيادة فى الملح ستؤدى الى زيادة تجمع السوائل فى سائل خارج الخلية ، الأمر الذى سيكون عبئاً على القلب والأوعية الدموية » .

أخيراً يقول الدكتور فرايز فى مقاله الشهير : « بالرغم من أن ميكانيكية ارتفاع الضغط الأساسي لا تزال غير واضحة ، الا أن الظواهر وان لم تكن حاسمة فهي ظواهر جيدة للدلالة على أن تقييد الملح تحت (٢) جرام فى اليوم سيؤدى الى منع حدوث هذا النوع من الضغط واختفائه كمشكلة صحية رئيسية » .

## ماذا يقول المعارضون ؟

١) إن أسباب ارتفاع الضغط عديدة والملح ليس هو كل شيء كعنصر ، فلقد أصبح لبقية العناصر والأسباب أيضاً دور مثل نقص الكالسيوم والمغنسيوم والبوتاسيوم ومثل السمنة واستعمال الكحول والكافيين والتدخين وقلة الحركة والقلق وغيره .

٢) ان جميع الدراسات الوبائية ليست دراسات مستقبلية مراقبة ، والضغط فيها يخضع لاعتبارات اجتماعية ومعيشية واقتصادية وغذائية ونفسية وليس للملح فقط .

٣) ليس صحيحاً أن الحمية الشديدة للصوديوم ( ٦٠٠ ملجم فى اليوم ) تقلل من الضغط فى المرض بالضغط العالي الا أن هذه الكمية ليست مقبولة للمرضى لتكون علاجاً لهم طول الحياة ، اضافة الى ذلك لا أحد يعرف حتى الآن ما هو تأثير هذه الحمية ، أو الذى أقل منها إن أمكن ، على أعضاء الجسم وبالذات الكلية على المدى البعيد .

٤) ان هناك أنواعاً كثيرة من الأدوية لتخفيض الضغط ثبت فعاليتها ومعروف حتى أعراضها الجانبية وأدى استعمالها فى دراسات كبيرة فى استراليا وأمريكا وعلى مدى طويل الى التحكم فى الضغط والتقليل من مضاعفاته ، فلماذا يحرم المريض من ذلك الحق تحت شعار تقليل الملح ؟

٥) ان الدراسات الحيوانية والاستناد عليها كأمثلة للعلاج ليست كافية لاتخاذ قرار على أساسها يهم مصلحة البشر .

٦) الى جانب أن دراسات قد نشرت لم تبين

● الذين يستعملون الملح بكثرة مُعَرَّضون للشلل ونزيف المخ
● تحذير طبي من المعلبات والمجفّفات والأطعمة الجاهزة



بدأت الأوساط الصحية الأمريكية في السنوات الأخيرة بنصح المواطنين بالرجوع إلى الأكل الطبيعي والنباتي منه بالذات.

أي علاقة بين تقييد الملح وانخفاض الضغط في بعض المرضى، فإن الدراسات الأخرى التي بينت هذه العلاقة قد أظهرت انخفاض الضغط في البعض وعدم انخفاضه في البعض الآخر وفي نفس الدراسات، الأمر الذي يدعو الى التفكير بأن هناك من لديهم قابلية للتأثر بالملح وغيرهم لا يتأثر.

٧) لا يوجد شيء اسمه التقييد المعتدل للصوديوم يمكن أن نضعه لأحد لعلاج الضغط الأساسي، بل يمكن أن يوجد نوع من التنظيم، والبرنامج الغذائي المتشابك الذي تدخل فيه العناصر التي لها علاقة بالضغط ومن المعتقد أن تكون فيه فائدة لتخفيف الضغط.

٨) لا يوجد داعٍ لهذه الضجة ولا داعي للتعميم على الناس جميعاً بأن يلتزموا بقرار أكل الطعام دون ملح حيث أنه لا توجد أي دلالة على أن الملح يؤدي الى اصابة الأصحاء بالضغط الأساسي العالي، ولقد نشرت دراسات أُعطي فيها مجموعة من ذوي الضغط العادي (٢٠ ــ ٢٥ جراما) من الملح في اليوم فلم تؤد الى ارتفاع ضغطهم.

## إذن ما العمل؟

ان الاعتدال في كل شيء هو أساس السلامة والوقاية من هذه الظاهرة المرضية الخطيرة اذ أن هناك نسبة كبيرة في مختلف البلدان ومنها بلادنا يعانون من ارتفاع الضغط ومعرضون لمضاعفاته الخطيرة، ولاشك أن الصوديوم له علاقة بالضغط المرتفع بشكل أو بآخر، كذلك يعتقد الأطباء أن الاكثار من تناول الملح يسبب انهياراً للجسم وضعفا للقوى الجنسية ويجعل الجسم مستعداً للاصابة بالأمراض، وهو يزيد من حموضة المعدة، كما أنه مثير قوي للاعصاب والخلايا العصبية ومثير للأغشية الدقيقة الرفيعة.

لذلك ينصح بما يلي:

١) ان المرضى الذين يعانون من بعض الأمراض كهبوط القلب والكلى والذين يتوجب عليهم الاقلال والامتناع عن الملح حسب ارشاد الطبيب، عليهم الالتزام بذلك.

٢) بالنسبة للأطفال والرضع يفضل أن لا يتعرضوا لمذاق الملح حتى لا يصبح عادة لديهم؛ وعلى أفراد العائلة مراقبة الأغذية المقدمة لهم والتأكد من نسبة أملاحها، هذا الأمر هام جداً بالنسبة للأطفال الذين يوجد في عائلاتهم أفراد من ذوي الضغط المرتفع الأساسي.

٣) ان المرضى المصابين بالضغط الأساسي المعتدل (الضغط الانبساطي من ٩٥ ــ ١٠٥) عليهم التعاون مع الطبيب في الالتزام بدقة بالتقييد في الملح، فإن نتائجه جيدة في البداية وبالذات اذا كان مرافقاً لعلاجات أخرى وأهمها الأدوية والاسترخاء وتخسيس الوزن.

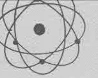
٤) في المرضى المصابين بالضغط الأساسي العالي وهم حتماً تحت اشراف الطبيب ويتعالجون بالأدوية فإن التقليل والاعتدال في الملح له دور في مساعدة تخفيف الضغط.

٥) لا توجد ضرورة لحرمان الناس العاديين من الملح ومذاقه، والاسراف في هذا الحرمان خطأ بالنسبة للأصحاء، ولكننا ننصح بأن يكون الاستعمال معتدلا، ونبدي قلقنا فقط عندما يستعمل الملح بكميات كبيرة كما هو متبع حالياً حيث هناك الملح الموجود في المواد الغذائية والملح المضاف عليها للاغراض المختلفة التي ذكرناها والملح المضاف لارضاء الذوق أثناء الطبخ والملح المضاف من الملاحة التي على الطاولة والملح الموجود في الماء. «هذا هو الاسراف الذي يخيفنا».

ونعود لنكرر النصح للناس الذين في تاريخهم العائلي من هو مصاب بارتفاع الضغط أن ينتبهوا الى تقليل الملح في طعامهم.

وختاماً نحذركم من المعلبات والمجففات والأطعمة الجاهزة السريعة.

عبد الله الباكر



العربة المزودة بآلة حاسبة ... والعربة التي تتبع المشتري



# أول مجمع استهلاكي إلكتروني

أقام اليابانيون في إحدى ضواحي طوكيو أول مجمع تجاري من نوعه ، فكل الأعمال تتم فيه اتوماتيكياً ابتداء من تفريغ البضائع إلى رصها مروراً بعمليات البيع نفسها .

فيتولى عملية تفريغ البضائع من الشاحنات فريق من الربوت يتميز كل واحد منهم بقدرة على القراءة بحيث يستطيع التعرف على المكتوب فوق كل صندوق ويقوم بتوزيعه طبقاً لمحتوياته على أدوار مبنى التخزين الستة ، حيث تتم عمليات التخزين اتوماتيكياً أيضاً .

ويستغرق تفريغ الشاحنة سبع دقائق ، ولا تحتاج إلا لربوت واحد في حين أن نفس الشاحنة تحتاج لأربعة عمال لتفريغها ، وتستغرق العملية في هذه الحالة ساعة كاملة .

ومن أغرب الأشياء في هذا المجمع أن الأرفف المعروضة عليها البضائع تتكلم الى العملاء ؛ فبمجرد أن يأخذ العميل شيئاً من عليها يقوم جهاز رصد يعمل بالأشعة تحت الحمراء ومثبت أعلى البضاعة بتشغيل تسجيل صوتي يبين له مزايا المنتج ومكوناته وطريقة استخدامه .

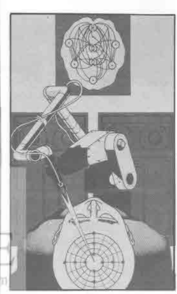
اما العربة التي تضع فيها ربة البيت مشترياتها فمزودة بآلة حاسبة ، كما تبين الصورة ، بحيث تستطيع في كل لحظة حساب إجمالي المبلغ الذي أنفقته . كما أن هناك نوعاً آخر من العربات تتبع المشتري أينما ذهب وهي تتخذ شكل ربوت مزود بسلة كبيرة لوضع البضائع . ويقدم « أوكي » ، وهذا اسمه ، نفسه الى العميل والعميلة في صوت لطيف ويعرض خدماته ويتبعه على بعد متر منه .

وهو مزود بأجهزة رصد تجعله يتفادى أي اصطدامات اثناء سيره ، واذا ما حدث ذلك فهو يقدم اعتذاره بنفس الصوت العذب والطريقة المهذبة .وفي قسم الجزارة يتولى ربوت آخر تقطيع اللحوم إلى شرائح ووزنها وتغليفها . فعندما يضرب المشتري على لوحة مفاتيح خاصة بقسم الجزارة ، نوع اللحم والوزن المطلوب وسمك الشرائح ، يقوم الجزار الآلي بتنفيذ الطلبية ، ولكن قبل أن يشرع في تقطيع اللحم يحسب ثمن الطلبية الذي يظهر على شاشة خاصة أمام العميل . فاذا كان الثمن لا يناسبه فما عليه سوى الضغط على زر خاص بالغاء الطلبية !

وبعد إغلاق المجمع ليلاً تشهد ممراته الخالية حركة لا تهدأ ، فتقوم عربات كهربائية بتموين مختلف الأجنحة بالبضائع لتعويض ما تم بيعه خلال اليوم .

وتتحرك هذه العربات اتوماتيكياً يقودها كابل كهربي مدفون تحت أرضية المجمع . وتضع العربات أمام كل جناح حاوية صغيرة تحتوي على البضائع الخاصة به . وبعد عناء الليل تخلد العربات أثناء النهار الى الراحة ، حيث تقوم بتجديد نشاطها ، وذلك بشحن بطارياتها ذاتياً .

## الروبوت الجرّاح



ساهم الروبوت لأول مرة في إجراء عملية جراحية ، فلقد استطاع تقديم يد المساعدة في جراحة دقيقة في المخ لاستئصال بعض الأورام .ويتخذ هذا الروبوت الجراح شكل ذراع آلي صغير مبرمج ومزود بجهاز رصد يدل الجراح إلى موضع الورم عند ادخاله في جمجمة المريض من خلال فتحة صغيرة ، بحيث تظهر احداثيات الورم بدقة تصل إلى واحد على ألف من الملليمتر على اطار يثبت حول رأس المريض . وبذلك يقوم الروبوت بجزء دقيق من الجراحة بدلاً من الطبيب .

ولقد أجرى الروبوت أول عملية له على رجل في الثانية والخمسين ونجحت الجراحة .

ولكن مبتكر هذا الجراح الآلي يؤكد أنه لا يحل أبداً محل الطبيب وإن كان يمثل تقدماً كبيراً في تحديد واستئصال الأورام بدقة ليس لها مثيل .

ومن المتوقع أن يلقى هذا الروبوت الجراح اقبالاً كبيراً بين الأوساط الطبية ، خاصة في مجال جراحة المخ ، وذلك عندما يبدأ طرحه في الأسواق قبل نهاية العام الحالي .

## الجراحة بالتجميد



سوف يبدأ قريباً استخدام أداة جراحية جديدة تقوم بتجميد الأورام عند درجات حرارة شديدة الانخفاض مما يؤدي إلى تدميرها .

وتتكون هذه الأداة الجراحية من منظار خاص يعمل عند درجات حرارة منخفضة مزود في نهايته بمجس ومبادل حراري دقيق الحجم ومنظم لضغط غازات التبريد ، وهو عبارة عن دائرتين معدنيتين صغيرتين .

ويبدأ عمل هذا المنظار بامرار غاز أول أكسيد النيتروجين تحت ضغط ٤٥ جوي خلال انبوب رفيع مرن إلى أن يصل إلى المجس ، وهو عبارة عن رأس باردة ، وعندئذ يقوم منظم ضغط الغازات بتنظيم اندفاع الغاز وتبريده إلى ـ ٨٠ درجة مئوية في أقل من عشر ثوان . ويتم التحكم في درجة الحرارة بواسطة المبادل الحراري .

وعندما تتجمد الأنسجة ، يقوم صمام كهربي بوقف سريان الغاز ، كما يوجه في الوقت نفسه غاز الهليوم نحو كتلة الجليد التي تكونت عند نقطة تلامس الرأس البارد بالأنسجة ليذيبها ولينزع الرأس . ونظراً لدقة حجم الرأس البارد بالأنسجة التي لا يتجاوز قطرها ٢ ملليمتر ومرونة الانبوب يمكن استخدام هذه الأداة في فحص الأوعية الدموية وتدمير ما قد يسد مجراها ، كما يمكنها تدمير الأورام التي قد توجد في الشعب الهوائية والامعاء الدقيقة والمرئ ... الخ

وتتميز هذه الطريقة بأنها لا تحتاج إلى تخدير كلي ولا تسبب أي ألم أو نزيف ، كما انها لا تحتاج إلى أي مصدر كهربي ، فكل ما يلزم لاستخدامها تيار من غاز ثاني أكسيد الكربون السائل عند درجة حرارة ـ ٧٩ درجة مئوية وأول أكسيد النتروجين عند ـ ٨٩ درجة مئوية أونيتروجين سائل عند ـ ١٩٦ درجة مئوية . وتستطيع هذه الغازات الباردة تجميد واحد سنتيمتر مربع من الأنسجة في عشر ثن . وكانت الجراحة بالتجميد قد استخدمت منذ عدة سنوات في استئصال البواسير وعلاج الدوالي الخ .. ولكن الجديد هو استخدام هذا التكنيك مع فكرة المنظار بحيث يمكن الوصول إلى كل الأجهزة الداخلية للجسم من شعب هوائية وأمعاء دقيقة والجهاز البولي والتناسلي فضلاً عن الأوعية الدموية .

## هاتف يسمع ويتكلم



الهاتف المتكلم

بدأت الأجهزة المتكلمة تنتشر وتدخل حياتنا اليومية ، ففي فرنسا تجري تجربة نوع جديد من الهواتف العامة .

والهاتف الجديد ليس مزوداً بقرص أو لوحة مفاتيح كما أنه لا يضم بوقاً وسماعة مثل الهاتف التقليدي . فهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك لأنه يفهم الأوامر الشفوية وينفذها ، كما يستطيع التحدث الينا والدخول في حوار معنا .

فعندما يدخل من يريد التحدث في الهاتف إلى هذه الكابينة يضع بدلاً من النقود بطاقة الدفع الالكترونية الخاصة به في فتحة معينة في الهاتف ، وعندئذ يبدأ الأخير في شرح طريقة استخدامه ، ويكفي لاجراء المكالمة نطق الرقم المطلوب بصوت واضح ليقوم بتكوينه من تلقاء نفسه ويظهر الرقم على شاشة صغيرة . وعند انتهاء المكالمة يقوم المتحدث بالضغط على أحد الأزرار لقفل الخط .



# شخصية هارون الرشيد في ألف ليلة وليلة

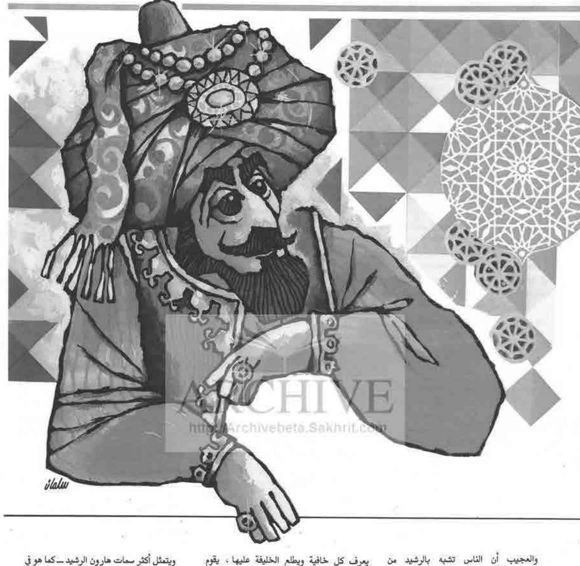


بقلم : عباس خضر

في حياة الناس شخصيات أضفوا عليها سمات معينة قد لا يكون لها وجود في التاريخ الحقيقي ، ينسبون إليها حكايات ونوادر تطابق تلك السمات ، مثل « جحا » و « أبي نواس » حتى صار كل منهما مشجباً يعلق عليه كل ما هو ساخر مضحك .

ومن ذلك « هارون الرشيد » الذي ألبسته « شهر زاد » راوية ألف ليلة ثياباً من الخيال تفوق الوصف ، ونسبت إليه كثيراً من ألوان الترف والطرب ، مما لم يحدث في واقع التاريخ .

وأكثر ذلك يدور حول الجواري وعلاقاته بهن ، مما جعله في ذلك أسطورة عالمية عرفها كل من قرأ حكايات ألف ليلة ، سواء في أصلها العربي وفي ترجماتها إلى لغات العالم الواسع ، كما عرفها كل من سمع ممن قرأ ، وكل الناس إما قارئ أو سامع .






والعجيب أن الناس تشبه بالرشيد من يسخرون منه لانغماسه في الملذات وانحرافه عن جادة الحياة المستقيمه.. مع أن (الرشيد) شخصية عظيمة سواء في واقع التاريخ أو في خيال شهر زاد !

إن شهر زاد رسمته بألوان زاهية ، لا شك أن لها جذوراً في التاريخ ، فهو خليفة عادل ينصف المظلوم ، ويعين الضعيف ، وينقله من حال إلى حال لم يكن يحلم بها . ويعمل لخدمة الاسلام والمسلمين ، ويجول ليلاً متنكراً في بغداد كي يتعرف أحوال الناس ، ويصحبه في هذه الجولات وزيره جعفر والسياف مسرور ، الأول مسئول عن أمن الناس وراحتهم ، ولابد في نظر الخليفة أن يعرف كل خافية ويطلع الخليفة عليها ، يقوم بعمل الشرطي ورجل المخابرات ، والثاني (مسرور) يحمي الخليفة ويحرسه مما عسى أن يتعرض له في جولاته التنكرية ، وقد يقتضي الحال أن يأمره بإطاحة رأس يستعصي اصلاح صاحبه .

## الصفة الغالبة

والصفة الغالبة في هارون الرشيد الميل إلى الترف الشديد ، والجواري الحسان ، والعطف على المحبين وصنع المعروف لهم ، واتاحة الفرصة للمحب أن يجتمع بحبيبه ، والتنازل للمغرم الولهان عن الجارية الأثيرة لديه : لدى الخليفة ! كما رسمته شهر زاد .

ويتمثل أكثر سمات هارون الرشيد ــ كما هو في خيال شهر زاد ــ في حكاية من حكاياتها نرى فيها ابن الوزير في البصرة الذي مات أبوه وخلف له ثروة كبيرة بددها في إسرافه في « ليالي الحظ » التي كان ينفق فيها بسخاء على أصدقاء النعمة الذين تنكروا له بعد أن عرفوا إفلاسه . وكانت له جارية جميلة يحبها وتحبه . ولم يبق من ماله غيرها ، فعرضت عليه أن يبيعها وينتفع بثمنها ، ولكن الوزير الذي كان ينافس أباه ويعاديه دس له عند سلطان البصرة ، ونرى بعض الحكايات تقول إن البصرة كان لها سلطان خاضع للخليفة في بغداد يوليه ويعزله . قال الوزير المعادي للوزير المتوفي وولده إن الجارية الجميلة كان قد اشتراها الوزير




المتوفي للسلطان ، ولكن ابنه غرر بها واعتدى عليها ، فاستبقاها له أبوه .

أصدر السلطان أمره باهدار دم ابن الوزير ، وبحثوا عنه ، ولكنه تمكن من الهرب هو وجاريته ، وظلا هائمين على وجهيهما حتى بلغا بغداد ، وسارا بها حتى وجدا مكاناً مكنوساً مرشوشاً أمام بستان مغلق ، وفي المكان مصاطب مستطيلة نظيفة ، فقال علي نور الدين ( اسم الشاب ) لجاريته :

ـ إن هذا مكان مليح .

فقالت الجارية :

ـ يا سيدي لنقعد ساعة على هذه المصاطب كي نستريح .

وكان الشتاء قد ولى عن بغداد ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ، ونعما بمرور النسيم فناما .

كان هذا البستان يسمى « بستان النزهة » وفيه قصر يسمى « قصر الفرجة » وهما لهارون الرشيد .

كان اذا ضاق صدر الخليفة أتى إلى البستان والقصر لينفرج من ضيقه وينشرح صدره . القصر له ثمانون شباكاً وفيه ثمانون قنديلاً ، في وسطه شمعدان كبير من الذهب ، اذا دخله الخليفة أمر الجواري أن يفتحن الشبابيك ويوقدن القناديل . ويجلس وأمامه اسحاق الموصلي وحوله الجواري ، فيسمع الغناء ويشاهد الرقص . وللبستان حارس شيخ كبير اسمه ابراهيم .

## غريبان رماهما القدر

خرج الشيخ ابراهيم لحاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين . فعاد وقطع جريدة خضراء ، وقصد إلى النائمين ليضربهما . ولكنه فكر وقال في نفسه :

ـ يا ابراهيم ، كيف تضربهما ولم تعرف حالهما ؟ قد يكونان غريبين رماهما القدر هنا ... نظر إلى وجهيهما وقال : إنهما جميلان لا ينبغي أن أضربهما .. جلس إلى جانبهما ، فاستيقظ الفتى واستوى جالساً . قال له ابراهيم :

ـ يا ولدي ، من أين أنتما ؟

ـ نحن يا سيدي غريبان .

قال ابراهيم في نفسه : ان النبي أمر باكرام الغريب ، ثم قال :

ـ يا ولدي ، أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك ؟

ـ لمن هذا البستان يا سيدي ؟

أراد الشيخ ابراهيم أن يطمئنهما فيدخلا البستان دون أن يشعرا برهبة فقال :

ـ هذا البستان ورثته عن أهلي .

قام الثلاثة ودخلوا البستان ، فوجدوا الثمار على الأشجار ، والأطيار تغرد على الأغصان ، رأوا البرقوق لونه كلون الحسان ، والقراصية تذهل عقل الانسان ، والمشمش كمشمش خراسان ، والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان ، والورد تحكي حمرته خدود الحسان ، وكان الزمان في اعتدال ، والنسيم في اعتلال .

دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة ، وجلسوا في طرف من أطرافها ، وقدم لهما الشيخ الطعام ، فأكلا ، ثم قام علي نور الدين يتمشى في البستان بصحبة الشيخ ابراهيم ، وقال هذا :

ـ يا ولدي ، هذه الحجرة فيها كل ما هو معد لأمير المؤمنين ..

ـ أمير المؤمنين ؟!

ـ نعم يا ولدي ، كل هذا لأمير المؤمنين هارون الرشيد .

ـ ألم تقل لنا انك ورثت هذا البستان عن أهلك ؟

ـ أردت بذلك أن تطمئنا ولا تأخذكما رهبة .

ونادى علي نور الدين جاريته ، وجعل يحدثها عما يرى مما يبهر الأنظار ويذهل العقول . وأقبل الليل بظلامه ، فقال علي نور الدين :

ـ يا شيخ ابراهيم ، بأذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف ؟

ـ قم ولا توقد غير شمعة واحدة .

فقام وأوقد شمعة ثم أخرى ، حتى أوقد ثمانين شمعة .

ثم قالت أنيس الجليس :

ـ وأنا ؟ ألا أوقد قنديلا من هذه القناديل ؟

ـ أوقدي قنديلا واحداً .

فقامت وابتدأت من أول القناديل إلى أن أوقدت ثمانين قنديلاً .

## رقص المكان

سطعت الأضواء ورقص المكان .. قدر الله السميع العليم أن الخليفة في ذلك الوقت كان جالساً في غرفة يطل شباكها على نهر دجلة ، فنظر ناحية البستان والقصر فرأى ضوء القناديل والشموع ساطعاً ينعكس على صفحة مياه النهر .. فقال :

ـ علي بجعفر البرمكي ..

فما مرت لحظة إلا وجعفر واقف بين يدي الخليفة :

ـ ماذا جرى في قصر الفرجة يا جعفر ؟

ـ لا شئ يا أمير المؤمنين .

ـ تقدم عندي وانظر من الشباك .

فنظر جعفر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار ونور .. فأراد أن يهون الأمر ويلتمس عذراً للشيخ ابراهيم ، وتذكر شيئاً فقال :

ـ يا أمير المؤمنين ، في الأسبوع الماضي قال لي الشيخ ابراهيم : اني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين ، أريد أن تأخذ لي اذناً من الخليفة بأن أقيم في البستان حفلاً لختان أولادي ، فقلت له : افعل ما شئت وإن شاء الله أعلم الخليفة بذلك .

ـ يا جعفر ، كان لك عندي ذنب واحد فصار الآن ذنبين ، لأنك أولا ما أعلمتني ، وثانياً ما بلغت ابراهيم مقصوده ، لأنه ما قال لك ذلك إلا تعريضاً بطلب شئ من المال يستعين به ، فلم تعطه ولم تعلمني حتى أعطيه .

ـ نسيت يا أمير المؤمنين .

ـ هيا بنا نذهب اليه ، فانه رجـل صالح يعطف على الفقراء ويواسي المساكين

ـ يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى ، ولابد أنهم في هذه الساعة على وشك الانفضاض .

ـ لابد من الذهاب اليهم .

خرج الخليفة وبصحبته جعفر ومسرور متنكرين في زي تجار ، وساروا إلى أن وصلوا إلى باب البستان ، ووجدوا الباب مفتوحاً ، فدخلوا ومشوا إلى آخر البستان . وقال الخليفة :

ـ لابد أن أتسلل اليهم لأنظر ماذا يفعلون قبل أن يرونا .

## فوق الشجرة

وصعد الخليفة على شجرة جوز عالية فروعها قريبة من الشبابيك ، وقعد على الفرع الذي يقابل شباكاً تأتي منه أصوات غناء . ونظر فرأى جارية تغني وأمامها شاب ، والاثنان في منتهى الحسن والجمال . كانت أنيس الجليس تغني والشيخ ابراهيم يدق على طبلة وهو في غاية الطرب . عجب الخليفة من هذا المنظر ، ثم نزل وقال :

ـ يا جعفر ، اصعد وانظر الرجل الصالح وماذا يفعل ..

صعد جعفر ورأى ما رأى الخليفة ، ثم نزل ووقف صامتاً من شدة الخجل .

انصت الخليفة إلى غناء الجارية ، فأطربه صوتها ، فلان صوته وهو يخاطب جعفر :

ـ والله يا جعفر ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا .. أريد أن أدخل اليهم وأجلس معهم وأسمع الصبية تغني أمامي .

ـ يا أمير المؤمنين إذا دخلت عليهم تغير حالهم وصاروا في خوف وهيبة منك .

ـ فكر لي يا جعفر في حيلة أحتال بها على معرفة الحقيقة من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم .

قال الخليفة ذلك ثم قصد إلى ناحية دجلة وجعفر يتبعه ، واذا صياد واقف يصطاد وقد رمى شبكته في الماء وهو ينشد :

يا راكب البحر في الأهوال والهلكة
اقصر عناك فليس الرزق بالحركـة

أما ترى البحر والصياد منتصب
في ليله ونجوم الليل محتبكـــة
ولما فرغ من انشاده التفت فرأى الخليفة أمامه

فارتعدت فرائصه ، ولكن الخليفة هون عليه اذ ناداه باسمه وكان يعرفه :

ــ يا كريم ، اصطد على بختي .

اطمأن الصياد وللم شبكته ثم طرحها في الماء ، ثم جذبها ، فاذا فيها سمك كثير . فرح الصياد ولكن الخليفة كان مشغولاً عنه يفكر في حيلة يدخل بها على الشاب والجارية والشيخ ابراهيم ، ثم فاجأ الصياد بقوله :

ــ يا كريم اخلع ثيابك ..

فلم يسع الصياد إلا أن ينفذ أمر الخليفة وخلع جلبابه الخشن المملوء بالقمل والبراغيث .. وخلع عمامته التي مكثت فوق رأسه ثلاث سنين بدون حل ولا ربط ... وخلع الخليفة جبته وثوبين من الحرير ، ثم قال للصياد : خذ هذه والبسها . ولبس جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما . وقال للصياد : اذهب أنت إلى حالك ودعني ولا تسألني عن شيء .

شعر الخليفة بالقمل يجول على جسمه ، فأخذ يتحسس بعض جسمه ويقبض بيده ويرمي .. ثم قال للصياد :

ــ ويلك .. ما هذا القمل الكثير ؟

ــ يا سيدي ، انه في هذه الساعة يؤلمك ، فاذا مضى أسبوع فانك تتعود عليه ولا تحس به .

فضحك الخليفة وقال له :

ويلك كيف أبقي هذا الجلباب على جسدي أسبوعاً ؟

ــ أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أقول كلاماً أشتهي أن أقوله ..

ــ قل ما عندك .

ــ خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أردت أن تتعلم الصيد حتى تكون في يدك صنعة تنفعك .. وما دام الأمر كذلك فهذا الجلباب يناسبك .

قال الصياد ذلك وولى في سبيله . أخذ الخليفة سلة السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشائش . وقصد الى جعفر ووقف بين يديه ، فقال له جعفر :

ــ يا كريم ــ ما جاء بك إلى هنا ؟ انج بنفسك قبل أن يراك الخليفة ..

ضحك الخليفة وأزاح اللثام عن وجهه وهو يقول :

ــ هذه نتيجة طيبة ، اذا كنت لم تعرفني فلن يعرفني الشيخ ابراهيم . كن مكانك حتى أرجع اليك .

تقدم الخليفة الى باب القصر ودقه ، فقال ابراهيم من الداخل :

ــ من بالباب ؟

ــ أنا كريم الصياد . سمعت أن عندك ضيوفاً فجئت اليك بشيء من السمك .

دخل الخليفة وابتدأ بالسلام . فقال له ابراهيم :

ــ أهلا باللص المغامر ، تعال أرنا السمك الذي معك .

وأقبل علي نور الدين والجارية لما سمعا ذكر السمك ، وكانا يحبانه ، قالت الجارية :

ــ هذا السمك مليح . ليته كان مقلياً .

قال ابراهيم للخليفة :

ــ اذهب إلى المطبخ واقل السمك وهاته بسرعة .

ــ سمعاً وطاعة .

قال الخليفة ذلك وجرى إلى جعفر وقال :

ــ يا جعفر انهم طلبوا السمك مقلياً

ــ يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليه .

ــ لا ، والله لا يقليه إلا أنا بيدي ..

## قمة الطرب

ذهب إلى المطبخ فوجد فيه كل ما يحتاجه قلي السمك . فلما تم قليه أخذه إليهم ووضعه بين أيديهم . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم قال الخليفة لعلي نور الدين :

ــ ليتك تعطف علي يا سيدي وتأمر الجارية أن تغني .

قال ابراهيم كما اعتاد أن يخاطب الصياد :

ــ يا أحقر الصيادين .. مالك والغناء ؟ ومن أنت حتى تطلب الغناء ؟ أنت طفيلي ، والمثل يقول « طفيلي ويقترح ! » .

قالت الجارية لابراهيم :

ــ لا يا سيدي انه يستحق كل خير ، لقد أطعمنا السمك اللذيذ .

وقال الشاب :

ــ غني يا أنيس الجليس من أجل هذا الصياد .

تناولت العود وغمزته بعد أن عركت أذنه وغنت فأطربت ، وجعل الخليفة يهتز طرباً وهو واقف ويقول : طيبك الله .. طيبك الله ..

وقال له علي نور الدين :

ــ اجلس ، خذ راحتك ..

بعد الفراغ من الغناء التفت الخليفة إلى الشاب وقال له :

ــ يا سيدي هل انت هارب من جناية ؟ أو لأحد عليك دين ؟

ــ يا صياد ، انه جرى لي ولهذه الجارية أمر عجيب .

ــ أما تحدثني بحديثك عسى أن يكون لك فيه فرج .

فأخبره علي نور الدين بما جرى له من الأول إلى الآخر .

## هل يكاتب الصياد الملوك ؟

قال الخليفة :

ــ أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى محمد بن سليمان الزيني ( سلطان البصرة )

ــ وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ..؟

ــ صدقت ، ولكني أخبرك بالسبب ، لقد قرأت أنا وهو في مكتب واحد عند فقيه ، وكنت أنا العريف ، ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً .

ــ اكتب حتى أنظر .

كتب الخليفة بعد البسملة :

« من هارون الرشيد إلى محمد بن سليمان الزيني . الواصل اليك بكتابي هذا علي نور الدين بن خاقان الوزير . قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً ، فانزع نفسك وأجلسه مكانك . »

ما قرأ الشاب هذه الرسالة حتى هب واقفاً بين يدي الخليفة :

ــ معذرة يا أمير المؤمنين ..

وما رأى ذلك الشيخ ابراهيم حتى وقع مغشياً عليه .. ولما أفاق جعل يتضرع إلى الخليفة حتى عفا عنه .

عباس خضر

**... وكان الرشيد يعدل بين الناس ويسعى في حل مشاكلهم ويتعاطف مع المحبين ويلبس ملابس الصيادين والتجار ويتجول في بغداد بعد حلول الظلام لكي يعرف حقائق الناس والحياة بعيداً عن رهبة الحكم والسلطة .**





# على خليج العقبة

يمثل المشهد المقابل واحة عربية ظليلة على خليج العقبة ، أو خليج أيلة ، لاخلاف ..

وكلمة « العقبة » هي التسمية المتأخرة ، والحديثة نسبياً ، لموقع « أيلة » العربي الغائر في القدم ، ولكن « أيلة » هذه كانت ترد في بعض تصانيف البلدانية العربية بتعبير « عقبة أيلة » ، فيبدو أن تاريخ الاستعمال الطويل قد غلب المضاف ، على المضاف إليه ، فأخذت تعرف « بالعقبة » وحسب ..

وسواء أخذنا بهذه التسمية أو تلك ، فإن « أيلة » بلدة عربية كنعانية خالصة ، ورد ذكرها في توراة اليهود على أنها كانت قائمة على بحر القلزم ــ أي خليج العقبة ــ بزمن سابق لضياعهم في تيه سيناء ، وقبل أن يتحقق للخروج اليهودى من مصر أي اتصال بتراب فلسطين .. ( سفر التثنية ــ ٢ : ٨ ) .. وعلى هذا فإن لفظة « إيلات » التي أطلقها اليهود على مدينتهم المستحدثة في متاخمة « أيلة » . ليست إلا من قبيل التهويد التقليدى لأسماء البلدانية الفلسطينية ذات الأصل العربى الكنعاني ..

ثمة بين الأردن وفلسطين تلك العلاقة التوأمية الفريدة التى لا أظن أن لها نظيراً على متسع رقعة الوطن العربى الكبير .. فعلى امتداد تاريخنا الجغراق العربى الإسلامى كان « جند فلسطين » أول ما يستقبلك من بلاد الشام على تخوم الحجاز ، مشتملا على الجنوب الحالي لكل من الأردن وفلسطين معاً ، بما في ذلك خليج العقبة ، وجبال الشراة ، والبلقاء ، جنباً إلى جنب مع القدس ، وجبال الخليل ، وسهل غزة ، وصحراء النقب .. ثم يليه شمالاً « جند الأردن » مشتملاً بالمقابل على السلط ، وعجلون ، جنباً إلى جنب مع بيسان ، وطبرية ، وصفد ، حتى إن واضع « تقويم البلدان » صاحب حماة ( من القرن الثامن الهجرى ) ، ليخير القارىء بين أن يضع « بيت المقدس » في « إقليم فلسطين » أو في « إقليم الأردن » على حد سواء .. ( صفحة ٢٤٠ ) .. بمعنى أن فلسطين في حقيقة الأمر هى الأردن ، والأردن هو فلسطين ..

ثم جاءت خريطة الانتداب البريطانى فشطرت خليج العقبة إلى نصفين .. شرقيهما أردني تقع فيه مدينة العقبة ، أو « أيلة » التاريخية ذاتها ، وغربيهما فلسطيني تقع فيه قرية صغيرة تجوز فيها تسمية « المرشش » ، أو « المرشرش » ، أو « أم رشرش » ، وهي القرية التى استكمل الغزاة اليهود احتلالها بعد عشرة أشهر من إقامة دولتهم ــ أى بتاريخ ١٠ آذار ١٩٤٩ ــ وأطلقوا عليها تسمية « إيلات » ، آخذين في توسعتها ، وتغذيتها بالمهاجرين اليهود ، لتصبح ميناءهم الثاني ــ بعد حيفا ــ وإنما على خليج العقبة ، ذراع البحر الأحمر ..

يلاحظ العلامة الفلسطيني الجليل ، الأستاذ مصطفى مراد الدباغ ، في موسوعته التاريخية / الجغرافية الحافلة « بلادنا فلسطين » أن تسمية « إيلات » هذه ذات أصل تاريخي « غير عربي » يرجع إلى عهد التوراة ، حيث ننقل عنه حرفياً :

« إيلات كلمة سريانية Ilata » ، تعنى شجرة البلوط ، وهكذا ورد « اسم العقبة في العهد القديم » ( التوراة ) ، وقد أعاد اليهود اسمها القديم « عند اغتصابهم لموقع المرشش » .. ( ج ١ ــ ق ١ ــ ص ١١٩ ــ الحاشية ) ..

ولكن .. بمقدار حق التلميذ في أن يستأنف الحقيقة العلمية إزاء أستاذه الكبير ، فإنني أعتقد أن مالاحظه شيخنا الدباغ غير دقيق :

فأولا : ليس لكلمة « إيلات » اليهودية المستحدثة ، أو حتى « إيلات » السريانية ، أي ذكر في طول التوراة وعرضها ، لا في نسخة « جمعية الكتاب المقدس » ، ولا في نسخة « المطبعة الكاثوليكية » ، ولا بالاستهداء بـ « فهرس مجمع الكنائس في الشرق الأدنى » ..

وثانياً : ترد كلمة « عقبة » في أحد عشر معرضاً في التوراة ، وإنما بثمانية مدلولات مختلفة ، لا علاقة لأي منها بموقع « العقبة » الذى نحن بصدده ..

وثالثا : إن المفردة التي ترد فعلا في التوراة هى « أيلة » ، ولكن بوصفها بلدة كاملة التأسيس مسبقاً على بحر القلزم ، قبل أن تكون لأي يهودي أية علاقة بأرض فلسطين ..

فالبلدة إذن عربية ، كنعانية التأسيس ، وصحيحها « أيلة » ، وليس لها أى تاريخ يهودى باسم « إيلات » ، وإن يكن قد توضع فيها بعض اليهود في أزمنة لاحقة ، على نحو ما توضعوا أيضاً في سائر بلدان « أرض كنعان » ..

زد على ذلك أخيراً ــ إن تكن بعد حاجة للبرهنة على أصالة « أيلة » العربية الخالصة ــ أن ياقوت الحموي يوردها في معجمه على أساس أنها ، أيضاً ، إسم جبل بالحجاز ما بين مكة والمدينة ، وفي هذا الجبل يقول كثير عزة :

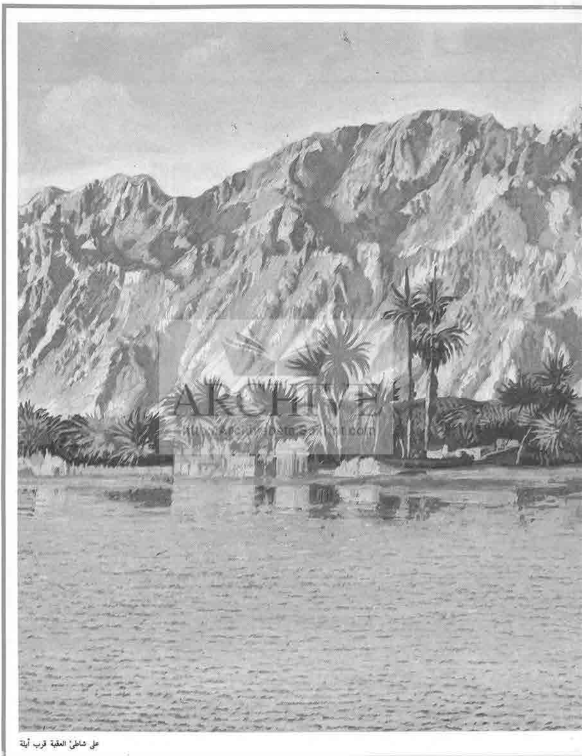
رأيت وأصحابى « بأيلة » ، موهنا ... وقد غار نجم الفرقد المتصوب
لعزة ناراً مـا تبوخ ، كأنها ... إذا مارمقناها من البعد ، كوكب

ويقول أيضاً :

تهبطن من أركان ضاس ، و« أيلة » ... إليها ، ولو أغـرى بهن المكلب

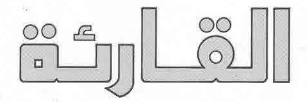
وجلي أن الشاعر ، في الشاهدين كليهما ، إنما يشير إلى جبل حجازى يحمل اسمه العربى « أيلة » منذ زمن سحيق لا تعيه ذاكرة الإنسان .. فما أغنانا ، والحالة هذه ، عن تفريغ « أيلة » الكنعانية عن أي أصل سرياني ، أو غير عربي ؟! ..

يوسف الخطيب



على شاطئ العقبة قرب أيلة

بقلم: جمال قطب



# القارئة

في هذا الباب من روائع الإبداعات العالمية ، تناولنا العشرات من سير الفنانين العظام ونزعاتهم وطابع عصرهم الذى يحيونه ويسبغون عليه ملامح إبداعهم الجميل ؛ فمن خلال اللوحة أو الفنان ، تعودنا أن نلقى الضوء على مدارس الفن ومراحل ازدهاره وتطوره ، أو هبوط مستواه وتدهوره ؛ ويذكر قراؤنا أننا استعرضنا سوياً أكثر من مرة فنون عصر النهضة الإيطالى الذى أطلق عليه العصر الذهبى فى القرن السادس عشر ، وكيف انحدر إلى الاهتمام بالرونق والزخرف فى القرن السابع عشر فيما يعرف بفن النهجية والباروك الذى غزا المانيا وإيطاليا وانجلترا ودول الشمال الأوروبى .. ولكنه عرف فى فرنسا فى القرن الثامن عشر باسم الركوكو ..

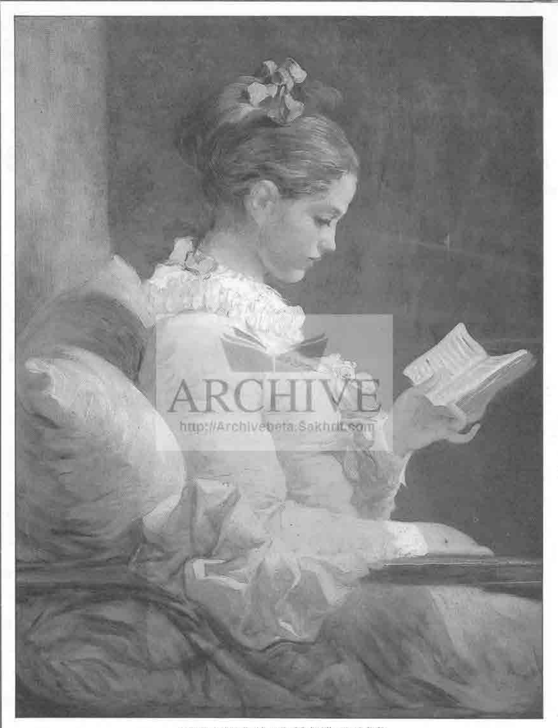
وإذا كانت فرنسا قد سيطرت على حركة الابداع العالمى بعد ذلك وحتى أوائل القرن العشرين .. إلا أن عصور الازدهار قبل القرن الثامن عشر كانت تتمركز فى ايطاليا وبلاد الشمال الأوروبى ( الفن الفلمنكي ) واسبانيا .. ثم انجلترا . أما ما كان موجوداً فى فرنسا فنجده إما مستورداً أو مسلوباً من البلاد التى اجتاحتها الجيوش الفرنسية أو اجتهادات فردية لعبقريات متناثرة لم تمثل نهضة فنية رائدة كما حدث فى العصر الذهبى فى ايطاليا أو الفن الفلمنكى فى هولندا وبلجيكا مثلا .. إلى أن جاء القرن الثامن عشر ، واستقطب البلاط الفرنسى خيرة الكفاءات الفنية فى البلاد ، وتسابق الفنانون لإرضاء هذه النزعة الأرستقراطية المترفة ، وانغمسوا فى بريق الحياة الناعمة ، وجاءت فنونهم بريقاً رائقاً وزخرفاً متأنقاً يواكب حياة البذاخة التى أصبحت فنونهم مظهراً من مظاهرها فى التاريخ الفرنسى .. وظهر فنانون على جانب كبير من الكفاءة والموهبة الرائعة .. تسابقوا فى رسم فاتنات الطبقة الراقية والمناظر الرومانسية الحالمة .. وتخصص فريق منهم فى رسم متطلبات البلاط الفرنسى وتسائه الشهيرات من أمثال ( مدام دى بمبادور ) و ( مارى انطوانيت ) وغيرهما من الأسماء التى يحفل بها التاريخ .. وقد لعبن الدور الأساسى فى مجرى الأحداث والتحولات الأساسية المصيرية .. ولذلك أطلق على فن هذه الفترة : فن البلاط . وتألقت أسماء العباقرة العظام من أمثال : فراجونار وبوشيه وواتو وغيرهم من الأساطين الكبار . ويعتبر فراجونار ( واسمه الكامل جان أونريه فروجونار ) أحد العمالقة العالميين الذين أثروا الفن والفكر الرومانسى بشكل جعل من فنه نهجاً شعبياً للحياة فى عصره .

وقد تتلمذ فراجونار على يد فنان الروكوكو الشهير فرانسوا بوشيه الذى اشتهرت إبداعاته لمدام دى بمبادور ، راعية الفنانين فى عهد لويس الخامس عشر .. وقد عمر فراجونار حتى بلغ الرابعة والسبعين من عمره ( ١٧٣٢ — ١٨٠٦ ) ، وبذلك شهد فترة التحولات السياسية الرهيبة من تاريخ فرنسا ، واكتوى بنار الثورة الفرنسية التى عصفت بفنه ودمرت مكانته وصادرت لوحاته وممتلكاته حتى مات معدماً عام ١٨٠٦ . وقد عرفنا من لقاءاتنا السابقة على صفحات ( الدوحة ) كيف أن الثورة قد نصبت الفنان الشهير ( دافيد ) قائداً للحركة الفنية ، فجعل من نفسه دكتاتوراً وحاكماً بأمره فى كل ما يتعلق بشئون الفن فى فرنسا .

وقضى قضاء مبرماً مروعاً على فن البلاط ، بعد أن قضت الثورة على البلاط نفسه .. وجعل الفنانين يحسون بأن المقصلة فى انتظار رقابهم مالم يهتفوا بسقوط الروكوكو وانتهاء فن الرفاهية إلى الأبد ! وهكذا فعلوا ! وتحولوا إلى نزعة جديدة تتفق ومجريات الأمور آنذاك !

أما لوحتنا التى يراها قراؤنا على الصفحة المقابلة ، فهى لإحدى فتيات المجتمع التى رسمها فراجونار عام ١٧٧٦ وأسماها : القارئة الحسناء . وقد تحول الفنان منذ عام ١٧٧٠ إلى رسم الصور الشخصية ولاسيما فتيات العائلات الاستقراطية فى باريس وفاتنات المسرح والمشاهير والنبلاء . ويرى المحللون ونقاد الفن فى هذه اللوحة كثيراً من خصائص الفن الفرنسى فى القرن الثامن عشر حيث تتلألأ الألوان البراقة الدافئة التى تبعث فينا البهجة والإحساس بنعومة وترف ذلك العصر ، بالرغم من الانهماك الجاد الذى يبدو على وجه هذه الحسناء المستغرقة فى قراءة كتابها الصغير .

ومن خلال التأنق البادى على ملابسها وشعرها ، ومن حركة أصابعها الدقيقة الرشيقة .. نستشعر جو الرفاهية وسمات الترف .. تلك السمات التى تميز بها فن ( جان أونوريه فراجونار ) .. سواء رأيناه فى مناظره الطبيعية الشاعرية المألوفة ، أو فى لوحاته الميثولوجية الأسطورية ، أو فى رسم ( موديلاته ) من ذوات الجمال التى يضفى عليها الفنان فخامة وتأنقاً يحكى قصة عصره السابح فى أطياف الشاعرية .




القارئة الحسناء ، لفنان الروكوكو الشهير فراجونار (١٧٣٢ ــ ١٨٠٦ م)

# قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

تحقيق: السيد حجازي ● عدسة: أمين بدوي

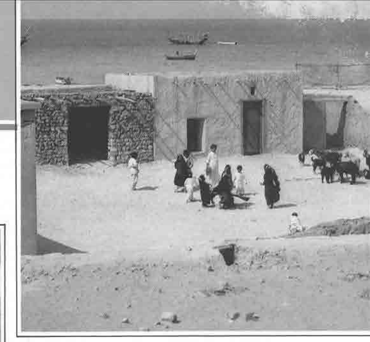




● على شاطئها الرملي النظيف وبيوتها ذات الطراز الإسلامي عاشت قبيلة الفضالة

● مارس أهلها مهنة الغوص على اللؤلؤ في الماضي، وهجروها بعد تدفق النفط وظهور اللؤلؤ الصناعي

● إعادة إحياء القرية وصناعاتها الشعبية وتشجيع السياحة الداخلية إلى آثارها القديمة



تمثل قرية المفير جزءاً حيا من التاريخ القطرى القديم ، وهذه عدة لقطات للقرية بعد اعادة ترميمها ، وعودة النشاط اليها ، وتصوير مسلسل تليفزيونى فيها يحكى فصلا عزيزا من التاريخ .







كانت الفكرة التى تبلورت أخيراً هى انتاج مسلسل تليفزيونى محلى يتحدث عن الحياة فى قطر أيام زمان .. أيام الغوص على اللؤلؤ ..

وبدأ البحث عن المكان الطبيعى الذى تصور فيه المشاهد والمناظرمن خلال الواقع ، دون الحاجة الى ديكورات من أى نوع ..

وبرز اسم «المفير» على الفور ..

إنها القرية القطرية القديمة التى تصلح لهذه المهمة ، وتعطى الانطباع الحقيقى عن الحياة فى سنوات الماضى ..

ولذلك قامت وزارة الاعـــلام فى دولة قطر بالعمل على ترميمها واســـتغلال مبانيها من أجل هذا الهدف ..

وهكذا تحولت «المفير» الى قرية سياحية من الدرجة الأولى ، تقدم الماضى للحاضر ، وتحكى تاريخ الأجداد بكل صدق وواقعية ..

فما هى قصة هذه القرية القطرية التاريخية ؟ .. وما دورها فى خريطة الماضى وأحداثه ؟ . وما دور أهلها فى صنع الحياة على هذه الأرض الطيبة ؟ .. ان القصة حافلة بالفصول الممتعة والمعلومات المفيدة ..

# قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

في البداية لابد من وقفة ضرورية ..
ان العديد من المدن والقرى الساحلية تنتشر على طول الشريط الساحلي لشبه جزيرة قطر ..
من هذه المدن والقرى الوكرة والدوحة وقرية سميسمة والخور والذخيرة والغارية والمفير ورويس وأبو ظلوف والزبارة والوسيل والحويلة والخوير والجميل وغيرها الكثير .
ولكل منها تاريخ طويل ، ولأهلها دور لا يستهان به في صنع هذا التاريخ وتأصيل الحياة القديمة بكل تقاليدها وقيمها ..

## على الساحل الشمالي

وبالنسبة لقرية المفير التي برز الاهتمام بها أخيراً ، فان الحديث عنها يفرض نفسه في هذا المجال ..
وهو يأتي على لسان السيد محمد جاسم الخليق مراقب شئون المتاحف والآثار بادارة السياحة والآثار بوزارة الاعلام ..
يقول مفصلا الحديث عن قرية المفير السياحية انها تقع على الساحل الشمالي لشبه جزيرة قطر في المنطقة المحصورة بين قرية الغارية ومدينة الرويس ، وهي بالتحديد تقع شرقي هذه المدينة بحوالي ثمانية كيلو مترات ..
ولقد كانت تسكنها قبيلة الفضالة ..
وهي تتكون من حوالي عشرة بيوت تمتاز بالبساطة المتناهية في التصميم ..
انها ذات طراز يماثل طراز البيت العربي الاسلامي . وهو في الغالب يتكون من حجرة أو حجرتين وأحياناً من ثلاث حجرات . وهناك أيضاً مجلس للضيوف وحوش كبير مربع أو مستطيل ..
وغالباً ما تكون الحجرات في أحد أركان الحوش . أما المجلس فعادة ما يكون بالقرب من المدخل الرئيسي للبيت ..
كما كان البيت يضم في وسطه « العريش » ..
هذا العريش عبارة عن سقف خشبي قائم على أربعة أعمدة خشبية . وكان الهدف منه أن يكون مكاناً للنوم ليلا في فصل الصيف ، وتستظل تحته الأغنام في وقت الظهيرة ..
وعادة ما تكون هناك « دكة » خارج البيت للجلوس عليها ، عند التقاء الناس بعضهم بالبعض بعد صلاة المغرب ، وأحياناً بعد صلاة العصر ..

## المسجد مازال قائماً

ويواصل محمد جاسم الخليق الحديث عن قرية المفير قائلا إنه يوجد بهذه القرية أيضاً مسجد صغير لأداء الصلوات فيه ، وهو يمتاز بمأذنة جميلة متواضعة لا تزال قائمة حتى الآن ..
وتمتاز المفير أيضاً بشاطئها الرملي النظيف ..
ولذلك يتوافد عليها الكثير من الناس هذه الأيام لقضاء الأجازات الأسبوعية والاستمتاع بجوها اللطيف ..
ولقد كانت بها زمان « عين ماء » غير صالحة للشرب منها ..
ولذلك كان أهلها قديماً يأتون بالماء من منطقة « عذبة » القريبة من قرية الغارية والتي تبعد عنها حوالي ثمانية كيلومترات الى الجنوب الغربي ..
وتمتاز هذه المنطقة « عذبة » بكثرة عيون الماء العذب فيها ، والتي كانت تزيد على الستين عيناً ..
ولقد كانت المفير عامرة بأهلها ، شأنها ، في ذلك شأن جميع المدن والقرى الساحلية ، وكانوا يمارسون مهنة الغوص على اللؤلؤ عندما كان هذا اللؤلؤ له شأن كبير في سوق التجارة ..
لكن بعد حين تغيرت الصورة ..
بدأ تدفق النفط واكتشف اللؤلؤ الصناعي .. وظهرت الشركات ، وتوسعت الطرق ، وانتشر العمران ..
وأخذت صناعة الغوص على اللؤلؤ في التراجع .. الى أن اختفت في الخمسينات والستينات
وبدأ أهالي المدن والقرى الساحلية يهجرون مساكنهم للالتحاق بالعمل في الشركات ، أو للانتقال الى العاصمة الدوحة المركز الذي أنشئت فيه المدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق الهامة ..
وهكذا كان الحال بالنسبة لأهالي قرية المفير أيضاً ..
فلقد أدى انتعاش الحياة الاقتصادية في قطر بعد ظهور البترول الى قيام الدولة باقامة مساكن شعبية للمواطنين ، وتجميعهم في مدن رئيسية ..
ومن هنا ترك أهالي المفير منازلهم ونزحوا الى مدينة الرويس ( مدينة الشمال ) ، وقام بعضهم بالنزوح الى مدينة الدوحة ..

## خطورة الهدم !

ويضيف مراقب شئون المتاحف والآثار قائلا إن الدولة قد قامت باستملاك معظم المدن والقرى الساحلية ومن بينها قرية المفير ..
وتقوم بلديات المناطق بعد الاستملاك بهدم القرى والمدن الساحلية ، انطلاقاً من مبدأ أن القديم لا يصلح أن يكون موجوداً مع الحياة العصرية الحديثة ..
والحقيقة أن هذا المنطق خاطيء جداً وخطير ..
لأن هذا الهدم يؤدي الى طمس ودفن جزء من تاريخ قطر المتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية القديمة ..
وهذا ما حدث بالفعل في كل من مدينة الدوحة والخور وسميسمة والرويس وأبو ظلوف والحويلة

أحد المحلات القديمة في القرية





كان أهل القرية يعيشون على الصيد والحياة الطويلة في البحر

وغيرها من المدن الساحلية ..

لكن مازالت هناك بعض أجزاء صغيرة وقليلة من القرى الساحلية مثل قرية المفير وقرى الغارية وأبو ظلوف ، وجزء بسيط من مدينة الوكرة القديمة ، وهي كلها تحتاج الى ترميم واعادة إحياء ، للمحافظة على الطابع المعماري المحلي التقليدي ..

وهذا في الحقيقة أمر يجب الاهتمام والعناية به قبل فوات الآوان ..

ولايزال محمد جاسم الخليفي يتكلم عن هذه القضية الهامة ..

ان الترميم وحده لا يكفي ..

ان الطريقة المثلى هي اعادة تسكين القرى الساحلية بعد ترميمها ، بالناس ، حتى تظل محافظاً عليها ، ومصانة ..

وتحتاج المدن الساحلية في الواقع الى طرق مرصوفة توصلها بالعاصمة ، ويستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر ..

كما أنه يمكن من خلال عملية ترميم القرى اعادة إحياء الصناعات الشعبية في بيئتها الطبيعة الأصلية ..

وما ترميم قرية المفير الا مثال بسيط يجب أن يتبعه الكثير ..

يجب أن تتبعه عملية تنظيف المنطقة ، وتوطين بعض من الناس أصحاب الصناعات البحرية مع عوائلهم ، واقامة استراحة ومطعم ومظلات شمسية ..

بهذا نكون قد حققنا العديد من الأهداف منها اعادة إحياء القرية والمحافظة عليها ، وإحياء الصناعات الشعبية ، والتشجيع على ازدهار السياحة الداخلية ..

## الخطة العامة

وأسأل مراقب شئون المتاحف والآثار بعد هذا الحديث التفصيلي عن بعض الأعمال الأخرى المماثلة التي تقوم بها الادارة ، ضمن خطتها العامة للمحافظة على المناطق الأثرية في دولة قطر ..

وتحمل اجابته الكثير من الاضافات ..

ان ما حدث بالنسبة لقرية المفير من اعادة ترميمها والاستفادة بها في بعض الأعمال الفنية ، يأتي ضمن خطة عامة لترميم القرى والمدن الأثرية ..

وأقرب مثل في هذه الخطة قرية الغارية في الشمال الشرقي والتي تبعد عن المفير بحوالي ثمانية كيلو مترات ..

اذ تتم المحافظة على آثارها القديمة ومبانيها التراثية بإعادة بنائها وترميمها ..

والهدف من ذلك أن تبقى حلقة الوصل قائمة بين الماضي والحاضر ، وأن تتحول هذه المنطقة وغيرها الى أماكن سياحية يرتادها المواطنون والزائرون ..

وبهذه المناسبة فإن قرية الغارية تمتاز بجمال شواطئها ورمالها الطبيعية ، ومياهها ذات العمق المناسب ..

كما تمتاز بتوفر التسهيلات الأساسية فيها من طرق مرصوفة تؤدي إليها ، بالاضافة الى موقعها وقيمتها التاريخية

لذا فإن وزارة الاعلام تنوي تحويل هذه القرية الى قرية نموذجية بعد ترميمها واعادة احيائها ، على غرار قرية أصيلة في تونس التي تمتاز باستمرار حضاريتها وبقائها على طرازها القديم ..

ولسوف تقوم الوزارة حال استملاك الدولة لمعظم بيوت القرية بتسييجها ، ومن ثم ترميم المباني الموجودة بها ، وذلك حفاظا على طابعها القديم ، وحتى تكون من الأماكن السياحية التي يقبل عليها الجميع ، بالاضافة الى اقامة أنشطة ثقافية فيها مستقبلا ..

وهذا العمل في الحقيقة يدخل ضمن أنشطة ادارة السياحة والآثار المتعددة في المحافظة على المواقع الأثرية والمباني التراثية ذات الطراز المعماري الجميل الذي يعتبر جزءاً من تاريخ العمارة المحلية في دولة قطر ..

## تنقيب وترميم

ويضيف محمد جاسم الخليفي أن من الجدير بالذكر أن ادارة السياحة والآثار قد فرغت مؤخراً من أعمال التنقيب والترميم في موقع مدينة الزبارة القديمة التي يعود تاريخ انشائها الى ١٧٧٦ ميلادية ، بالاضافة الى الانتهاء من أعمال التنقيب والترميم في قلعة مروب الاسلامية التي يعود تاريخها الى العصر العباسي ..

كما قامت الادارة مؤخراً بوضع لوحات إرشادية للمواقع الاثرية ، وذلك في كل من موقع مروب الاسلامي ، وموقع مدينة الزبارة القديمة ، وموقع تل الجاسية ، وحصن الغوير ، وقلعة قويحة ..

وستقوم الادارة في هذا العام بتثبيت لوحات إرشادية أخرى للمواقع الأثرية ، وذلك حفاظا على تلك المواقع من أعمال الردم وغيرها ..

كما انتهت الادارة مؤخرا بالاشتراك مع فريق فرنسي مؤلف من باحثة أثرية ورسام معماري ومصور متخصص من أعمال المسح والتسجيل والتصوير والرسم لمعظم المباني التاريخية والأثرية في داخل مدينة الدوحة وخارجها ..

وقامت أيضا بعمل أرشيف متكامل للرسومات والمخططات والصور والسليدات ، والبطاقات التسجيلية ..

وتقوم الادارة في الوقت نفسه بحصر المكتشفات وترميم جزء منها ، والاحتفاظ بالأجزاء الأخرى وعرض ما يصلح منها للعرض في متحف قطر الوطني والمتاحف الاقليمية ، حتى تعم الفائدة منها ، ويشاهدها كافة المواطنين والزائرين ..

وبعد فلقد كانت هذه هي قصة قرية المفير التاريخية السياحية ، بما احتوته من تفاصيل عنها ، وعن الجهود الأخرى التي تبذل في مضمار احياء القديم بكل ما يحمل من أصالة وقيم ..

ولسوف تبقى المفير وغيرها من آثار الأجداد تحكي قصة التاريخ والصراع من أجل الحياة ، وسط ظروف شديدة القسوة ، خاضها رجال عركوا البحر ، وتحملوا المشاق وخلفوا لنا الكثير من التضحيات والأعمال الحية والعميقة ..

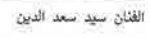
السيد حجازي

# سيد سعد الدين



# فنان يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته وكل ما فيها من كائنات حية





الفنان سيد سعد الدين

بقلم: صبحي الشاروني

الحضارة بناء ترتفع جدرانه مع تتابع الأجيال .. كل جيل يستوعب منجزات الجيل السابق ، ثم يضيف اليها . ينبهر الشباب بسيرة الشيوخ ، ويحاولون أن يتمثلوا بهم ، وعندما يشتد عودهم لا يقنعون بما أنجزه أستاذتهم فيجتهدون محاولين أن يتخطوهم أو يضيفوا ما يميزهم .

وهكذا تسير الحضارة قدما ، ويرتقي الفن الذي هو خلاصة الحضارات .

وفى فنون الرسم هناك نماذج لتتابع الأجيال ، جيل يسلم جيلا آخر ، وتلميذ يكمل مسيرة أستاذه ، فيبلغ مكانته ويحاول أن يتميز ويتفوق .

ومن بين أبناء الجيل الراهن فى الفنانين التشكيليين ، يبرز الفنان « سيد سعد الدين » الذى يعتبر وريثا لجيل أحمد صبرى والجيل الذى يليه ، لقد بدأ سيد سعد الدين تلميذا مخلصا لمدرسة أحمد صبرى ومن تلاه من الفنانين الكبار فى نفس المدرسة ، ثم انتقل سيد سعد الدين بعد ذلك بفنه خطوات بعد أن هضم وتمثل مميزات أساتذته فحقق طابعه الشديد الخصوصية والوضوح ، واحتل مكانة بارزة بين أفراد الجيل الرابع من أجيال التشكيليين العرب ، حتى بدأت البنوك تتسابق على شراء لوحاته لأن الخبراء يتنبأون بأن أسعارها ستتضاعف مع اتساع شهرة الفنان وزيادة الاقبال على فنه .

ولد « سيد سعد الدين » بمدينة « قنا » عام ١٩٤٤ ، وهو لا يذكر الآن إن كان قد تعلم الكلام أولا أم الرسم : فقد انغمس فى الرسم والتشكيل من طفولته المبكرة .. وقد انبهر وهو صبى برسوم مدرس الرسم « كرام » التى نفذها على جدران المدرسة بأحجام كبيرة توضيحية لتلاميذ المرحلة الالزامية وكانت تصور مختلف حيوانات البيئة .

وذات يوم كان العمال قد انتهوا لتوهم من إعادة طلاء مسكنه ولم يعيدوا الأثاث الى مكانه .. فانتهز الصبى الصغير فرصة وجوده فى المنزل بمفرده وراح يعتلى الكراسي والمناضد ليرسم على الجدران الحديثة الطلاء رسوماً للجمل والحمار والقط والكلب ومختلف الحيوانات التى شاهدها مرسومة على جدران المدرسة .

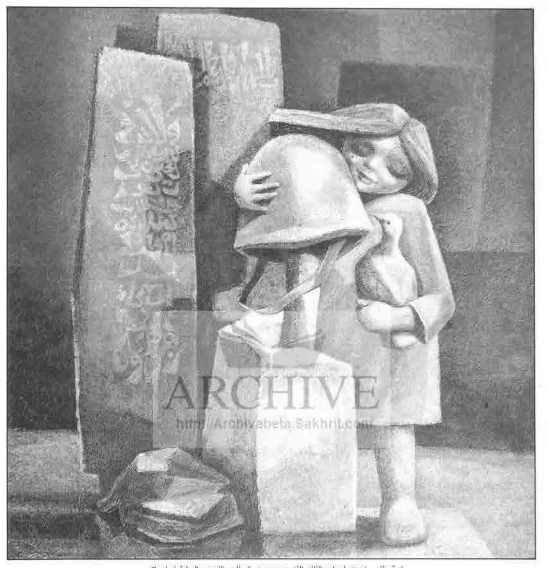
فلما عاد أفراد الأسرة فوجئوا بأن معظم حيطان المسكن تغطيها رسوم « سيد » ، فثارت ثائرتهم وحصل على « علقة ساخنة » جزاء عمله الفني الكبير .. وأعادوا طلاء الجدران مرة أخرى والحسرة تملأ قلب الفنان الصغير على ضياع فنه ومجهوده ..

لكن صديقاً للأسرة عارض هذا الموقف وأعلن تقديره لرسم الصبى ، وقدم له مكافأة على عمله العظيم ... وحفرت هذه الواقعة فى وجدان الفنان أثراً جعله يتشبث بالفن فيما بعد ولا يرضى سواه .

كان والده يعمل مشرفاً على الغابة الصناعية فى مدينة قنا فكان يحلو له وهو فتى أن يقضى وقت فراغه بين أشجار وأعشاب هذه الغابة يشكل من الطين تماثيل وأشكالا يتركها لتجف فى حرارة الشمس ، ثم يعرضها على ضيوف الأسرة ..

وخلال دراسته فى المرحلة الاعدادية كان يتفوق دائماً فى مادة الرسم على مستوى القطر المصرى ، وفاز بجائزة عن هذا التفوق لا يزال يعتز بها .

وفى المرحلة الثانوية كان يمارس نشاطه الفنى




لمسة وفاء .. إحدى لوحات الفنان الذى يجمع بين خصائص النحت والعمارة فى لوحاته

فى قصر الثقافة والساحة الشعبية ،وكلما شارك فى مسابقة على المستوى المحلى كان هو الفائز الأول .

وعندما أشرفت دراسته الثانوية على الانتهاء اشترك فى مسابقة أقامتها وزارة الشباب عام ١٩٦٣ للهواة ( أى لغير الدارسين والمتخصصين فى الرسم ) حول موضوع « البيئة » . وتقدم « سيد سعد الدين » بلوحة رفضها المحكمون متصورين أنها من رسم فنان متخصص لارتفاع مستواها .. لكن أستاذ التربية الفنية المشرف على الساحة الشعبية تدخل موضحاً أنها من عمل شاب صغير السن لم يبارح مدينة « قنا » فأصر المحكمون على الالتقاء به . فسافر « سيد » الى القاهرة . وعندما ناقشه المحكمون قرروا اعطاءه الجائزة الأولى بجدارة .

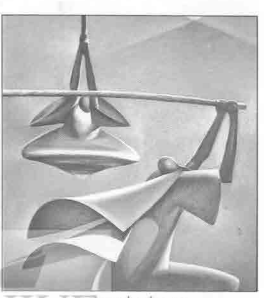
## الهروب من الهندسة

عندما حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٦٣ ، أبدى رغبته فى الالتحاق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ،ولكن هذه الرغبة قوبلت بسخرية الأسرة .. وطبقاً لمجموع درجاته التحق بالمعهد العالى الصناعى بالمنيا ( الذى أصبح الآن : كلية الهندسة بجامعة المنيا ) ورضخ الشاب الذى سافر للاقامة فى المنيا ، بينما ظلت أسرته فى قنا ، وفشلت محاولته فى تصحيح مسار دراسته أمام معارضة الأسرة واصرارها على استمراره فى دراسة الهندسة ، وقرب منتصف العام الدراسى هجر دراسته واتجه الى القاهرة ليقيم فى منزل أخته ، ويسعى بأى ثمن لدراسة الرسم دون غيره .

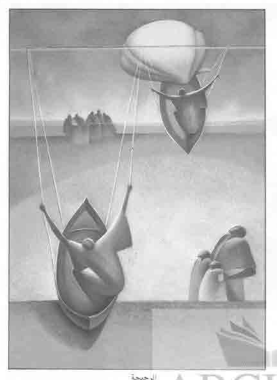
وبينما هو يتصفح احدى المجلات تعرف على الفنان « سيد عبد الرسول » فى باب « لوحة وفنان » وعرف أنه يعمل أستاذاً فى المعهد الايطالى ( ليونارد دافنشى ) فتوجه الى هذا المعهد ليلتحق بالقسم المسائى الخاص بهواة الفن ليحقق حلم دراسة

# فنان

## يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته



التحطيب : أشهر الألعاب الشعبية في الريف



الرجيحة



الرسم بغض النظر عن المؤهل أو الشهادة .. وطلب أن يلتحق بمرسم الفنان « سيد عبد الرسول » .

وعندما شاهد الأستاذ عمل التلميذ ، الذي كان صغير السن بشكل ملفت للنظر بالنسبة لبقية الدارسين في هذا القسم المسائي ، تعجب من تفوقه مع صغر سنه . وعرف أنه هارب من دراسة الهندسة حريص على دراسة الرسم .. فاصطحبه الى المدير الايطالي للمعهد مقترحاً قبوله طالباً بالقسم النظامي الصباحي ، مع مراعاة ظروفه كمتمرد على رغبة أسرته في سبيل الفن . فقرر المدير قبوله بمصروفات مخفضة . وفرح الفنان الصغير وبدأ يعمل على تدبير الجنيهات السبعة المطلوبة كمصروفات دراسية .

ورشحه أحد الأصدقاء ليعمل رساماً في جريدة « الحقائق » التي كان يصدرها « أنور زعلوك » .. والتقى « سيد سعد الدين » بصاحب الجريدة الذي استمع الى قصته باهتمام ، وافهمه أن الجريدة تعاني من ضائقة مالية ، لكنه وعده بنشر قصته ومناشدة المسئولين معاونته في تحقيق هدفه ، مع العمل على تدبير قيمة المصروفات الدراسية المطلوبة في أقرب فرصة . وقبل الفنان الصغير هذا العرض ، وبدأ المحررون يسلمونه مقالاتهم ليرسم ما يناسبها عند النشر .

ولما نشرت قصته اهتم بها استاذه « سيد عبد الرسول » وكذلك محافظ قنا ، بالاضافة الى أخيه الذي كان « سيد » قد أرسل اليه يطلب معاونته في تدبير المصروفات .

أما الفنان « سيد عبد الرسول » فقد سلم نسخة من الجريدة للمدير الايطالي للمعهد وترجم له فحواها .. فتقرر اعطاؤه المجانية الكاملة طالما حقق التفوق الدراسي ، وكانت هذه هي أول مرة يعفى فيها طالب مصري من المصروفات ويتقرر تعليمه على نفقة الحكومة الايطالية .

أما محافظ قنا فقد أرسل يطلب لقاء هذا الفنان الشاب ، وحضر أخوه الى القاهرة متعجباً من الضجيج الذي اثاره « سيد » .

وعندما توجه الى معهده حاملاً المصروفات المطلوبة علم بخبر اعفائه منها .

وعندما التقى بمحافظ مدينة قنا خرج من اللقاء وقد حصل على راتب شهري صغير يعاونه على الاستمرار في الدراسة ومواجهة نفقات الاقامة في القاهرة ... وراح الطالب « القناوي » يجتهد في دراسته ويحرص على التفوق والتميز .

### بشائر التفوق

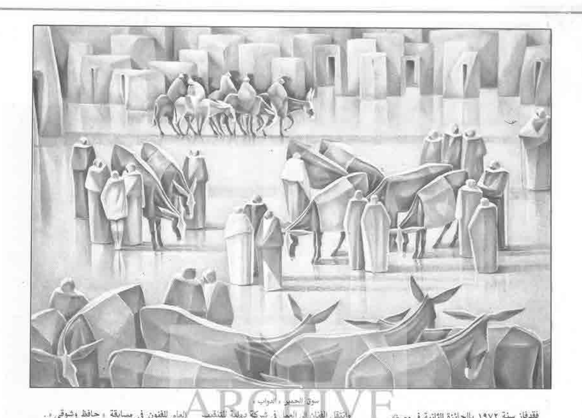
خلال دراسته بالمعهد الايطالي تعرف عن قرب على ثلاثة أساتذة : سيد عبد الرسول الذي حصل على جائزة الدولة لعام ١٩٥٨ وتميز بلوحاته الشعبية الطابع ذات الايقاع الزخرفي في الملابس والأدوات .. ثم الأستاذ الايطالي « تريفي زونو » المتعصب للأسلوب الكلاسيكي في الرسم ، فكان يلزم طلابه بالتدقيق في العمل والحرص على مطابقة الواقع .. أما الثالث فهو الفنان الايطالي « كرالي » المنفتح على الاتجاهات الحديثة في الفن بغير تعصب ، مما وسع رؤية الفنان الشاب وجعله يكتسب خبرات متنوعة .

وواصل الفنان تفوقه ، وقبل أن ينهي دراسته بالمعهد الايطالي عام ١٩٦٧ شارك في المسابقة الدولية التي تنظمها هيئة « اينا تورنج » الايطالية لطلاب الفن في معاهد « ليوناردو دافنشي » في جميع أنحاء العالم ، والتي شارك فيها حوالي خمسة آلاف متسابق ، حيث قدم فناننا لوحة تصور مجموعة من البيوت في حارة بمدينة « قنا » ففاز عنها بالجائزة الأولى ونال الميدالية الذهبية ، عندما عرضت بالقصر الملكي في ميلانو .. كما رشحت هذه اللوحة الفائزة للاشتراك في مهرجان الشباب بتريستا .

وبعد التخرج عين « سيد سعد الدين » معيداً بنفس المعهد الذي درس فيه .

### سنوات الامتياز

وتمضي رحلة الفنان بعد ذلك في خطوات ناجحة .



سوق الحمير ، الدواب ،

فقدفاز سنة ١٩٧٢ بالجائزة الثانية في معرض صالون القاهرة السنوى عن لوحته « أنشودة إلى الراحلين » وكتب النقاد في الصحف اعتراضا على أن ينال الجائزة الثانية بينما كان يستحق الجائزة الأولى .

وفي المعرض الرابع عشر للطلائع عام ١٩٧٣ الذى تنظمه جمعية محبى الفنون الجميلة سنويا لشباب الفنانين الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة شارك الفنان بلوحته « من وحى الدواب » التى تعرض بانوراما « لسوق الحمير » . وفي هذا المعرض وبهذه اللوحة فاز الفنان الشاب بالجائزة الأولى ، ودرجة الامتياز . وكانت هذه هى المرة الأولى والوحيدة في تاريخ هذا المعرض التى تقدم فيها الجائزة الأولى مصحوبة بدرجة الامتياز على مدى ربع قرن .

وتابع الفنان نجاحه عندما فاز بجائزة المسابقة التى نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لعام ١٩٧٤ .

## تضحيات من أجل الرسم

وفي عام ١٩٧٦ صدر قرار تصفية معهد « ليوناردو دافنشي » بالقاهرة ، استنادا إلى انهاء الاتفاقية الثقافية بين مصر وايطاليا بشأن اقامة معهد ايطالى للفنون الجميلة بالقاهرة .

وانتقل الفنان إلى العمل في شركة دولية للتنقيب عن البترول رئيسا لقسم « الرسم الهندسي الجيولوجي » . واستمر في هذا العمل لمدة عام ونصف خفت خلالها انتاجه الفني ، وافتقد نفسه كفنان منتج ، وتولد في داخله صراع عنيف بين حبه للفن واغراء الدخل المرتفع .. وانتهى هذا الصراع بموقف مشابه لقراره عام ١٩٦٣ الهرب من دراسة الهندسة بمدينة المنيا واستقال ليعمل استاذا لفن التصوير الزيتى بمعهد المعلمات شعبة الفنون التشكيلية بمدينة بني غازي في ليبيا .

لكنه ما لبث أن اكتشف فشله في السيطرة على وقته حيث لم يجد متسعا للرسم كما يريد : فضلا عن ابتعاده عن الجذور وافتقاده المناخ الذى استقى منه جميع موضوعات لوحاته السابقة . فعاد إلى القاهرة بعد عام واحد ليتفرغ تماما للفن .. وفعلا حصل على منحة التفرغ للانتاج الفني منذ عام ١٩٨٠ وحتى كتابة هذه السطور .

ومنذ حصوله على التفرغ عاد إلى تفوقه وفوزه في المسابقات .. ففاز بجائزة الرسم من المعرض العام سنة ١٩٨١ . كما شارك في « بينالي الاسكندرية » لعام ١٩٨٢ وحصل على الجائزة الاولى في التصوير الزيتى على الجناح المصري في المعرض ، وحصل أخيرا على جائزة الرسم الأولى لعام ١٩٨٣ بالمعرض العام للفنون في مسابقة « حافظ وشوقى » ..

## مراحله الفنية

رغم فوزه بعدة جوائز قبل استقراره طالبا بالمعهد الايطالى للفنون الجميلة بالقاهرة ( معهد ليوناردو دافنشي ) .. إلا أنه لم يضع قدميه على بداية طريق النضج إلا خلال سنوات الدراسة : أي من منتصف الستينات .. في ذلك الوقت رسم لوحات يغلب عليها الطابع الهندسى .. أى الاهتمام بالعلاقات الهندسية التي تحكم الخطوط والمساحات في اللوحة ..

ومن هذه المرحلة بدأ ينطلق نحو تأكيد الجانب البنائي أو المعماري في لوحاته . حتى عندما تصدى لرسم لوحات ذات طابع تجريدى للتعبير عن بعض المقطوعات الموسيقية كانت العلاقات الهندسية بين الخطوط هي التي تسود أعماله .

ثم التفت الفنان إلى البيئة المحلية .. مثل البيوت والشوارع الضيقة في مدينته الصغيرة بصعيد مصر . التى راح يطوف بها منتقياً بعض المظاهر التى اختصت بها أو حولها ، مثل مراجيح الاطفال ومبارزات التحطيب ثم الأعمال المنزلية التي تقوم بها ربات البيوت ــ مثل سلسلة لوحاته عن « الغسيل » ــ ثم مواكب الاحتفالات وموانى

# فنان

## يمتلئ بالحنان والعطف على بيئته



عازف الربابة



الصيد

المراكب الشراعية ، وأسواق الدواب في الريف .. وغيرها .

### الأسلوب البنائى

هذه هى موضوعات لوحاته التي سجلها بأسلوبه الخاص الذى يتطور باستمرار ، في اتجاه تأكيد الجانب « الدرامى » الذي يجمع خصائص العمارة والرسم والنحت فى وقت واحد ان لوحاته لا تمثل مجرد انطباعات عن البيئة ، وانما هي دراسات أيضا للتراث الشعبى في مصر .

وفي تشكيلاته المختلفة تحليل تتجلى فيه قوة البناء ورسوخه باحساس المثال المتمكن ، مما يشيع فى لوحاته جوا من التعبد والصوفية .

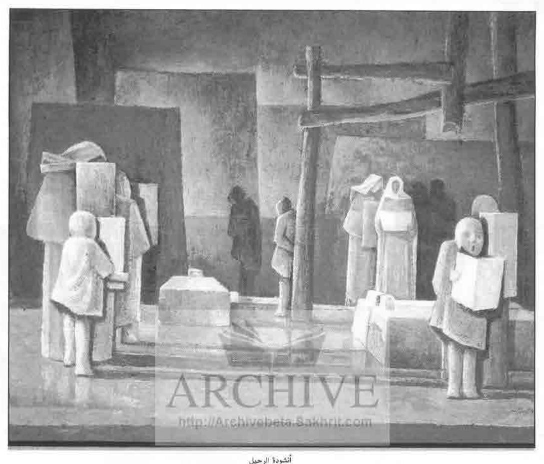
لقد تخلى الفنان الى حد ما ـ عن الجانب « الغنائى » في أعماله ، فى سبيل التركيز على العنصر « البنائى » . بمعنى أنه لم يستخدم الألوان المتعددة المتراقصة في ايقاعات سريعة تشيع الاحساس بالطرب في عين المشاهد ، وإنما فضل أن ينفذ إلى أعماق المتفرج من نفس مداخل التراجيديا التى تعتصر القلب وتترك أثراً لا يمحى . لأن البنائية ترتكز على الكتلة وعلى الديناميكية النابعة من داخلها فى غير اسراف لونى ، فهي لا تحتاج إلى ألوان تغني وانما إلى الايحاء بالصلابة والتكتل والرسوخ .

والمشاهد يحس أنه أمام منصة مسرحية تتحرك عليها الشخوص والعناصر الديكورية . فالفنان لا يحاول ـ ولو للحظة واحدة ـ أن يصل إلى المشاهدين عن طريق « الايهام » أي مطابقة الواقع حتى تحسب أن الرسم ينقل صورة واقعية .. لكنه يحقق الابهار « بالاغراب » .. وفي المسرح توضع قطع الديكور ويتحرك المثلون والراقصون طبقا لتصميم جمالي مسبق ، ولا يترك شيئاً للصدفة ، وان كان كل شيء يوحي بأنه إتخذ موقعه الصحيح بالصدفة .. وهكذا يتأكد التصميم الهندسى ولا يخفت الاحساس بالديناميكية والحركة والحيوية في الاشكال ، وهى نفس ما نجده فى أعمال الفنان .

وتبدو الحيوانات فى لوحاته أبطالا فى مشهد مسرحي .. يبدون كنبلاء في أسطورة خرافية عوقبوا بمسخهم ، وهاهم فى مشهد من مشاهد الأوبرا أو الباليه . وعلى وشك أن يتحركوا بين الراقصين أو المنشدين .. لقد نزع عن حيوانات البيئة ، خاصة الحمار ما يشيع بيننا عن بلادته وغبائه .وتحول إلى قطعة ديكور أنيقة على هذا المسرح الفسيح ..

ان حبه للبيئة وحنانه عليها جعله يلتقط مما حوله أكثر الصور انسانية ليجسدها بأسلوبه المتقن . فتبدو خارج الزمن وكأنها آتية من أعماق التاريخ .تتخذ مظهراً أسطورياً فيه رهبة وخشوع لاتحادها مع الأرض والحجر ، مصورة أجواء صعيد مصر المحمل برائحة الزمن العتيق .. إنها ملاحم تشكيلية يسودها منطق الهندسة والبناء وتشيع فيها حكمة الفكر والفلسفة مع شاعرية رقيقة تمتزج فيها الرياضة بالحس ، والعقل بالوجدان فى حبكة تصويرية متقنة .

والفنان يحرص على رسم وتلوين كل سنتيمتر مربع في لوحته ، ولا يترك أي جزء إلا جعله




أنشودة الرحيل

مشغولا منمقاً .. انه لا يستخدم الضربات الكبيرة من فرشاة الرسم فعجينة اللون عنده دسمة مملوءة بالتفاصيل الصغيرة ، أو بمعنى آخر : « ثرية الملمس » . وفي نفس الوقت نجد أشكاله وقد اتخذت مظهراً مكعباً وكأنها منحوتات أو تماثيل وضعت تحت مصادر ضوئية متنوعة ، ترسل أضواء فضية متناسقة ، وبعض هذه الأضواء يشع من العناصر المرسومة نفسها ولا يأتيها من الخارج .

إن سيد سعد الدين يقتصد في ألوانه .. فيميل إلى الألوان الصفراء والبنية والترابية ، ويبتعد — إلى حد ما — عن اللونين الازرق والاحمر في حالتهما الصريحة .. ثم يعالج ألوانه المفضلة بشاعرية رقيقة واضحة وبرسوخ ..

## لوحات مملوءة بالحيوية

أما الحركة والديناميكية في لوحات الفنان فتتحقق من عدة طرق :

أولها : التكوين المتحرك الذي يجعل عين المشاهد تتحرك لمتابعة العناصر في توزيعها على مسطح اللوحة وتأمل الأشكال الكبيرة في المقدمة والصغيرة في مؤخرة اللوحة .. هذا التتابع والتنوع طبقا لعلاقات هندسية ورياضية ، يشيع الاحساس بالحيوية والديناميكية ، ويقود عين المشاهد لتسير معها خلال متابعة الاشكال المرسومة وتأملها .

وثانيها : ذلك التناقض الذي يثير الاندهاش ، بين الشكل النحتي للعناصر الذي يوحي بالثقل والرسوخ من ناحية ، وأوضاعها المتطايرة والمتحركة من ناحية أخرى ، فتبدو وكأنها من ثقلها من جاذبية الأرض .

وثالثها : تلك الشفافية التي يستخدمها في بعض أعماله ، فتكشف للمشاهد عن درجات لونية متدرجة أو متباينة ، عندما يحجب العنصر الشفاف جزءاً من عنصر آخر ، أو تتراكم العناصر الشفافة في بعض المناطق لتحقق تتابعاً في الدرجات اللونية لم يسبق لنا تأمل مثيلها في الحياة الواقعية .

وهكذا يحقق التباين بين الأشكال التي تتحرك بعنف وتلك المستقرة في رصانة وسكون ، وبين المعتمة والشفافة ، وبين الخطوط المستقيمة والمنحنية ، نوعاً من الحوار الموسيقى المتعدد والمتنوع كما في الاعمال السيمفونية الرفيعة .

لهذا يشيع في لوحات الفنان شيء من السحر أو اللغز نتيجة اتجاهه إلى بعض المبالغات التعبيرية والخيال الخصب الجامح . فيحقق الاندهاش ويدفعنا إلى التأمل ، فتنطبع في ذاكرتنا ولا ننساها أبداً ..

ولهذا كان من المنطق عندما طلب « البنك الأهلى المصري » وبنك « تشيس الأهلى » من الفنان الكبير الاستاذ عبد السلام الشريف أن يرشح أحد الفنانين الشباب ممن يتوقع أن ترتفع أسعار لوحاتهم في المستقبل لتكون ميداناً للاستثمار .. أن يرشح أعمال الفنان سيد سعد الدين .

صبحي الشاروني

مفكرة يابانية

# اليابانيون إغريق هذا الزمان ورومانه

بقلم: جمال محمد أحمد



يقولون إن أوفق المداخل لتاريخ روما هو دراسة آدابها ، وان أوفق المداخل لآداب الاغريق هو دراسة تاريخها ، واليابانيون فى الذى رأيت أيامى معهم اغريق هذا الزمان ورومانه فى آن . لهم من آداب الاغريق على عهدهم الأخصب نصيب ، ومن منشئات الرومان السياسية والعسكرية على عهودهم الأولى ، نصيب . هذا الشبه الذى كنت أحب أن أسوق له الشواهد ، وهى أكثر مما كنت أحسب ، جعل من أدبهم وتاريخهم ذاك القط التوأم من سيام سارت به الأمثال ، يُضعان وهما واحد ، لا ينفصمان وهما لصيقان شطران .


زهور قادمة من كل انحاء البلاد إلى طوكيو

رباعية يوكيو ما يشيما ( ١٩٢٥ — ١٩٧٠ م ) مثلا تعالج وجدان الانسان اليابانى واستجابة يده وعقله للحوادث والطامات التى عاشها منذ عقد القرن الأول حتى السادس منه . لا غناء لك عن رباعيته إن أردت أن تفقه تاريخ هذه الفترة فقها يحس بنبض . لا غناء لك عن الرباعية وان قرأت كل الذى كتب فوكوزاوا يوكيشى ( ١٨٣٥ — ١٩٠١ ) ورصد عن تاريخ بلاده . وبارع قادر هو فى الذى كتب ورصد فى جوانب الحياة التى عالجها : التعليم ، شئون الحكم ، والى من هذين بسبيل ، كالذى كان من أمر الجبرتى الذى رصد كل نأمة ونفس بحذق يعجب ، ومن أمر الطهطاوى ، زبدة وعصارة المناخ الفكرى فى مصر وفى فرنسا على عهده ( ١٨٠١ — ١٨٧٣ ) .

التاريخ والرواية شقا مقص لا يقوم مقام الواحد آخر ، كالذى بين ثلاثية محفوظ وتاريخ عبد الرحمن الرافعى لمصر المعاصرة . هذا الجسد لا غناء له عن تلكم الروح تسري فيه من قلم سيد الرواية عندنا اليوم ، وربما لحين قادم .

ألحت هذه الخواطر على ، وأنا أدخل دار ياسونارى كواباتا ( ١٨٩٩ — ١٩٨٢ م ) ، المتحف . تلقانا لدى الباب رجل قصير القامة ما فى هندامه الأوربى ما يدل على أنه فى أريج حال ، ولا فى كرافاته الأسود ، وأسلوب ربطها ما يدل على أن ذلك مألوف لباسه . سعى الينا يحمل خطوة وراء أخرى ، مائلا قليلا للامام يحملك على الاشفاق على حاله . مد يده بمظلة لى وقد انحنى انحناءة كبيرة ، أخذها معه لمرشدتى . انحنت له قليلا لقاء انحناءته الكبرى وتقدمنا يحمل هو أيضاً مظلته ، فقد كان يوماً من أيام يونيو وذاك عندهم أمطر الشهور والدار فى ضاحية كاماكورا ، مقعد الأباطرة والحاكمين فى ظلهم على العهد الذى سمي باسم ذلك الإقليم من ١١٨٥ حتى ١٣٣٣ . جاءها كواباتا من بيت أهله فى اوسكا ، عاصمة أخرى من العواصم التى عرف اليابانيون فى تاريخهم الطويل ، كثير الحوادث والأحداث ، سبقت طوكيو العاصمة الحاضرة أخوات لها كثيرات أبعدها صيتا كيوتو ونارا وأوساكا .

دار الكاتب المرموق أقرب الى بستان ، أو هى بستان الدار سريحة منه ، فى وسطها شجر البستان ، وأزهاره تحف بها تلحقها ، تكاد تنساها وأنت ترعى جداول البستان تتقلص سعيدة فرحة قطرات الماء . تدغدغ السكون الساكن ، ما فى المكان صوت غير صوتها الواجس ، فالدار بعيدة من زحام القرية تجيئها من زقاق ينعرج من الطريق الوسطى تشق القرية على جانبى الزقاق بيوت صغيرة صامتة ، عليها هى الأخرى أشجار تتدلى أغصانها فوق جدرانها ، والذين طوفوا ذلك البستان الأكبر ، اليابان كله لن يعجبوا حين يعصى على أن أذكر اسم شجرة أو زهرة وأنا الذى ما عرفت غير القليل الذى ينبت فى السافانا وعلى النيل ، وأكثرها شجر ضخم جهم يعارك كي يحيا فتقوى جذوعه : اللبخ والتبلدى والكتر واللعوت وما من أشجارنا وازهارنا الطبيعية بسبيل . ودقة وحلاوة أزهار وأغصان اليابان تعصى حتى على غيرنا من أهل الطبيعة الرحيمة . قالها جيمز كيركب ، وهو الشاعر الذى غنى بالطبيعة فى بلاده الراحمة الوادعة . أشفق على زميل له ترجم المانيوشو ، أقدم مختارات الشعر اليابانى ، ما زالت وهى التى جمعت فى القرن الثامن الميلادى ، مصدر وحى والهام ، للذين أتوا بعده « من مشقات الترجمة عن لغة مغربة ، العثور على كلمات وتعابير أسماء الطيور فيها والحيوانات والحشرات ، والنباتات ، وحتى الأشياء التى يستعمل الناس فى حياتهم كل يوم تشق عليك ، ان كانت مما لا يستعمل الناس فى الغرب » .

فرح راعى الدار بباقة ورد حملتها معى للدار المتحف . جرى أتى بها فى مزهرية وأنا أراه يعالجها برقة ودودة ، ويمينى ويساري وأمامى ضروب من الأزهار ، خال لى انها تبسم عاطفة ، حامل التمر الى هجر ساذج . ودخلت من باب صغير على مرتفع من الأرض فوق إطار من الخشب المدهون يحمل الدار كله . ورأيت والله طيب الحياة على الأرض فوق هذا الاطار : السجاجيد عليه ذات أبهج الألوان ، يحذق الناس صنعها هنا ويفتنون ، تخنق بنعومتها وقع الخطى ، وتزيد وقع السكون

# اليابانيون أغرق هذا الزمان وزمانه

عليك سكوناً . أنت تمشى في منام . رفوف الكتب يمناك ويسراك متراصة في دهليز طويل . لكل رف زر تضغطه طائعاً يأتيك شطر من المكتبة ، وهى نحاس خفيف طلي بطلاء أبيض ، أكثر الكتب كواباتا . مراجع رواياته ، « الف كركى » مثلا و « ريف الجليد » روايتان يقرؤهما اليابانيون ويذكرونه في أسى وجلال .

الأسى .. لأنه أنهى حياة بديعة مبدعة ١٩٧٢ م ولما يتجاوز الستين بكثير ، أعود للجلال بعد دقائق . أشركك سر الأسى : حين يذكر زائر مثلي كاتبهم بالرضا الذى استحق يسكتون ، وأنا الذى أعرف كيف يحبون آثاره ويعشقون شخصه . يخرجون بالصمت عن لا ونعم ، فتحار ، ربما كان لعجزى الاجتماعى دخل ، « الكلام الصغار » كما يقولون ، موهبة لا يؤتاها كل واحد ، واليابانيون من أبعد الشعوب عن الفضول ، لا يشبعون نهم سائل ، حذرون إن كانت فنونهم وآدابهم مرآة لهم هى لاشك ذاك ، الكلام القليل خلة في كل رجل وامرأة . لا تجد في شعرهم ، على كثرة ما نظموا في القديم ، وينظمون في الحديث ، الا ملاحم معدودة . على النقيض تفردوا في الشعر بنموذج يسمونه هايكا وآخر يسمونه تانكا . وينفرد النموذجان بأبيات معدودة أقرها الأقدمون في طور من أطوار تاريخهم وأدبهم الذى ظل مرآة لكل العصور ويلهث اليوم ليبقى جنب ضرب القديم من الشعر . رائعة صاحبنا كواباتا موضع حديثنا هذه اللحظة « ريف الجليد » مائة وأربعون صفحة من القطع الصغير ، عدة كلماتها خمسة وثلاثون ألف ، صفحات « ألف كركى » أكثر قليلا ، مائة وسبعون ، عدة كلماتها أربعون ألف لا تزيد . ما خرج عن هذا التقليد غير يوكيو ميشيما وهو الذى رعى كواباتا وأحب وأقدر .

والفيلم اليابانى بعد أن اتخذ مقعده الأمامي مع سائر الأفلام يكاد أن يكون سيد هذا التقليد في الاقتصاد ، فالمخرج اليابانى تاجر بهذا الأمر حاذق ، ولو كنت أعرف أنى سأكتب هذا لأحصيت الكلمات في فيلم « ملحمة ناریاما » . يصور الفيلم عرفاً قديماً في قرى اليابان كان الأبناء يحملون الآباء والأمهات على ظهورهم يلقون بهم على قمم الجبال والغابات يدعونهم هناك للصقور والذئاب والسباع كيلا يشركوهم طعامهم القليل فقد كانت شحيحة الأرض وما كان حقاً — في زعمهم — أن يأكل هؤلاء وقد عجزوا عن الانتاج نهاية أيامهم تلك . في مشهد من المشاهد يستمر دقائق يحمل ابن قوى السواعد طويل عريض المنكبين أمه المحمولة على ظهره . يلقى بها بعد مشقات لا قبل للواحد بها في الوديان والسهول على الصخور ، وعبر السيول في بؤرة تغص بالطيور الكاسرة تحوم حول عظام الذين أتوا البؤرة من قبل . والوحوش الجائعة ، تحاول عبثاً أن تخرج من البؤرة ، الصخور ملساء والأرض بعيدة . تمضى أنت مع هذا الرعب ممسكاً أنفاسك . ماعجبت حين سمعت عند عودتى أن سحر التصوير والألوان وبراعة القصة لقي حفاوة في مهرجان « كان » وضعه في قمة الحظوة بجوائز « كان » .

* * *

حمانى هذا الذى أقول عن عجزى الاجتماعى ، والذى أقول عن الاقتصاد في الكلمة عند اليابانيين من أن أصل لسر كواباتا . ما الذى حمله على قتل نفسه وهو الذى عاش ترف داره الخضراء ذات الزهر والماء ، الذى عاش جديراً بأسلافه حيث ولد ونما وفتح عينيه على دنيا ثرية صاخبة لاهية في اوساكا ؟ ولد طيبا ، وعاش طيبا ، يعشق الطيب الجميل ويعشق الآخرون عشقه هذا ، يودون لو هاموا بالحياة مثله ، واعترف به العالم أجمع فلماذا كان ؟

وأخيرا عرفت . ما قتل كوباتا نفسه من جهد أو بلاء أصابه . قتل نفسه ليقول للناس كلمته . قالها لهم بالدم . إن أرخى العيش أرفه العيش لا يستحق عناءة أن هو لا يحيا حياته وفق أضوائه .

استغلق علي السر حتى لقيت صاحبا كنت قد لقيته سنين قبل زيارتى هذه لليابان ، وما كنت أحسب أنه سيعين ، وهو الذى قضى شبابه الأول مع جامعة طوكيو وجامعة هارفارد ، يطل على العالم من « مدرسة الحقوق » فيها ومدرسة « الأعمال الادارية » ، لكنه والله أعان الشباب اليابانى المعاصر ، أقرب للمثال الذى أراده لنا التاريخ العربى ، حين كان يلح علي المتعلم أن يدرس شيئاً بعينه أعمق الدرس ، وأن « يلم من كل فن بطرف » .

قال لى صاحبى الذى يعمل الآن قائداً لجناح البنك الصناعى في طوكيو وكان بعيداً في الذى نحسب نحن عن آداب وفنون أهله وبان لى من الذى كان يقول إنه أخذ من الآداب والفنون والعلوم نصيباً . تلك واحدة من شمائل شباب زمانه . قال حسيراً كاسفاً إن كواباتا هم بالزواج من فتاة كانت تقوم على شئونه ، أراد حين هم بهذا الزواج لاكفاء بين طرفيه هو وهى أن يصونها ويصون الجنين في بطنها ، ثمرة عمق ارتباطها به . وأبت الشرائع أن يتزوج : إنه واحد فريد ، وهى من عامة الناس . أبت الشرائع . قالت إنها من طبقات دون . كان احتجاجه احتجاجاً على الغباء لا احتجاج كلام ، واحتجاجاً على الغباء لا بالكلام . بالدم وبالحياة كلها . خطة نعرفها عن اليابانيين .

صناعة الأجهزة الدقيقة في اليابان



مدينة طوكيو بالليل



يرتبط اسم كواباتا بفترة فى تاريخ اليابان يود الناس هناك لو أصبحوا ذات صباح وقد نسوه ، مسحوه من وجدانهم مسحا كأن لم يكن . تلك فترة « وادى القتام » فيما يسمونها هم أنفسهم . ولي الجيش فيها شئون السياســة . والحرب والدبلوماسية ، فترة امتدت لعقد من الزمان بأكمله كما قلت ، شقي فيها القلم اليابانى أتعس الشقاء ، استحال عليه أن يكون ذا شأن وسيف الجيش مدلى عليه من أعلى ، ازدهاه أن انتصر انتصارات عسكرية على جيرانه فى شرق وجنوب شرقى آسيا ومشى بعيدا مع زهو انتصاره . يروى جون موريس فى كتابه « مسافر من طوكيو » الذى نشر ١٩٤٦ بعد أن عاد لانجلترا وقد استحال مع حرب الباسفيك أن يعلم اللغة الانجليزية فى مدارس ومعاهد اليابان كما فعل فترة من الزمان . قال رئيس الوزراء آنذاك الجنرال توجو يعالج هياج البرلمان ضد الانجليزية أبى تعليمها قال إنها رمز الآخرين والآخرون هم الجحيم ، كما علمت الناس أدوات الاعلام التى سخرها الجيش تسخيرا لطموحه . قال رئيس الوزراء وهو يسعى لتسكين العاصفة التى أثار هو نفسه وأعوانه أشباهه : « دعونا نبق تعليم الانجليزية فى معاهدنا ومدارسنا حتى حين . سنحتاج الانجليزية لادارة الأقطار التى سنحتل . سنحتاج لادارة استراليا وحدها عددا من رجالنا يعرفون الانجليزية . لفترة من الزمان تعلم اليابانية للأهلين هناك » ـ وكانت جندية عاتية تعيش زمان الفتوح الطاغية قرنا بعد أوانها عماها استبدادها بأهلها أن ترى يقظة آسيا للخلاص من آثار تلك الفتوح . ما كان ممكنا للقلم أن يجد مكانه الأليق به مع السيف هذا الأرعن . ما صدرت عنه غير تفاهات تسبح بحمد الجيش تسبيحا أجوف أجرد . لا الحزن حزن ، ولا السعد فيه سعد . الكل زيف وباطل أباطيل ، بان خباله فى الحرب بعد ضرب مرفأ بيرل هابر ، وماترتب على ذلك الهجوم من خراب وهوان محيق باليابان .

وأبى الزيف كواباتا . سخر قلمه يصور جفاف النفوس وقسوتها . أهل القرابة والحظوة عند الجيش عماهم ثراؤهم الذى أصابوه عن الحس بالذى حولهم من حمق ، وما كان كواباتا أهوج يناطح الصخر ، كان يقول الذى يريد أن يقول مداورة ، يتقى . قال فى رفق بصير لايكذب : طيبات الحياة لا تقتضيك كل ذلك السلطان وكل ذلك الهلع واللهاث وراء المال . صور فى كتاباته الغرائز الأولى فى الانسان : شهوة الطعام ، شهوة الجنس وصور الطبيعة ، الزهرة وغصن الشجرة والتلال والجبال مثلا راجيا أن يرى الناس فى تصويره إياها مايرى هو من جمال .

قرأ العامة فى كتاباته حكايات لاتشق عليهم لأنها سوائح ، وقرأها الخاصة لأنها كانت بضعا من شعر وأساطير الأقدمين . أشاع فيهم أجمعهم ، العوام والخواص ، هدوء بال ودعة افتقدوها على أيام حكم الجيش يسوقهم للايمان بحماقات ماكانوا ليؤمنوا بها لولا أن الجيش ، وقد ملك أدوات الدعوة كلها والتبشير بالذى يبغيه وهو يحكم .

قاوم هذا الزيف والضلال كواباتا ، كالذى فعل فولتير واخوانه فى فرنسا حتى يقابله بعضهم بمدارس الفكر الفرنسى على أيام مقتهم السلطان الذى ماكان لسلطانه وازع ، ويقابله الامريكيون بكتابهم الذين غنوا للطبيعة وللغرائز ، الأولية فى انسان ، والذى فيها من لذاذات وعناء ، لكنى لا أرى فى هذه المقابلات الا قليلا من حقيقة فن وفكر كواباتا . انه فى البدء والختام ابن أرضه وتراثه وزمانه . بعبارة أخرى يابانى خالص ، قرأ فولتير وقرأ ويتمان وأمتع بهما وراح سبيله اليابانية .

ذكرت كواباتا وذكرت داره ، وأنا أطوف الجزيرة المعبد مياجيما . يحفل اليابانيون منذ القديم بالقلم والمحراب والسيف على نحو سواء ، لكل معبده ، لايفضل معبد القلم معبد المحراب ولا معبد السيف . كلها معا سرائح من كل متكامل متماسك ، وجزيرة مياجيما كلها معبد صغير ، جزيرة أصغر من أن يكون بها مكان لمقابر . مافى الجزيرة جبانة . يدفن الأهلون موتاهم فى هيروشيما عبر لسان من المحيط تسلل للأرض حول الجزيرة المعبد وقد قاوم المعبد الماء وأفلح . أعانه العابدون فيه بالسدود والقيود على الماء .





لقطتان : الأولى تمثل الاندماج في الدور على المسرح مع الاهتمام بتقاليد الزي والعادات اليابانية .. واللقطة الأخرى لمضيفات يابانيات بزيهن المثير الجذاب

ميايجيما أشبه بصورة جزر الأساطير التى خلد الاغريق والرومان فى أذهاننا فى البحر الوسيط. تجيء بك لها قوارب بخارية أنيقة ، كلها من طابقين ، تشق منذ تقلع بها من هيروشيما مياه زرقاء زرقة السماء . لا عاصفة تخيف ولا ميتة هادئة تضجر ، بين بين ، متعة للعين منعشة . تقف محركات الباخرة قبل أن تصل مرساها بكثير فتجدك تطفو فى هدوء ناعم ، كلما اقتربت من أرض الجزيرة أوحى لك هدوء الباخرة وأوحى لك سكون المسافرين بعيونهم على الجزيرة أمسكوا عن الكلام ، أنك تقبل على صمت جليل . يعنق المسافرون لزرقة لسان البحر ، وكان يوما من أيام يونيو ، رذاذ من المطر ، ولا ريح . كل الكون ساكن تحسب المسافرين وهم يخرجون من الباخرة صفين طويلين ، أنهم يمشون فى حلم ، فرط السكون حولهم وفرط صمتهم ، وقد تفرقوا عند أول الجزيرة فرقا صغيرة .

وجدتنى ومرشدتى مضيفة مؤسسة اليابان ندخل سوقا رطبة الأرض مغطاة تترقرق أشعة من الشمس خلال خشب السقف كالذى تغعل عندنا فى سوق الحميدية والموسكى وفاس . والحوانيت كالتى عندنا أيضا ممسك بعضها من الضيق بعضا ، ماقى الجزيرة المعبد ذعر . فيها أمان التقى والورع . تتناثر بين الحوانيت فنادق صغيرة . رجعنا لواحد منها للغداء بعد طواف على الحوانيت . وما كان فيها كثير لم نجده فى أسواق نارا وكيوتو واوساكا هنا تحف اليابان مما يفتن السائحين ، جمعت من كل بقعة فى جزر اليابان . أسرعت بى وبها كواباتا ، كان ذلك اسمها ، وما كانت السرعة التى وهمت . كانت كأكثر اخواتها دقيقة لايمكن لها أن تحسن غير هويتى . خطوة اثنين مستحيل . يميننا قريبا لسان المحيط ، رصت على رصيفه تماثيل فى أكثر من وضع رأيته فى متحف طوكيو الكبير ، قائما قاعدا ، راقدا وفى كل وضع من أوضاعه . هذا متأمل ، عيناه ساجيتان . يسارنا قريبا جبل يكاد يضم لصدره المحيط يميل ميلا نحوه وكأن يد فنان وضعته هناك ، عامدة لقاء الصخر والبحر . على القمة أشجار يلف بعضها بعضا ، أغصانها تتدلى تحجب عنك مسار الجبل لسفحه ، وفى السفح أزهار من كل لون بهيج تسرح مترفة ماتمسها يد البستانى . بين كل مجموعة من هذه الأزهار تماثيل صغيرة مما يحذق الفن اليابانى ، أكثرها لبوذا وبعضها لشخوص من مسرح النو ، فى المعبد مسرح قديم لهذا الضرب من التمثيل الذى تفرد به اليابانيون منذ مطالع القرن الخامس عشر . أخذه الكهان من رقص وغناء أهل القرى أتوا بها لمعابدهم يصورون بأغان استحدثوها ، ورقص زينوه تزيينا ليعبر عن أمجاد اليابان القديمة تعبيرا استحوذ على أفئدة الولاة والارستقراط والحاكمين ، وبقي لليوم مسرحا لايعرف شبيها له بلد آخر . يرعى تماثيل بوذا هذه وشخوص مسرح النو سدنة المعبد ، فكلها من نحاس خالص ونوع من الطين يناطح الدهور ، لايخشون عليها من أن تسرق . السدنة عندهم « النقيب » الذى يحرس « البيان » هنا .

مبرر وجود وحياة هذه الجزيرة معبدها الذى يجيئه العابدون من قرى ومدن اليابان . تدخله خطوات قليلة بعد جانب الجبل الذى رأيت جانبه الآخر يطل على المعبد ، اطلالة احتضان رقيق ودود . وعلى أرض المعبد أنهر صغيرة ــ جداول كبيرة إن شئت ــ تربطها بعض من الجسور من الحطب ، على جوانبها تماثيل من أحجام وأشكال عدة .

بعد فسحة من الأرض صغيرة وتراب وحصى وبقايا علب الآيس كريم الورق والكوكولا وغيرها من العلب ، ناحية البحر كشك أمامه شباب صاخب لاه ، بعضه على ظهور الهوندا ، بعضه على ظهره فوق الأرض . لاخشوع هنا ولا تبتل . هنا بدعة أخرى مما تصنع الولايات المتحدة ، لاشيء هنا على البحر أمام الكشك وعليه ، غير الشباب المرح المتصابى ، مرشدتى لاتلقى بالاً اليهم ، تسرع بنا الخطى للذى يليق بزائر ، كمن تريد أن تصرفه عن هذه البدع الوافدة . على قرب قريب من المعابد والديارات والخشوع والرهبة وقرب أقرب من الشباب ، متحف الخناجر والسيوف .

كان اليابانيون أمة حتى سنين قليلة مضت يعدون من لا سيف من نطاقه يتدلى عريان . يعجبون كيف له . وحديث السيف والخنجر تروعك صرامته فى حياة وأدب اليابان وأرجو لك فسحة من الوقت لترى كيف صور مكان السيف والخنجر فى الحياة اليابانية الروائى العظيم يوكيو ميشيما فى « الحصين الجامحة » ثانى أربعة كتب فى رباعية ، واريد لك أن تيسر عندك المزاج والفراغ أن تقف عند هذه الصفحات التى يروى لك فيها خيبة الناس وفزعهم من حكومة أمرت الناس أن ينزعوا سلاحهم الذى عاشوا قربه وعاشوا به منذ عهدهم بالأباطرة والحكام . اذن لن تعجب حين تعود تقرأ زعمى لك أنا لن نستطيع معجزة اليابان . فى الروح اليابانية ، فى التراث اليابانى ، وفى اليابانى المعاصر ، شيء نفتقده نحن الآن وكان يوما من الأيام بعضاً من حياة العرب لاحياة دونه . سأقف لحظات مع هذا الفصل عن السيف فى الرواية حين يتقدم بنا الحديث كى أغريك به تتصفحة . لن تضيع وقتا ان فعلت .

جمال محمد أحمد

# منازل في الأفق [1]

شعر: محمد القيسي

## الكمان

هلْ يُفسرُ هذا الكمانْ
دمعةَ الأُقحوانْ
هل يعالجُ روحي المريضَ ،
وأسترجعُ الكائناتِ إلى صدرِ أُمّيَ ،
قبلَ فواتِ الأوانْ

هل تُناديني تعالْ
طفلةُ الموجِ إلى البحرِ ،
وأحتاجُ إلى عمري
ويرتاحُ السؤالْ !

## دون كيشوت

أرى خيمةً في الجبلْ
تُنكِّسُ أعلامها مؤمنةْ
بما وُعِدتْ من جرارِ العَسَلْ
وطيبةِ حزبِ العملْ
أراها تُجمِّعُ هذا الحطامَ ، حطامي
وما يَتبقّى مِنَ الراية المُثخَنَةْ
أرى عِلّتِي المُزمِنَةْ
أرى خيمةً تلمعُ الآنَ ضِدّي
أراني وَحدي
أدورُ كما حجرًا مطحَنَةْ
أُواجهُ أيامَ هذي السنةْ !

## طوبى ليوم تناهى إليّ

كأنَّ الشوارعَ مُلكي
كأنَّ البناياتِ حولي فُتاتٌ تناثَرَ ،
والعَرَباتِ دُمىً تتقافزُ ،
والريحَ فُلكي
كأنَ النهارَ بلا مُنتهى
كأني بلغتُ ذُرى المُشتَهى
وَجاوزتُ شكّي
فهلْ كانَ إبريقُها دَانياً من شفاهي
إلهي
إلهي
لقدْ فاضَ نبعُكَ فيَّ ،
وَعمَّتْ مياهي !
فطُوبى لهذا الغياب ،
وطوبى ليوم تناهى إليَّ ،
فأزهرَ شوكي
كأنَ الشوارعَ مُلكي !



## امرؤُ القيس

أنهى عُروقَ البحـرِ وَانتَظَرا
لا بـارقٌ غنّى ولا خَطَـرا
فنجـــانه الثاني تجَرعَه
وتجـرَّعَ الإسمنتَ والحجـرا
لم تأتِ موعدها ولا بَعثَتْ
في صدرِ طارقِها ولو خَبَرا
وَطوى كتابَ الأرضِ خبأه
وتوزَّعتْ أنفـاسُهُ شَـرَرا
في كُلِّ مُنعَطَفٍ وناحيـةٍ
سكبَ الضُلوعَ وأطلَعَ الشجَرا
لم يُنفقِ الأيامَ في عَبَثٍ
كُلُّ الرمـالِ تُراودُ المَطَرا

## لها ولي

التُرابُ لها والحجارةُ لي
ألأغاني لها والهوامشُ لي
ألنهارُ الشفيفُ لها ،
والزوايا البعيدة لي
والهديلُ الذي ينتهي عند شُرفتِها فَرِحا
والضُحى
وَالأريكةُ والبَيلسَانْ
ورنينُ الكمانْ
وقطوفُ الكرومِ لها
كلُّها
ولها المهرجانْ
ثمَّ لا شيْءَ لي
غيرُ هذي الحجارةُ تَسقطُ من منزلي !

---

هامش :

(١) من مجموعة حملت نفس العنوان ، والتى فازت بجائزة ابن خفاجة الأندلسي لعام ١٩٨٤ التى يمنحها المعهد الأسباني العربى للثقافة فى مدريد وسوف يقوم المعهد بنشر المجموعة باللغتين العربية والأسبانية .

## صورة إنسانية بعيدة عن السياسة



# حسن البنّا كما عرفته

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

**لم أكن أدرك يوم رأيته للمرة الأولى فى قرية نائية من قرى مركز إسنا ، محافظة قنا ، فى أعلى الصعيد ، تسكنها قبائل عرب المطاعنة التى أنتمى إليها ، شيئاً مهماً عن السياسة والكفاح ومساوىء الاستعمار والاحتلال الإنجليزى وجبروته ، والهجمة الشرسة على الإسلام ديناً ، فى القاهرة والمدن الكبرى ، وحبائل جمعيات التبشير ، وأجهزة الأعلام الأجنبية ، وفيض الكتب والنشرات التى توزعها مؤسسات تتخفى وراء العلاج والتعليم ، وتوزع مع العلم والصحة الإلحاد والزيغ ، وفتنة المسلمين عن دينهم .**

ولكنى أيضاً ، لم أكن بعيداً عن ذلك ، فقد كنت من نابهي الأطفال الذين يترددون على كتاب القرية ، والمدرسة الإلزامية ، وموقوفاً عليهما ، لا عمل لى غير القراءة والمذاكرة وحفظ القرآن الكريم ، على حين أن جل لداتى يساعدون أهليهم فى الزراعة ، ومتطلبات العيش ، وكان علي فى لحظات الفراغ أن أقرأ للناس ، وهم أميون فى جملتهم ، صحيفة الأهرام ، الجريدة الوحيدة التى تبلغ القرية ، اشتراكاً يتقاسمه ضابط النقطة ، وعمدة القرية ، وخال لى ، وكنت أعى بعض ما أقرأ ، من أسماء الوزراء والأحداث على الأقل ، وأفهم قدراً يسيراً من التعليقات ، وقليلا جداً من المقالات ، أما الجانب الأكبر فكنت أراه طلاسم لا تعنى شيئاً ، ولا زلت أذكر حتى الساعة مقالا كبيراً ، فى الصفحة المخصصة للأدب والثقافة ، عن « التشاؤم والتفاؤل » رحت أقرؤه مرة ومرة ، فلم أفهم شيئاً مما يقول.

في تلك الأيام سمعت أن حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حل ضيفاً على ديوان عائلتى فى كيمان المطاعنة ، على بعد كيلومترات من محل إقامتى ، وفيها كان يسكن والدى أيضاً ، فشددت رحلى إليها ، مأخوذاً برؤية شخصية قادمة من القاهرة ، يظهر اسمها فى الصحف بين حين وآخر ، ويكتب المقال الافتتاحى فى مجلة « النذير » وكانت تقع فى يدى أحياناً ، يجلبها خالى حين يذهب الى السوق فى المدينة .

كان ذلك فى أواخر شهر أغسطس من عام ١٩٣٨ .

بدأت أتأمله من على بعد أولا ، ومن قريب فيما بعد ، هذا الضيف الوافد ، يرتدى ملابس بيضاء فضفاضة ، بسيطة ونظيفة ، ويلف فوق طربوشه شاشاً ، معتدل القامة والبنية ، أبيض مشرباً بحمرة ، مرسل اللحية ، نافذ البصر والبصيرة ، يتحرك وسط جموع الريفيين البسطاء كأنه هالة من نور ، وهم حوله فرحون به ، يعرف كيف يملك قلوب المئات الذين توافدوا من النجوع التى حول القرية ، بعضهم طلاب فى الأزهر ، والغالبية فلاحون ، جاءوا مدعوين ، أو ليسلموا عليه ، أو مستطلعين .

### كيف يمضى يومه ؟

أمضى حسن البنا وقتها فى كيمان المطاعنة ليلة ويومين ، زار فيها كل دواوين بطون العائلة فى القرية ، حتى أولئك الذين كانوا على خلاف مع أهلنا ، أو الذين يرتبطون بأحزاب سياسية لا تتعاطف مع الاخوان المسلمين ، وفى زيارته يصلح بين المتخاصمين ، ويجمع الناس على كلمة خير ، يفعل ذلك فى الصباح على امتداده بعد إفطار بسيط ، رغم وفرة ما يقدم وتنوعه ، فإذا انتصف النهار صلى بالناس الظهر فى المسجد ، وأمهم فى الصلاة ، وبعدها يتناول الغداء على بسط مفروشة على الطريقة العربية وجموع المدعوين على شرفه ، فإذا انتهى الطعام أرسل شكره فى دعاء طيب ، لا أزال أذكر لفظه ، ويرن صداه فى أذنى كأنه قيل بالأمس ، فى لغة نقية رصينة ، وامتنان صادق

مؤثر : «أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم ملائكة الرحمن ، وذكركم الله فيمن عنده» .

وبعد الغداء يستريح قليلا من وهج حر الظهيرة ، حيث الشمس شديدة والحر قوى فى أعلى صعيد مصر ، حتى اذا حانت صلاة العصر أم الناس فى مسجد القرية ، وكان يومها متواضعاً ، مفروشاً بالحصر ، تعلوها طبقة خفيفة من التراب ، وتطوقه الشمس من كل جهاته ، ومع ذلك لم يضق بشيء من هذا ، وما ضجر ولا تأفف ، وإنما ظل فيه بعد الصلاة يلقى حديثاً دينياً استهله بحديث : «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتابه ، ويتدارسون آياته ، الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة .. » ثم يمضى يفسر بعضاً من آى القرآن ، ويربطها بواقع الناس ، ولا أذكر الآن من تفاصيل الحديث شيئاً ، وإن بقيت الصورة حية متوهجة فى عقلى وقلبى .

فاذا جن الليل بعد رحلة مرهقة بين دواوين بطون القبيلة المختلفة ، وأوى الناس الى مضاجعهم ، انفرد هو بنفسه ، فى صمت ومن غير ضجيج ، يقرأ ورده ، ويؤدى ما اعتاد من صلواته .

كان له رفيق فى هذه الرحلة «أ . ح» ، وكان يومها شاباً فارعاً ، فى مقتبل العمر ، موفور الجسد ، قوى البنيان ، تخرج فى الأزهر حديثاً ، يرتدى الزى الأزهرى كاملا ، عمامة وقفطاناً وكاكولة ، وأذكر واعياً أن الناس لم يرتاحوا إليه ، رأوا فى حركاته تصنعاً وافتعالا ، وفى حديثه عجباً وخيلاء ، وكلها فيما يرون أشياء لا تليق بالعلماء ، ولا تعكس ملامح وجهه شيئاً من نور الصالحين وتقاهم ، وبدا لهم كأنه يطل عليهم من عل ، فتركوه فرداً ضائعاً فى ضجيج المتزاحمين حول البنا ، وان أعطوه حق الضيافة كاملا .

ومن كيمان المطاعنة الى أصفون المطاعنة ، حل ضيفاً على عائلة فراج طايع ، وكان عميدها قد أمضى أعواماً يدرس فى الأزهر ، دون أن ينال شهادة ما ، على عادة الناس فى تلك الأيام ، وأصبح عضواً فى مجلس الشيوخ عن الدائرة ، بعد أن عهد إلى الشيخ محمد الأمير أن يقيم شعبة للإخوان فى القرية ، وكان هذا أيضاً قد درس عامين فى الأزهر ، ولم يكمل دراسته ، لأسباب خارجة عن ارادته ، واستعاض عن حرمانه هذا بأن أخذ على عاتقه تبعة حث الناس فى القرية على تعليم أبنائهم بإرسالهم إلى المدارس والمعاهد والكليات فى القاهرة ، ويصحبهم أحياناً بنفسه ، على ما فى ذلك من جهد ومشقة ، وصدق فى جهده .

## جولة فى الصعيد

وفى العام التالى ، فى شهر سبتمبر ١٩٣٩ ، جاء حسن البنا فى رحلة ثانية ، شملت الصعيد كله فى هذه المرة ، جاء يؤكد صلته بالناس ، ويدعم شعب الإخوان التى أقيمت ، وإذ توثقت علاقته بأهلى وقومى ، حاول أن يحل مشكلاتهم الاقتصادية والعائلية ، وأن يوجههم نحو الخير ، وأن يصرفهم عن بعض ما يقومون به من عادات ، يسمع بها ولم يرها ، كالثأر والتشاحن والعصبية القبلية ، وكان احتفاء الناس به كبيراً فى هذه المرة وقوبل باطلاق البنادق فى الهواء زيادة فى التكريم .

فى هذه المرة رأيته عن قرب أكثر ، فقد كبرت عاماً ، وازداد اهتمامى بمعرفته ، ولم يغير هو شيئاً فى برنامجه ، أو عباداته ، أو ملابسه ، غير أنه صحب شاباً أزهريا آخر ، ولازلت أذكر اسمه ، رغم أننى لم أره بعد هذه المرة أبداً ، هو الشيخ عبد المعز عبد الستار ، وكان طالباً فى كلية أصول الدين يومها فيما يقال ، وقد أحبه الناس بقريب مما أحبوا البنا ، فقد كان متواضعاً وقوراً ، يشيع الصلاح من وجهه ، «يغضي حياء ، ويغضى من مهابته» ، وكان البنا وصاحبه قد قدما الينا فى هذه المرة من أصفون المطاعنة ، فلما أنهيا اقامتهما غادرانا الى إسنا ، ليواصلا رحلتهما فى بقية مدن أعلى الصعيد .

## فى العاصمة .. قنا

فى العام التالى ذهبت الى قنا عاصمة المديرية ، تلميذاً فى معهدها الابتدائى ، وكانت مدينة منطفئة ، تبذل جهداً لكى تحصل فيها على صحيفة أو كتاب . وأمضيت عامى الأول صبياً غراً ، أسكن أطرافها ، دون أن أهبطها لغير السينما ليلة الجمعة من كل أسبوع ، فلم أعرف خلال عامى هذا من الحياة العامة فيها شيئاً . حتى إذا كان عامى التالى اتخذت سكنى فى شوارعها الرئيسى وبدأت أتعرف على نواحى النشاط فيها . فكنت أتردد من حين لآخر على جمعية الشبان المسلمين ، التى قصرت نشاطها على بعض المهرجانات الدينية ، فى المواسم المعتادة . مثل رأس السنة الهجرية ، والمولد النبوى ، وغزوة بدر ، وشيء من النشاط الرياضى ، وفى تلك الأيام كان الناس يتخذون من المناسبات الدينية وسيلة لتغذية الشعور العام ، وايقاظ روح الوطنية والنضال ، ضد المستعمر ، دون أن يستطيع منعهم أو التصدى لهم ، ويحضر مثل هذه الاحتفالات كبار الموظفين عادة ، وتلقى فيها خطبة رئيسية تعرض لتاريخ المناسبة ، وتحاول استخراج العظة ، وتحث المسلمين على استرداد مجدهم ، تتلوها قصائد يلقيها شعراء من أهل الاقليم عادة ، متوسطة الجودة فى خيرها ، تناجى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتبكى المجد الذاهب ، وتأسى على الماضى المفقود وتأمل فى غد أفضل حالا .



الشيخ محمد مصطفى المراغى : كان أحرص الناس على كرامته عالما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها

وكان المعهد الدينى يقيم بدوره حفلا فخيماً ، ويتميز بأن المدير نفسه ، وهو ما يعدل وظيفة المحافظ الآن ، يحضره بشخصه ، يصل برفقة شيخ المعهد ، ويسبقه هذا فى خطوه بوصفه رجل دين ، رغم أنه مرؤوس له بوصفه موظفاً طبقاً للوائح والقوانين ، وهو اعتداد كان الأزهر يومها يدين به لشيخه العظيم محمد مصطفى المراغى ، اذ كان من أحرص الناس على كرامته عالما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها شيخاً ، ولم يحن رأسه لحظة واحدة أمام أى مخلوق .

ولكن قنا الهادئة ، تحولت عام ١٩٤٠ الى مدينة صاخبة تضج بالحركة والجند والسـلاح والسيارات والمصفحات ، جنود من كل جنس ولون ، جاءوا من شتى أطراف الدنيا ، من بريطانيا ، والهند ، ودول أفريقية واستراليا وأوروبا ، وألوف من العمال المصريين معهم ، يتلقون أجوراً عالية ، ويعملون فى مد خطوط السكك الحديدية والكهرباء والماء بين قنا والقصير على البحر الأحمر ، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية قبل ذلك بعام ، وعانى الانجليز هزائم مريرة فى شمال مصر على الحدود الليبية ، وحصاراً عنيفاً فى البحر الأبيض المتوسط ، اذ سيطرت عليه الغواصات الألمانية والايطالية ، فأرادوا أن يتلقوا امداداتهم عن طريق البحر الأحمر ، وهو أكثر أمنا لهم ، ويتيح لهم الانسحاب بخسائر أقل فى حالة الهزيمة الكاملة .

وجاء الجنود معهم بكل الأمراض : الجريمة ، والسوق السوداء ، والسرقات ، وأزمة الاسكان ، والتضخم ، وقلة المواد التموينية ، والملاريا .

فى تلك الأيام أحسست ، وأنا على أبواب الشباب ، أن جمعية الشبان المسلمين مكان طيب لقضاء الوقت ، والتدرب على الخطابة ، ولكنها بلا غايات سياسية واضحة وصريحة ، وان تحرير الوطن لن يجيء عن طريقها . وكان منظر الجنود الأعاجم من كل الجنسيات والألوان سكارى فى آخر الليل يثيرنا ، ويلهب فى أعماقنا الحماسة والتمرد ، ويدفعنا إلى الاصطدام بهم دفعاً .

وساقتنى قدماى صدفة الى شعبة الاخوان المسلمين ، وكانت تشغل الدور الأرضى من عمارة فى ميدان المديرية ، وهو الرئيسى فى المدينة ، وتطل عليه مباشرة ، وتتكون من قاعة معدة للمحاضرات




● كان يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة على الدوام

● كان عفيف اللسان لا يخوض في سيرة أحد .. ولا يذكر أحداً بسوء حتى لو كان من أعدائه

● كان يردد دائماً قوله : نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه .. ويرحم بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه

تتحول الى مصلى فى أوقات الصلاة ، ومكتبا ، وغرفة ثالثة ، الى جانب المرافق . وانضممت إليها فى الحال وفى ذاكرتى صورة هذا الرجل العبقرى الذى رأيته فى ديواننا منذ عامين .

كان نشاط الاخوان المسلمين متنوعاً ، يشمل المحاضرات والدروس ، والتدريب على الخطابة ، والرحلات ، وكل ضروب التعاون على الخير ، والمنضمون إليها من المدرسين فى الثانوية والمعلمين ومن صغار الموظفين فى جملتهم ، وبعض طلاب المعهد الدينى ، أما أساتذة المعهد فآثروا أن يظلوا على الحياد وأن يقنعوا بالوعظ والخطابة فى جمعية الشبان المسلمين .

وفى ٢٠ مايو ١٩٤١ أصدر حسين سرى رئيس الوزراء قراراً بنقل حسن البنا من مدرسة عباس الأول الابتدائية بالقاهرة الى مدرسة قنا الابتدائية ، وكان ذلك مع نهاية العام الدراسى ، ولعله جاء ليتسلم العمل فقط ، ثم سافر ثانية ، لأننى لم أره فى هذا العام ، فقد كنت مشغولا بامتحاناتى أيضاً ، أما فى العام التالى ، وجاء مع بدئه ، فقد كنت الى جوار البنا جل وقتى .

## البنا معلماً

كان البنا نموذجاً فى دقته ، موظفاً على ذكاء شديد ، وقدرة فائقة فى تحويل المواقف لصالحه ، وحين جاءت الأوامر السرية لناظر المدرسة بأن يرهقه بالعمل ، فيوكل اليه أقصى قدر من الساعات ، والمدارس يومها تجرى على نظام اليوم الكامل ، من السابعة والنصف صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر ، لم يتململ البنا من هذا ، وكل ما هنالك أنه رغب فى أن يقوم بتدريس الخط العربى ، وسعدت المدرسة برغبته ، وسعد بها زملاؤه ، فقد كان المدرسون يهربون من هذه المادة ، لأنهم يرونها أدنى من غيرها ، ولعزوف الطلاب عنها ، واعتمادها على الموهبة وحدها ، وعدم اعتناء المفتشين بها ، فأعطوها له شاكرين !

أما البنا نفسه فكان يهدف من وراء هذه الرغبة الى غايتين ، أولاهما : أن الساعات المقررة للخط أسبوعياً ساعتان ، ومعنى هذا أنه سوف يدرس لكل تلاميذ المدرسة البالغ عددها ١٥ فصلا ، سوف يلتقى بكل هؤلاء الصغار ، وهم على أبواب الشباب ، فيصنع منهم الرجل الذى يريده لبلاده ، وهو ما حدث فعلا . فهذا المدرس البشوش ، المبتسم دائماً ، العطوف فى هدوء ، والحنون فى وقار ، جعل من حصة الخط شيئا جميلا ، يقبل عليها الصغار فرحين ، فهو يتباسط معهم فى القول ، ويحدثهم عن كثير من شئونهم ، ولا يبعد بهم عن عالمهم ، ويسألهم فى غير إحراج أو تأنيب : من الذى صلى منهم الصبح فيكافئه ويطريه ، ومن الذى يحفظ شيئاً من القرآن فيسمعه منه ويصحح له ، فاذا جاءت فسحة وسط النهار تواعد معهم على اللقاء فى مصلى المدرسة .

وبعد شهر واحد كان أحب الأساتذة الى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء ! .

أما الغاية الثانية فهو أن حصة الخط تنتهى بانقضاء وقتها ، فلا تصحيح بعدها ، ولا تحضير لها ، فيفيد بالقليل الذى تبقى له من اليوم وبقية الليل فى الدعوة ونشرها ، واكتساب أنصار لها ، وفى القراءة والعبادة .

كان البنا ينزل فى « لوكاندة الجبلاوى الجديدة » ، وهى أرقى فندق فى قنا على تلك الأيام ، ولا يزال مبناها قائماً الى يومنا ، وان تدهور حاله وعدا عليه الزمان ، وبرنامجه اليومى لايكاد يختلف ، يعود إليها مع الرابعة ليستريح قليلا ، ويغير ملابسه ، ثم يأتي الى شعبة الاخوان فيصلى المغرب جماعة بمن فيها ، صلاة وقورة خاشعة ، لا يطيل فيها فترهق ، ولا يجعل منها مجرد أداء واجب فيختصر ، وينصرف بعدها الى تصريف شئون الجماعة ، ولقاء الزوار ، أو زيارة من على موعد منهم من أهل البلد ، أو الهيئات الأخرى اسلامية ومسيحية ، ثم يعود الى صلاة العشاء ، وبعده يلقى درساً دينياً هو قراءة فى كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالى ، وكان يثنى عليه كثيراً ، وأول من لفت نظرنا إليه .

أما ليلة الجمعة ، فكان يعقب صلاة العشاء محاضرة عامة ، يأتيها الجمهور من كل أنحاء المدينة ، من المنتسبين الى الاخوان وغيرهم ، وتدور حول قضايا الساعة التى تهم الجماهير ، ولكنها تتخذ من الدين منطلقاً .

## قلب يعمره حب الناس والطبيعة

أتاح لى القرب من البنا على امتداد تلك الشهور القليلة أن أتبين فيه أشياء كثيرة : الذاكرة القوية ، فما رأيته مرة الا وسألنى عن أهلى بأسمائهم فرداً فرداً ، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة ، أو ذكرت أسماؤهم أمامه مرة واحدة ، وقدرته الفائقة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دواما ، وعفة لسانه ، فما رأيته مرة يخوض فى سيرة أحد ، أو يذكرشخصاً بسوء ، معارضاً أوعدواً ، وانما ينقد ما يراه من زيف وباطل ، أو خروج على قواعد الدين ، نقداً

موضوعياً . يشخص الداء ، ويصف العلاج ويأخذ بالأسباب أو يدعو إليها ، ويعلو على تناول الأشخاص ، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤالف ، ويردد باستمرار : « نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه ، ويرحم بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » .

ورأيته يسع بقلبه الناس جميعاً ، من يكبرونه سناً ، ومن يفوقونه في الوظائف درجات ، فضلا عمن دونه عمرا ومقاماً ، يهتم بأمرهم ، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب ، وفيما بعد سوف يضم المركز العام للاخوان المسلمين في القاهرة إدارة للعلاقات العامة مهمتها معاونة الاخوان على مستوى القطر المصرى أولا ، ثم العالم الاسلامى فيما بعد ، على حل مشكلاتهم اليومية والحياتية . ويحرص على أن يجمع الاخوان في أى مكان على الحب والود والتعاون . وأول ما يبدأ به أى خطبة له زائراً ، أن يذكر مستمعيه بأنه يحمل لهم تحيات الاخوان في المكان القادم منه .

وكان يشده جمال الطبيعة ، ومنظر النيل ، وغروب الشمس ، ومهابة الجبال ، ويرى فيها بديع صنع الله ، وما أكثر ما صحبنا في جولات ونزهات الى غابة قنا ، وكانت قد أنشئت في تلك الأيام على حافة المدينة ، فوق جزء من الصحراء ، وهناك نصلى المغرب ، لا يحد بصرنا جدران ، ولايعزلنا عن السماء ستار .

ولم تمض غير شهور قليلة حتى أحست انجلترا المستعمرة ، ولها في قنا قوات ومخابرات ، والحكومة المصرية التى كانت تتحرك في إطارها ، أن حسن البنا في الصعيد أخطر منه في القاهرة ، فهو يتحرك في مجال بكر مفتوح ، ويلتقى بأناس خلص ، لم تفسدهم الحضارة ، ولم تعرف الطراوة طريقها الى قلوبهم أو أبدانهم .فردته الى القاهرة من جديد .

وقبل أن يرحل البنا من قنا أراد أن يفيد من مكانته ، ومن حب الناس له ، وتعلقهم به ، فتمنى عليهم أن تكون دار الاخوان خاصة بهم وملكاً لهم ، وليست شقة مستأجرة في عمارة ، فانهالت التبرعات من كل طبقات السكان ، وبنوها في أفضل مكان من المدينة ، وضمت الكثير من المؤسسات العلمية والاجتماعية : قاعة محاضرات ، وعيادة ، ومكتبة ، ومصلى ، ونزلا للقادمين من الاخوان ، وأصبح أعضاؤها وروادها من خيرة موظفى المدينة ممن يعملون في الادارات المختلفة .

## بعض من عرفت

لازالت بعض الصور ثابتة في ذاكرتى ، وان نسيت بعض الأسماء ، أذكر الشيخ محمد عبدالظاهر ، وكان مأذوناً وصاحب مكتبة ، وحركة لا تهدأ وسوف يقضى حياته سجيناً في الهجمة على الاخوان المسلمين ، والفنان سعد الشاذلى ، وكان مصوراً موهوباً ، وخلقاً عطراً ،



صورة نادرة لحسن البنا الذى أضاف لثقافته الاسلامية ثقافة معاصرة بلا حدود

ومات في التعذيب ، ومستشاراً فاضلاً من رجال القضاء ، كان يجيئنا في الدار ، ويؤمنا في الصلاة ، ويفسر معنا بعض آى القرآن ، واذا بى اكتشف أنه يحفظ القرآن ، لا تند منه آية ، وكان محمد القرط المشرف على المجزر اذا صلى بنا المغرب أو العشاء يقرأ القرآن في عذوبة خاشعة يرق لها الصخر ، وطه عبد السلام لا يكلف بشيء الا قام به راضياً مهما يكن شاقاً ، وسوف يكون لحسين رشدى المدرس في صنايع قنا دور خطير سأعرض له فيما بعد ، وكان هناك أحمد السنهورى ، وظل وفياً لمبدئه حتى يومنا ، وابراهيم دهمش ، ولم يكمل رحلته في التعليم أو في الاخوان .

## في القاهرة

ولم يكد البنا يصل القاهرة ويستقر فيها حتى كشفت وزارة حسين سرى باشا عن نواياها ، فأغلقت مطبوعاتهم وتمالك الاخوان أعصابهم دون أن يداخلهم خوف أو رعب.وفي تلك الأيام ، ولعلها كانت أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، سوف يهبط قنا في القطار الذى يصلها في السابعة مساء مع أول الليل ، وافد من القاهرة هو المناضل التقى المضحى المرحوم الأستاذ صالح عشماوى ، والتقى بالاخوان بعيداً عن عيون الحكومة والانجليز ، في فيلا تقع على هامش المدينة ، صلى فيها الاخوان العشاء ، وتذاكروا أمورهم ، وحمل اليهم القرارات : لا نستفز الحكومة ، ولكن اذا دعت الحال سوف نواجهها ومن وراءها ، ومع الفجر عاد الى المحطة ،وأخذ القطار الذى يغادرها فجراً ، دون أن يحس به أحد .

وأذكر أننا بعدها تدارسنا كيف نواجه الانجليز في كل مواقع المدينة الهامة ، مراكز تجمع الكهرباء والهاتف ، وكيف يمكن أن نقطعها في دقائق فنعزل المدينة ، ونغرقها في الظلام ، ومن يقوم بهذه المهمة وكيف ، وجاءنا العاملون في الادارات المتصلة بهذه الخدمات بالخرائط كاملة ، وتولى حسين رشدى تدريبنا على طريقة فصل الكهرباء في مجمعاتها دون أن نصاب بأذى ، ودرسنا تجمعات القوات البريطانية ، ومخازن سلاحها ، وكيفية مواجهتها اذا هى تدخلت ، ولا أدرى ما الذى كان يحدث في القاهرة يومها ، ولكن لم تمض غير أيام قليلة حتى أفرج عن حسن البنا . وألغى قرارحل الاخوان ومنع اجتماعاتهم ، فعادوا يمارسون نشاطهم بأقوى مما كان بعد أن اكتسبوا شعبية هائلة .

ورغم نشاط الاخوان المتسع في قنا الا أن الدراسة في المعهد لم تكن مفيدة أو حتى مسلية ، فقد كان مستوى المدرسين هابطاً ، ومعلوماتهم التربوية منعدمة ، وليس لهم تخصص محدد يعنون به ، وكل مدرس يدرس كل شيء ، والحياة الثقافية في المدينة متخلفة ، وفي تلك الأيام جاء المعهد معيناً جديداً الشيخ كامل عجلان ، وكان صحفياً أدبياً ، فزلزل بأسلوبه وطريقته في الحياة والتعامل والفهم ما جمد من أفكارنا ، وحثنى على ترك هذا الجو الخانق ، وهكذا قررت أن أرحل الى القاهرة ، وأن أقضى مرحلة التعليم الثانوى فيها .

في ٩ أكتوبر ١٩٤٤ وصلت القاهرة ، وهى تموج بالمظاهرات من كل شكل ولون ، فقد أقيلت وزارة الوفد بعد صراع مرير مع القصر الملكى ، وجاء فاروق بأحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء ، فحل البرلمان ، وبدأ يختط سياسة يمثل رأى فاروق مركز الثقل فيها .

وابتلعتنى القاهرة بصخبها ، ومظاهراتها الطلابية التى لم تكن تتوقف ، وندواتها الثقافية العديدة ، في الجمعيات ، والنقابات ، والجامعات ، وبعضها كنا نحضره مقابل ثمن يعدل ثمن تذكرة السينما ، وهكذا احتجت لبعض الوقت لكى تعرف قدمى طريقها الى المركز العام لجماعة الاخوان المسلمين ، وكان يقع في أهم ميدان من الحلمية الجديدة ، وتجيء في وسط القاهرة تماماً ، وكانت في مطلع هذا القرن مسكن علية القوم .

كان للاخوان في الميدان داران ، احداهما قديمة متواضعة ، من طابقين ، شغلها المركز العام زمناً ، وتحتلها جريدة الاخوان ، والثانية قصر منيف ، اشتراه الاخوان حديثاً ، من تبرعات عمت القطر المصرى كله لهذا المقر ولاصدار الصحيفة اليومية . وشارك فيها المواطنون من كل الطبقات ، الأغنياء



# حسن البنا كما عرفته

والفقراء ، المثقفون والعمال الرجال والنساء والأطفال ، بما يملكون من مدخرات بسيطة أو جواهر وحلى ، وفى القاعة العربية من هذا القصر ، وكانت بالغة الفخامة والروعة ، رأيت حسن البنا للمرة الأولى فى القاهرة ، وحوله حشد من الناس ، يسلمون على الجمهور إثر اجتماع حافل من الاجتماعات التى كانت تقام لنصرة قضية فلسطين ، وعرفت بينهم للوهلة الأولى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وآخرين لم أعرف منهم أحداً .

وانتظرت حتى انتهت الجموع ، فتقدمت إليه ، تذكرنى فى الحال ، ورحب بى ، وسألنى كالعادة عن أهلى ، فرداً فرداً ، وعن حالى وسكنى ودراستى ، وأن يرانى من حين لآخر ، وبدأت أتردد على المركز العام ، وعرفت أن الأستاذ المرشد ، وكان هذا لقب البنا ، يلقى كل ثلاثاء حديثاً ، يبدأ عقب صلاة العشاء ، ويمتد حسب الظروف ، ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات ، وتتدفق الجماهير لسماعه من كل أنحاء القاهرة ، ومن المدن والقرى القريبة ، وتملأ ساحة القصر والميدان ، وتشغل الشوارع التى أمامها ، يحملون مقاعدهم ، احتراساً ، أو يقفون على أقدامهم ، فى انتظار أن يسمعوا هذا الرجل الملهم ، انه يعرف فى بلاغة لا نظير لها ، عمادها الصدق أولاً ، كيف يأخذ طريقه الى قلوب الجماهير ، وكان الحديث متنوعاً ، فى الدين والسياسة ، والاقتصاد والاجتماع ، وكل ما يمس الحياة ، وفى نهاية المحاضرة يتقدم إليه جمهور المستمعين بما يرون استيضاحه ، ولأن أعدادهم تمتد الى نصف كيلومتر تقريباً ، فهم يكتبونها فى أوراق يسلمها المرء لمن أمامه حتى تبلغ البنا فى النهاية ، ثم تأتيه الاجابة عليها علانية ، عبر مكبرات الصوت ، مهما كانت خطورة السؤال .

## ثقافته الجامعة

أوتى حسن البنا جوامع الكلم ، وكان خير من يطبق القاعدة البلاغية القديمة : لكل مقام مقال ، فعنده حديث لكل مستوى ، ولمشكلات كل لحظة ، وهو يملك ناصية اللغة ، معجماً وقواعد ، ويحفظ القرآن كله ، ويلم بالحديث فى مجمله ، ويدرك أسرارهما واعياً ، ويستخدم ذلك كله فى مهارة ، الى ثقافة معاصرة بلا حدود ، يحار المرء معها : كيف وأين ومتى حصلها ، فهى لا تقف عند الثقافة الاسلامية وحدها ، وانما تتجاوزها الى



اسماعيل صدقى



حسين سرى

الصراعات العالمية ، السياسية والمذهبية ، والاجتماعية ، والمنجزات الاجتماعية على امتداد العالم كله ، الى شجاعة فائقة ، غير متهورة ولا مترددة .

فى حديث منها جاءه سؤال عما يقال من أموال دفعها اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء للاخوان كى يستميلهم الى سياسته ، فكان رده : أولا ، المنطق أن على من اتهم أن يثبت ، فالبينة على من ادعى ، فاذا لج فى الخصام ، فدعوه وأمره ، وقولوا له : ليكن ما تقول ، فان صدقى لم يدفع من جيبه ، والاخوان لا ينفقون جماعة فى غير ما ترون وما تعرفون من المؤسسات الاسلامية ، وهم قبل ذلك ومن بعد ، لا يحيدون عن دعوتهم ولا منهجهم قيد أنملة ، ولو بملء الأرض ذهبا .

وكان هناك حديث آخر أقل شهرة ، عرف باسم « حديث الخميس » ، لطلاب الجامعة ومن فى مستواهم ، وهو الى الحوار والبحث أقرب منه الى العرض والوعظ ، ويدور حول موضوع واحد ، وقضية محددة ، يتدارسها المجتمعون وهو اتجاه لم يعمر طويلا ، لأن صاحبه سوف يغيب عن الحياة بعد قليل .

وذات يوم جاء القاهرة قريب لى ، هو الشيخ محمد الأمير ، ومعرفته بالبنا وثيقة ، فذهبنا لرؤياه فى المركز العام ، ولأن الرجل كان مشغولا ، فقد ضرب لنا موعداً فى بيته فى صباح اليوم التالى ، فى الساعة التاسعة صباحاً .

وفى الموعد المحدد ذهبنا إليه ، كان يسكن فى الحلمية أيضاً ، على مقربة من المركز العام فى سكة سنجر الخازن ، فى الطابق فوق الأرضى ، من بيوت القاهرة القديمة ، فقابلنا فى غرفة الاستقبال ، وتفتح على السلم مباشرة كعادة البيوت فى تلك الأيام . وفى صمت رحت أتأمل بيت الرجل الذى يهز مشاعر الألوف حين يتحدث ، ويلتف حوله المجاهدون العرب ، وتتعلق به آمال المواطنين فاذا به غاية فى البساطة ، تشغل المكتبة جدارين منه وفى جانب آخر مكتب متواضع ، وأمامه كرسيا خيزران ، جلسنا عليهما ، على حين جلس هو على مكتبه ، وجاء الشاى لنا جميعا ، ودار بينهما حديث عن الناس فى الصعيد ، وعن تنظيم شعب الجماعة فى قراه ، وعن رعاية أبنائهم الوافدين للتعليم فى القاهرة ..

لم تكن جماعة الاخوان يومها مجرد تجمع دينى أو سياسى ، أو هما معاً ، وانما قوة ظاهرة ، تسيطر على الشارع والمصنع والجامعة ، ويحكم حركتها نظام دقيق وتوجه أمورها إدارات متخصصة ، وهى أول مؤسسة فى مصر اهتمت بالعالمين العربى والاسلامى باطراد ، وفى ضوء منهج محكم ، وأقامت لذلك إدارة متخصصة تتتبع مشاغله وهيئاته ، وتغذى كفاحه بما تستطيع .

## انسجام الفكر والموقف

وفى تلك الأيام استقال حسن البنا من عمله مدرساً للغة العربية بالتعليم الابتدائى ، دون معاش ، ليعطى كل وقته لشئون الدعوة ، وحتى يواجه بنفسه متطلبات حياته المتواضعة ، أصدر مجلة « المسلمون » المتخصصة ، امتيازها له ، ويكتب فيها ، ويعاونه نخبة من أفاضل العلماء والباحثين ، ويأخذ من فائض دخلها ما يعينه على العيش دون زيادة .

كان البنا كما رأيته نموذجاً لا يتكرر بسهولة ، سلوكه ينسجم مع فكره ومواقفه تتفق وما يدعو إليه ، وشغل حبى له وايمانى به قائداً ملهماً الجانب الأكبر من تفكيرى يومها ، وكنت أرى فى المرحوم صالح عشماوي ، ورئيس تحرير مجلة النذير ثم الدعوة من بعد ، صورة قريبة من البنا وان لم يوهب بلاغته وانطلاقه وحكمته ، فقد كان التفانى مجسماً ، والاخلاص بشراً يتحرك على الأرض .

على أن شاباً فى مثل سنى ، لم يكن يومها يساق بما يعرف فحسب ، لأن ما يعرف لا شىء فى الحقيقة ، وانما يستجيب أيضاً لنبض القلب ، وأمور القلب لا تخضع دواماً لحكم العقل ، ومن ثم




ابراهيم عبد الهادى



أحمد ماهر

لم أكن ، على بساطة تجربتى وتفاهتها راضياً عن مواقف عدد من كبار الاخوان .

## اثنان نفر منهما قلبى

رأيت أحمد السكرى وكيل الاخوان ، ورئيس تحرير الجريدة اليومية فلم ترتح نفسى إليه ، دون تعامل معه ، وقد كتب يوماً فى صدر الصحيفة أنه استقال من وظيفته ليتفرغ لشئون الدعوة ، ويعطيها والصحيفة كل وقته . وكان ذلك صحيحاً فى جانب منه ، أما الجانب الآخر فهو أنه ترك وظيفة فى الدرجة السابعة ، ومرتبها يومها لا يعدو عشرة جنيهات ، وأخذ راتباً فى صحيفة الاخوان يبلغ مئة وخمسين جنيها ، وهو الراتب الذى كانت تدفعه كبريات الصحف يومها لرؤساء تحريرها ، وهم موظفون مهنيون ، لا يزعمون أنهم أصحاب دعوة ولا متفرغين لها ، وساعتها أحسست أن فى الأمر خداعاً لآلاف البسطاء من الاخوان الذين أسهموا فى جريدة مبدأ ، ليس غايتها الربح ، وواقعاً لن تربح شيئاً ، وانما أرادوها سلاحاً فى النضال من أجل ما يؤمنون به ، وتمنيت يومها لو اكتفى بما يعينه على مواجهة مطالب العيش ، خصوصاً وأن الحياة كانت سهلة ميسرة ، وأن راتب الوظيفة التى تركها كان بسيطاً ومحدوداً .

كذلك نفر قلبى من « أ . ح » بعد لقائين ، اذ رأيت فيه عجباً وتصنعاً لا يتفقان مع خلق المؤمن القوى ، ثم خبرته مدرساً فى معهد القاهرة لا يلتزم بوقت الدرس ، واذا التزم به لا يقوم بمهمته مدرساً ، وانما يحدثنا عن أمجاده ، فى قيادة المظاهرات الأزهرية لاسقاط الشيخ الظواهرى ، والمناداة بالامام المراغى شيخاً للأزهر ، وأشياء أخرى من لغو الحياة وباطلها ، وأسفت أن يكون مثله عضوا بارزاً فى جماعة الاخوان المسلمين .

## تدخل بريطانى سافر

كان الاخوان المسلمون فى السنوات التالية لانهاء الحرب يمثلون قوة رهيبة وثقلا سياسياً ملحوظاً فى الشارع المصرى ، ولا يمكن تجاهله ، ويدفعون الجماهير ويقودونها ، للمطالبة باجلاء الانجليز ، ولعبوا دوراً قتاليا بارزاً ، وبالغ الأهمية ، فى حرب فلسطين الأولى ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ . وفى نوفمبر من العام نفسه ، عقد قناصل انجلترا وفرنسا وأمريكا اجتماعاً فى قرية فايد ، وكانت تحتلها القوات البريطانية الى جانب ضفتى قناة السويس على امتدادها ، وكلفوا السفير البريطانى أن يطلب من النقراشى باشا رئيس وزراء مصر اصدار قرار بحل جماعة الاخوان المسلمين . وأرسل جورج أوبرايان السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، ومقره فايد أيضاً ، خطاباً الى إدارة المخابرات التابعة للقوات البريطانية فى مصر وشرقى البحر الأبيض المتوسط يخطرها بما دار فى الاجتماع ، والنتيجة التى انتهى إليها ، وأن السفارة البريطانية فى القاهرة سوف تتخذ الاجراءات اللازمة لحل جمعية الاخوان المسلمين .

وجاء الرد سريعا ، بعد أسبوعين تقريباً من هذا الاجتماع ، ففى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشى باشا بوصفه حاكماً عسكرياً عاماً أمراً بحل جماعة الاخوان المسلمين ، ومصادرة شعبها وممتلكاتها وكل مؤسساتها وأموالها ، وتعطيل صحفها ، واعتقال الألوف من أعضائها .

وحاول حسن البنا أن يلتقى مع رئيس الوزراء على حل ، فلم يكن راغباً فى المواجهة ، ومع أن قوة الاخوان المسلمين وما أفادوه من تجارب قتالية فى حرب فلسطين يجعل منهم قوة قادرة على مواجهة الحكومة ، والانتصار عليها ، الا أن الرجل كان يعرف ويعى جيداً ، أن أكثر من مئة ألف جندى بريطانى يعسكرون فى منطقة القناة ، فى انتظار الفرصة المواتية ، ومتأهبين لاحتلال مصر من جديد ، وبذلك يئدون النهضة الوليدة فى فجرها ، لم يرد لمأساة أحمد عرابى أن تتكرر ثانية ! غير أن النقراشى كان حريصاً على أن يظل فى الحكم ، وبقاؤه فيه مرتبط برضى فاروق والانجليز عنه ، فركب رأسه ، وأصم أذنيه عن أية وساطة أو محاولة إيجاد حل ، وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، أى بعد عشرين يوماً من قرار الحل ، أطلق طالب فى كلية الطب البيطرى الرصاص عليه ، أثناء دخوله وزارة الداخلية ، بعد أن تخفى الطالب فى زى ضابط شرطةفأرداه قتيلا .

## حادثة ١٢ فبراير ١٩٤٤

وجاء ابراهيم عبد الهادى ضعيفاً خانعاً ، مضطرباً حريصاً على الحياة ، وأصبح رئيساً للوزراء بعد أن كان رئيساً للديوان الملكى ، وأغرق مصر فى موجة من الاعتقالات والمحاكمات العسكرية ، بلا تحقيق ولا تثبت ، وعرفت مصر لأول مرة فى تاريخها الحديث تعذيب المعتقلين على نحو بشع ، وهناك أكثر من جهة يهمها أن تتخلص من المرشد العام للاخوان المسلمين ، وعلى رأسهم فاروق ، ولم ينس أن مصر دفعت بقوتين فى حرب فلسطين ، الجيش المصرى ويتلقى أوامره من فاروق الذى كان قائده الأعلى ، وكتائب الاخوان المسلمين وتتلقى أوامرها من حسن البنا ، وإنها أرقى تدريباً ، وأحسن تسليحاً ، وأشد فعالية وقابلية للتضحية والفداء ، وأنها لم تهزم فى معركة ، فبات يخشاهم من قلبه ، ومعه الانجليز ، والصهيونية نفسها بعد أن خبرت شبابهم فى القتال ، فتجمعوا كلهم ، ودفعوا بحكومة ابراهيم عبد الهادى نفسها لاغتيال حسن البنا فى يوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤٩ ، فى الساعة الثامنة مساء ، ومع أنه تمالك نفسه ، وتزل من سيارة الأجرة التى كان يستقلها ، واتجه الى هاتف جمعية الشبان المسلمين حيث كان هناك ، وأدار رقمين من مكالمة حاول أن يطلبها قبل أن يغمى عليه ، الا أنه نقل الى مبنى الاسعاف على بعد دقائق ، ثم الى قصر العينى ، وهناك أجهزوا عليه تماماً .

رحمه الله .

فى صبيحة اليوم التالى كنت أقف فى نافذة البيت الذى أسكنه فى ميدان السيدة عائشة ، وبه يمر الطريق الى مقابر الامام الشافعى ، فرأيت سيارة الموتى ، تطوقها قوات ضخمة من الشرطة مدججة بالسلاح ، وتتبعها عربات مصفحة تنطلق بسرعة ، لا أحد أمامها غير العسكريين ، ولا معها ولا وراءها ، ولم يخالجنى أدنى شك فى أنها تحمل جثمان الشهيد .

ولم أبك ، فقد جف الدمع فى عينى ، وتوزعتنى هموم غامرة ، عما سوف ينتهى اليه وطنى فى مستقبله القريب والبعيد ، ثم قرأت على روحه الفاتحة !

**الطاهر أحمد مكى**

# المكان

## شعر: حلمي سالم

في الميدان الشجوج لحته :
كان هو الهائم نفسه .
كان هو الناحل نفسه .
فندهته .
انخرط بعتمة درب
كنت شبكت على شجرته أسمائي ،
وشبكته .
انخرط على غبشته
فتبعته
اصطدمت رئتانا
فعرفته :
كان الشج عميقاً بين العينين .

* * *

حين انحرف على صدري
ليقول : اذهب لترى الكون يفيض على شباك الأكوان
بنثار غموض الياقوت
لم يكن يعرف أن دمائي في رؤياي ،
أن ثقوب حياتي حدقات تبصر لـتموت .
والمشهد : جسمان بجُثمان .

* * *

ليت المكان كان رقعةً ، ولا زمان
ليت المكان كان جغرافيا ، بلا ضلوع .
ليت المكان كان دميةً
بلا تواريخ لانجراح وردة تضوع .
ليت المكان كان لا مكان

حين انحرف على صدري
كان يرى الكون اتكأ على أهدابي
كان يرى الأمكنة ، الأمكنة وقد صارت سكينا
في جلبابي .
صرخ : الأمكنة استشرت في شريان قتيلي .
وأنا من تحت الأبنية همست :
الأمكنة هنيهاتي ،
والطرقات سماي .

* * *

في الميدان المتخفي عن جسمي
أبصرته
كان يعبئ ميداني في جمجمته
كان يرتب أوردة صباه على قلبي
فعرفته :
كان زماني المغدورَ وقد صار مكانا .

* * *

وعلى العتمة رئتان
ونزيف حي
لدم مفتضح
ينحدر على الجدران
إلى أعلى .




الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة







بقلم: الدكتور محمد عوض محمد

... وفى ذلك اليوم ذهبت بصديقى إلى ملعب الكرة، لم أذهب به إلى دور العلم أو إلى حلقات الأدب ، حيث ينصت إلى لجاج العلماء ، وحوار الأدباء ، فلقد طعم من هذا الغذاء الدسم الشهر كله : وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشرعة ، وبين الأريكة والسرير ، وبين الفنون الرفيعة والغليظة ، وبين الفتوة والمروءة ، وبين الكوفة والبصرة ، وبين المستشرقين والمستغربين ...

• • •

انتزعتك ياصديقى من بين هذا كله . فلعمرى لقد آن لك أن تمسح عن جبينك المجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقه ، وأن تزيل عن عينيك ما علق بهما من قذى البحث العميق ، عن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق : ذلك البحث الذى طالما ما أضناك وأذواك : ثم عدت منه صفر اليدين ، أو رجعت بشيء زهيد لا يطفئ غلة ، ولا يغنى من جوع .

فتعال اليوم نتبوأ هذا المقعد العالى ، ونشرف منه على هذا الميدان الفسيح ، كما يشرف النسر من ذروة الطود . ولنرقب ما يجرى بين أيدينا من الحوادث الجسام ... أراك تبتسم ابتسامة الشك أو الانكار ، كأنما تظن أن ما يجرى هنا ليس إلا ضرباً من العبث أو اللهو ؛ فلا وأبيك لن تبرح حتى تشهد فى هذا الملعب من دروس الحكمة ومن عبر الحياة ، ومن المعانى البديعة العميقة ، ما لم تجده بعد فى الكثير من أسفار أصحابك الخالدين ...

وها هم أولاء اللاعبون قد أقبلوا ، فدوى رعد الهتاف والتصفيق ، أرأيت هذه الأجسام الفتية التى أفعمت صحة وقوة ، والتى لا تكاد تستقر فى مكان مما بها من نشاط ومرح ، ولكنها قد تثبت فى موقفها حينا فكأنها الجبال الرواسى . ثم تنقض على الأثر كأنها صخور تهوى من قمة طود ؛ أو تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسى . وهى بعد هذا كله لا تشكو كلالا ولا ملالا ، كأنما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يغيض . إن هذه السيقان التى تراها تحمل تلك الاجسام ، ما نمت هذا النمو ولا اكتسبت تلك القوى فى يوم أو بعض يوم .. بل هى ثمار المران الطويل شهوراً وسنين . وليس من هؤلاء



# في ملعب الكرة

الفتيان من لم يأخذ نفسه بأنواع من الجد والدأب وبالحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كى يبلغ هذه المرتبة العالية من القوة ومن الرشاقة ، ومن جمال الفتوة ، والرجولة الصحيحة .

حدثنى بالله ! الا ترى فى النظر إلى هذه الأجسام القوية الفتية متعة للنفس وللحس ، بعد الذى شاهدته من تلك الأجساد المترهلة ومن تلك البطون الناتئة ، والليات المترامية على الصدور ، والأقفاء المطوية فى ثنايا عديدة ، مديدة والسيقان الغلاظ التى لا تستطيع المضى ميلا أو بعض ميل . ألا أن عيوننا لتقذى برؤية هؤلاء الأسبوع كله . فلينعم طرفنا اليوم بمنظر الصحة الدافقة والقوة الباهرة .. بعد هذا فلتضف فصلا جديدا إلى كتاب الفتوة ، فصلا تبنيه على المشاهدة والعيان لا على الأخبار والأقوال ...

ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيان فأحسنت تأديبهم ... أنظر اليهم كيف تركوا ضيوفهم يسبقونهم إلى الملعب . وفى إثرهم ينزل أصحاب الدار على مهل ، كأنما يمشون على استحياء . وهم على هذا كله خصوم ، ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا لين . ولا محاباة فيها ولا مداراة : معركة سيبوء فيها الضعيف بالخزى والخسران ، ويرقى النصر بالمنتصرين إلى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هى بيت القصيد . وأن فى صورها العديدة لما ينشرح له الصدور وتطمئن القلوب ... فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافآ فى العدة ، وتماثلا فى العدد . فلن يكون الفوز فيها إلا للجد والجلد ، للبراعة والأقدام ... ونحن فى عالم طالما نشهد فيه تألب الأقوياء على الضعفاء ، وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التى تزهى بعدتها وعديدها ، ويحلو لها أن تمعن فى الجور وتسرف فى العدوان . فما أسعدنا اليوم إذ نتناسى ذكر هؤلاء حينا ، لكى تنعم أبصارنا بشهود معركة نظيفة بريئة بين أكفاء وأنداد ...

أجل ، وأنك لتهتز طربا إذ ترى هذه المعركة تدور رحاها بين يديك فى وضح النهار . معركة ليس فيها خفاء ولا لبس . الميدان كله أمام أعيننا — من أدناه إلى أقصاه — نتأمل كل ما يجرى فيه ولا يخفى علينا من أمره شيء ... فلننس الآن — ونحن ننظر إلى هذه الحرب الطاهرة — تلك المعارك الغريبة المريبة ، التى تدبر فى الخفاء وتنمو فى الظلام ، وتنصب فيها الحبائل ، ويشتد فيها الكيد ، ويتناسى فيها الشرف ، وتحنث فيها الايمان ، وتخان فيها العهود . والتى لا يحلو فيها الطعن إلا على غرة ، ولا يتحارب فيها إلا بأسلحة الجبن ... هذه — ويا للاسف ! — معارك قد امتلأت بها حياة الناس فلنستعن على نسيانها الساعة بهذه المعركة النبيلة ، التى بين أيدينا ، والتى تبدأ جهاراً ، وتجرى جهاراً ، وتنتهى جهاراً ... وعلى كل لاعب رقباء من هذه الآلاف المؤلفة ، التى احتشدت اليوم لكى ترقب حركات كل لاعب وسكناته . والويل لمن يحيد عن الصواب لمحة العين ، فيستثير من آلاف الأفواه صيحات الانكار والاستهجان .

أجل وإن لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطا قد نصت عليها قوانين مقدسة الرعاية ، ولن ترى فى العالم كله قانونا ينفذ فى شدة وصرامة ، وفى قوة وحزم ، كما ينفذ هذا القانون ، الذى ليس فى تنفيذه تسويف ولا ( تأجيل ) . بل سرعان ما يلقى الآثم جزاء اثمه ، قبل أن يتحول عن مكانه ، وهاهنا الحكم النزيه اليقظ الذى يحصى الصغيرة والكبيرة ، ولا يعرف المحاباة ولا المداراة .. فإذا كنت — يا صديقى — ! قد أهمك وأحزنك أن رأيت العدل يصرع والقانون يداس بالنعال فى مشارق الأرض ومغاربها ، فلتسر الهموم عن نفسك برؤية هذا الحكم العدل ، الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، والذى يرى القوى المدل بقوته ضعيفا عاجزاً ، حتى يقتص منه ويرده إلى جادة الصواب .

والآن ، ألست تراك شديد الاعجاب بما تراه الساعة فى الفريقين من عزمة وثبات ودأب لبلوغ الغاية ، ومضى لما وطنوا النفس عليه . فلقد يخطئون الهدف المرة بعد المرة . من بعد ما أجهدوا قواهم سعيا وطلبا . ولكنهم يعودون بعد الاخفاق إلى السعى والعدو ، لا تنيهم العقبات إلا ريثما يتأهبون لاجتيازها . ولا يرتدون لحظة الا ليأخذوا العدة للتقدم . وكأنما لا يعرفون طعم اليأس ، ولا يؤثر فيهم الاخفاق ، فهم أبداً كموج البحر لا يتراجع إلا ليندفع ، ولا يضعف إلا ليشتد .

وها قد انقضت الساعتان كأنهما لحظتان . فى وسعك الآن أن ترجع إلى أسفارك وأخبارك ، ونحوك وصرفك . وأحسبك الآن قد آمنت أن هذا الميدان البرئ لا يخلو من الحكمة والموعظة الحسنة . أجل وأنك لتحدثك نفسك الساعة بمثل الذى تحدثنى به نفسى ليت لعب الحياة كان جداً ، وياليت جدها كان لعبا !

**محمد عوض محمد**

**١٩٣٤**



## شخصية أدبية طريفة

# أحمد أبو الفرج الدمنهوري
# الضاحك المضحك

بقلم: أحمد تيمور

أحمد تيمور «باشا» «١٨٧١ ــ ١٩٣٠» عالم وأديب من أعظم علماء العرب وأدبائهم فى الجيل الماضى وهو والد الكاتبين المعروفين محمود تيمور ومحمد تيمور وهذا الفصل الطريف تم نشره بعد وفاته.

أحمد أبو الفرج الدمنهورى الشاعر الأديب، ظريف الجملة والتفصيل، حلو النادرة والفكاهة، انجذبت إليه النفوس وألفته القلوب على دمامته وغرابة شكله. ولد بدمنهور ونشأ بها فى ضنك وحرقة حال، ولم يكن مشتغلاً بالأدب فى أول أمره، ثم لازم الشيخ محمداً الوكيل القبانى أحد أدباء دمنهور المشهورين وعليه تخرج فى النظم، وصحب أيضاً الشيخ حميده الدفراوى، وهو أديب لكنه لا يبلغ درجة الوكيل. ولم يحضر المترجم العلم على شيخ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلا ولا نهاراً فيكتب عنه كل ما يسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره. أخبرنى ثقة أنه اجتمع بدمنهور حوالى سنة ١٢٨٥ فرآه شاباً نيف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع لا يستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلاً.



ثم نظر المترجم فى كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأ ينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات، إلا أنه كان قليل الاجادة كثير الخطأ واللحن، يتكلف التجنيس والتورية، وأحسن شعره ما نظمه فى المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار. وكان حضوره إلى القاهرة صحبة الوكيل، فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة، وهى إذ ذاك غاصة بالأدباء وفى الناس بقية، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر، ويراسلونه إذا غاب، فحسنت حاله قليلاً بما كان يناله من هباتهم. ثم اتصل بشاهين باشا كنج فى طندتا لما كان مفتشاً على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم فى حلبة ندمائه، واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغاً وافراً اشترى به عقاراً ورمم داره بدمنهور. واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله أفندى نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقيم عنده الأيام والأشهر يجتمع فى أثنائها بغيره من الكبراء وذوى الوجاهة فيهدى إليهم مدائحه ويتحفهم بطرائفه.

وكان على قلة إجادته فى شعره مفتوناً به مبالغاً فى تقريظه وقت انشاده، يمزج ذلك باشارات وحركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه فى النظم. ولعمرى لا أرى عبارة تفى بوصفه ووصف حركاته عند الانشاد وقيامه وقعوده والتفاته واستدعائه الحاضرين إلى استماعه. فانه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولاً بتقريظها ونبه الحاضرين إلى مواضع الاجادة منها، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعاً خبيئة رأيهم فيه، واستحلفهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله فى عمرهم، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة المبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين، ثم يمضى فى

شخصية أدبية طريفة

# أحمد أبو الفرج الدمنهوري
## الضاحك المضحك

البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكر ، ويقول سبحان المانح ! كم ترك الأول للآخر ! وأمثال هذه الجمل التى اشتهرت عنه وصارت من لوازمه ، ثم يمضى فى الانشاد ، فاذا مر بتجنيس أو تورية وثب من موضعه وتمايل طرباً ، ثم نظر للحاضرين وقال لهم اسمعوا من الفتى العربى اللعوب ، تف على المتنبى وسحقاً له ، أين له السلاسة والسهولة ؟ وهكذا حتى يتم القصيدة ، فان رأى من السامعين استحساناً تمادى فى غلوائه وأعجب وأطرب ، وربما عارضه بعض من يحضره استجلاباً لطرائفه واستئناساً بمحاورته ، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة . بلغنى أنه حضر مرة مجلساً جمع لفيفاً من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ فى استحسانها كعادته ، وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها ، فانتدب له صديقنا العالم الفاضل ، والشاعر المجيد ، الشيخ عبد الرحمن قراعة مداعباً ، وقال له أخطأت فى بيت منها فأدخلت حرفاً على حرف وهو مما لا يجوزه النحاة ، فاما أن تسقطها أو تأتينا بشاهد على صحة قولك ، ووافقه الحاضرون ومالوا معه على المترجم ، فنكس رأسه هنيهة ، ثم نظر إليهم كالمتعجب وقال ياليت قومى يعلمون !

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبى البقاء الزرقانى ، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه ، ويعرض للشيخ ما يشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الالحاح عليه بترك ما هو فيه والاصاخة إليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة ، ولكن لا يكاد الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه نادرة ينقلب لها المجلس ضحكاً ، فكان يقول فيه إن أبا الفرج عندى مشكلة من المشاكل لا أدرى أهو ثقيل أم ظريف .

وكان أول اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به وأشتاق رؤيته فرأيت عجباً : رأيت شيخاً قصيراً دميم الوجه قد ذهبت احدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام وهو جالس فى زاوية من المكان يملى على شخص حسن الخط دالية من الطويل منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو محمد توفيق باشا بقدومه من الاسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت والاعجاب به على ما تقدم ذكره للالتفات إليه ، ثم مر ببيت قافيته لفظة ( ومعضداً ) فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المتعضد بالله فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى أضجره ورمى الدرج من يده ، فغلبنى الضحك واستطرفته وقصدت محادثته ، فقلت لعل سيدى الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبى الطيب التى يقول فى مطلعها :

لـكل امرئ من دهره ماتعودا
وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

فسكت ثم نظر الى شزراً ولم يردني على قوله : تف على المتنبى . فاستغربت فى الضحك وسألت عنه بعض الحاضرين فخبرنى به فكدت أطير سروراً بلقائه ، وأقبلت عليه أمدح القصيدة وأذكر مواضع الاجادة فيها وأستعيدها منه ، فأبرقت أسرته وأقبل على أيما إقبال وأسمعنى بعض مقطعات من شعره ، فقلت له : أما كان الأولى بهذه اللآلئ أن تنظم فى سمط ؟ فقال نعم ياسيدى إنى مهتم بذلك وسيكون ديواناً مرقصاً . وامتد بنا المجلس فرأيت منه ما لو أردت إثباته برمته لطال بنا المقال . ثم فارقته وأنا أشوق الناس إليه ، وكأنى به أحد أبناء المنجم الذين ذكرهم الثعالبى فى اليتيمة وأورد فصولاً للصاحب بن عباد فى وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يستملح منه ما يستثقل من غيره ، فقد رووا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند إنشاده وعن البحترى أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجاباً بشعره ، وقد عيبا بذلك وعد من سقطاتهما التى نعاها عليهما الناعون بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجباً بكنيته وكثيراً ما كان يتدرج بها إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبى الفرج ابن الجوزى وأبى الفرج الاصبهانى صاحب الأغانى وغيرهما ، فلا يدع أحداً من المتكنين بها إلا وينتسب إليه ، تارة لهذا وتارة لذاك ، ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء ، ووسع أكمامه وسعى حتى جعلوه نقيباً للأشراف بدمنهور . حدثنى صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكرى أفندى المكى قال : لقيته مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت : يا أبا الفرج إن كنيتك تنبىء عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبى الفرج بن الجوزى ، فقال نعم ياسيدى صدقت وأصابت فراستك ، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسى ما دار بيننا فأعدت عليه الحديث وقلت له إجادتك فى الشعر مع هذه الكنية تدلنى على أنك من نسل أبى الفرج الببغاء ، فقال أى نعم وهو الواقع أ هـ . ولا خلاف فى أنه كان يعلم قصد محدثه فى أمر نسبه ، إلا أنه كان يخرجه مخرج الجد حتى مع أخص الناس به ويغضب ممن ينكر عليه فتستظرف منه .

وادعى مرة أنه نال نصيباً وافراً من اللغة بحيث أصبحت لا يشذ عنه شيء من مفرداتها ، وتمادى فى هذه الدعوى وتبجح بها فى المجالس ، وتصدر للأجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عليها خابطاً خبط عشواء لا يبالى بمن يحتج عليه بكتب اللغة . وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له الفاظاً يسألونه عنها فيخترع لها معانى يجيب بها ، وربما أحال تخرصاً على كتب لغوية يعينها ، ونظم له بعضهم بيتاً كبيت الخنفشار وسأله عن معناه فى جمع كبير من الأدباء وهو :

ويخــرنق الأقيــال عــائت فالتثت
وركــاء تعترض الأكــام بشيظم

فقال نعم ! هذا بيت لعنترة ، ذكره له صاحب الأغانى وهو يصف به حمامة ، والخرنق شيء يشبه نسج العنكبوت وليس به ، يكون بين أغصان الأشجار ، فيقول إن هذه الحمامة عاثت بين الأقيال ، أى الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أى اشتبكت به ، وأما الشظم ، وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح محبباً إلى القلوب أديباً ظريفاً حاضر الجواب حلو النادرة ، وكانت وفاته فجأة بدمنهور فى ثانى ليلة من شهر ربيع الثانى سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان آخر قوله انا لله وانا اليه راجعون ، فشق نعيه على من عرفه وشيع جنازته الألوف تغمده الله برحمته .

١٩٣٤

# مُسلمو السُّودان الغربي

## يحاولون كشف أمريكا في أوائل القرن الثامن الهجري



بقلم: الدكتور عبد الوهاب عزام



عثر كريستوفر كلمب على أمريكا على غير قصد إليها ، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم .

وقد حاول مسلمو السودان الغربي في أوائل القرن الثامن الهجري أن يبلغوا الشاطىء الغربي من المحيط الاطلنطي ( بحر الظلمات ) برأي أسد من رأى كلمب ، وفكرة أصح من فكرته ، قبل كشف أمريكا بنحو قرنين .

كانت عظمى ممالك المسلمين في السودان في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالي ومضافاتها . وكانت تعرف في ذلك الحين باسم بلاد التكرور . والتكرور كان أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة .

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى ، قال في صبح الأعشى نقلاً عن العبر : وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال في مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والي مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . »

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال في صبح الأعشى نقلاً عن مسالك الأبصار . « قال لي المهمندار : خرجت لتلقاه من جهة السلطان فأكرمني اكراماً عظيماً بأجمل الآداب . ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي . قال ولما قدم قدم للخزانة السلطانية حملاً من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول جئت للحج لا لغيره .

فلما صار إلى الحضرة السلطانية قيل له قبل الأرض فتوقف وأبى ظاهراً وقال كيف يجوز هذا ؟ فأسر إليه رجل كان في جانبه كلاماً ، فقال أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد . وتقدم إلى السلطان فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه . وتحدثا طويلاً .

ومقصدنا من هذا الكلام في الرواية الآتية عن صبح الأعشى :

« قال في مسالك الأبصار قال ابن أمير حاجب سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتي سفينة ، وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم . فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زمناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي . فلم يصدقه فجهز ألفي سفينة : ألفاً للرجال وألفاً للأزواد . واستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه » أ . هـ .

فما رأي المؤرخين والجغرافيين في هذه الرواية العجيبة ؟

قد قرأنا في الجرائد قبل سنة أو سنتين أن بعض الباحثين صادف في أمريكا الجنوبية قبائل تشبه أن تكون عربية مسلمة . فهل بلغ ملك السودان الغربي وأصحابه أمريكا في القرن الثامن الهجري وانقطعت الطريق بينهم وبين أفريقية فأقاموا هناك ؟ أو ماذا ؟

لعل سعادة شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا يدلي برأيه في هذه المعضلة .

١٩٣٤

# لقاء مع الشاعر مصطفى بهجت بدوي



الشاعر مصطفى بهجت بدوى

- القرآن الكريم هو مُعَلِّمي الأكبر والأوحد
- أغنتني الأذن الموسيقية عن دراسة علم العروض
- قد يهون العمر إلا ساعة .. ويهون الشعر إلا شاعرا




الشاعر الذى التقيت به فى هذا الحديث ، هو أحد رواد مدرسة المحافظين أو « مدرسة الإحياء » ــ كما يسمونها ــ فى الشعر المعاصر ، تلك المدرسة التى أسمعتنا أنغاماً جديدة عادت بنا الى الأصالة الشعرية ، والتراث العربى الخالد فى عصورهما الأولى والزاهرة .

ورغم أنه شغل عدة مناصب ادارية وصحفية رئيسية فى الصحافة المصرية منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن الا أنه مازال يواصل عطاءه الشعرى ، ويمضى به فى درب الابداع والجودة والأصالة .. إنه الشاعر مصطفى بهجت بدوى ، وهو من مواليد الاسكندرية عام ١٩٢١ ، وهناك أيضاً كان مولد شعره .

وفى مكتبه بدار الاهرام طرحت عليه عدة أسئلة ، رد عليها بهذه الاجابات التى تميزت بالصدق والصراحة ... سألته :

• كيف بدأت كتابة الشعر ؟

• أتراني مبالغاً إذا قلت أنه كما أن كل مولود يولد على الفطرة كما يقول رسول الله عليه السلام ، فان كل انسان يولد عادة وله خمس حواس معروفة ، أما الحاسة السادسة الكامنة ، فهى حاسة الشعر بصورة ما ، أو الشعور الانسانى الرقيق على اطلاقه ، والانفعال بكل معنى جميل لست أدرى ولكن أعتقد أن حاسة الشعر قائمة فى نفوس البشر على وجه من الوجوه سواء التقت فيما بعد مع موهبة نظمه وقرضه وانشاده أم اكتفت بتذوقه ، أو طمرتها ماديات الحياة .

تلك هى اجابتي ابتداء وعلى وجه العموم ، ربما لزم ايضاحها ، أما التخصيص الذاتي ، فلقد تعجب أننى لم أتنبه بادىء الأمر لهذه الموهبة التى تكمن فى نفسى ، بل لعلى كنت استثقل فى مرحلة الدراسة الابتدائية ومعظم الدراسة الثانوية ، حصص المحفوظات وأنفر من الشعر الجاهلى وغير الجاهلى ، لكنى فى الوقت نفسه كنت مطبوعاً على الأذن الموسيقية ، وكنت أعزف على آلة البيانو سماعياً من سن السابعة ، وفى سن السابعة عشرة التقت الخاصتان على أمر قد قدر ، والذى فجر الطاقة الشعرية الموسيقية هو القرآن الكريم ، عندما بت أتحسس طريق الله سبحانه وأكرمنى الله ببصيرة التدين من منابعه الأصيلة « القرآن المجيد والسنة المحمدية » ومضيت اغترف ، فترهف مشاعرى ويتقوم لسانى ، حتى أننى بعد أن كنت ألحن وأخطىء كثيراً فى قواعد اللغة العربية وتشكيل المرفوع والمنصوب والمجرور شأن غالبية الطلاب ، أمسيت شديد اليقظة لاستقامة النحو الواضح وادراك أسبابه والحرص عليه فيما أتحدث وأكتب ، وكان المعلم الأكبر والأوحد هو « كتاب الله العزيز » .

وعلى حين غرة تاقت نفسى الى نظم الشعر ، وأغنتني الأذن الموسيقية والخامة الفطرية التى أشرت اليها عن دراسة علم العروض « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » .

ولقد كان يمكن أن تطوى ملكة الشعر وتذوى وتذروها الرياح ولا تعدو مجرد نزوة أو مرحلة أحسبها مرت على عدد لا بأس به من الناس فى باكورة شبابهم ثم انصرفوا عنها ، أو شغلوا بغيرها لولا أنني أخذتها مأخذ الجد ووجدت نفسى فيها أكثر ما أجد ، فعضضت عليها بالنواجز حتى مع كونها بدأت هواية ــ لا احترافاً ــ واخالها ما برحت كذلك .

## جيلى والشعر التقليدى

قلت للشاعر مصطفى بهجت بدوى :
ما هو مفهوم الشعر من خلال نظرتك إليه ؟

ـ أغراض الشعر كثيرة كما عرفها العرب وغير العرب ، غزلا ووصفاً ومديحاً وهجاء ورثاء وحكمة ثم اتجاهات وطنية وسياسية واجتماعية ... الخ .

واذا كنت قد استهللت واستغرقت فى صباى بالغزل والنسيب والتشبيب فاحتل المساحة الأكبر من ديوانى الأول ــ وهذا أمر طبيعى وتلقائى ومعهود ــ فان الشعر السياسى والاجتماعى قد غلبا على فيما تلا ذلك ، غير أن مفهوم الشعر عندى واحد لم يتغير وهو كونه تعبيراً جميلا منغماً عن مشاعر جميلة حساسة ، ونفس صافية مرهفة ، ومن أخطاء الأمثلة العربية الشائعة قولهم « أعذب الشعر أكذبه » فاننى أؤمن أن « أعذب الشعر أصدقه » ، بل أن الأمر لا يقتصر فى باب صدق الشعر أو الشاعر على العذوبة ، بل يمتد الى وصوله الى نفوس المتلقين وخلوده أيضاً ، إن من يمتلك ناصية البيان والبلاغة وحسن واشراق الديباجة والصياغة الشعرية ، والمعانى الخلابة والألفاظ والتركيبات الرقيقة المنمقة المختارة ، والموهبة الربانية ، وبالقراءات والتعمق والعناية بشعره فى جهد دون تكلف وفى انسياب دون تعمل ، هو هو الشاعر عندى ، لا النظام ولا الحامل « لبالونات » ملونة براقة قد تلفت الأنظار ، ولكنها لا تلبث أن تطير أو « تفرقع » فتذهب بدداً .

• من أى جيل أنت .. ومن هم الشعراء الذين زاملوك فى نظم الشعر واتفقوا معك فى اتجاهاتك الفكرية ؟ .

ــ الجيل الشعرى استهلالا هو جيل الأربعينات ، بصراحة ، أعتقد أن هذا الجيل لا من طاول الأجيال القريبة السابقة عليه ، ولا أخذ حظهم من الذيوع والانتشار الا قليلا ، وقد تحضرنى أسماء أتراب تزاملنا بصورة مثل : عبد الرحمن الشرقاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، وكمال عبد الحليم ، ومصطفى عبد الرحمن وآخرين ــ وقد تغيب عنى أسماء ــ لا تقل اجادة ومعظمهم انصرف عن الشعر ، فى حين أن الجيل الوسط بعد شوقى وحافظ ومطران ، كان أثبت وأكثر لمعاناً كشعراء مدرسة « أبولو » وعلى محمود طه ، وابراهيم ناجى ، وصالح جودت وأحمد فتحى فضلا عن شوامخ دار العلوم واشباهها مثل : محمود غنيم ، وأحمد محرم ، ومخيمر ، والأسمر ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الغنى حسن ، والبحيرى .

• الى أى مدرسة تنتمى ، ولمن من الشعراء قرأت فى أول عهدك بالشعر وتأثرت به ؟ .

ــ أما المدرسة ، فقد اصطلح على تسميتها مدرسة « الشعر الغنائى » ، ورغم أننى لم أقدم للغناء قصيدة واحدة ، وهى أقدم وأوسع مدرسة فى الشعر العربى وألصقها بمنابعه الأصيلة وحقيقة ، لا أستطيع أن أحصى عدد الشعراء القدامى والمحدثين الذين قرأت دواوينهم ــ أقول : قرأت لا حفظت ، فلقد رغبت عن حفظ الاشعار فيما ندر وألح على ، وربما يرجع ذلك الى الظروف أو العجز ــ الى كونى لست راوية أشعار ، أو حتى لا تتسرب أشعارهم الى أبياتى دون أن أدرى ، أو لضعف حافظتى لا ذاكرتى أو « لعقدة المحفوظات » المترسبة فى أعماقى منذ الدراسة الابتدائية والثانوية ، ولكن من القدامى الذين قد أكون تأثرت بهم اعجاباً وتقديراً يأتى فى مقدمتهم « أبو الطيب المتنبى » ، وأبو العلاء المعرى ، وأبو تمام ، والبحترى ، وبشار بن برد ، والشريف الرضى .. ثم من القرن الحالى « شوقى » ثم أحمد شوقى ، ثم أمير الشعراء بمعنى واحد ، أى أنه « غطى » عندى على معاصريه .. فقد يهون العمر الا ساعة ويهون الشعراء الا شاعراً .

• ما رأيك فى الشعر التقليدى الموروث ؟ .

ــ اسمح لى أن أصف هذا السؤال ومن وجهة نظرى ، بأنه أشبه باستطلاع الرأى فى الحروف الابجدية ، أو السلم الموسيقى ، أو الألوان المختلفة التى يمزج بها الرسام فرشاه ، أعنى أن الشعر هو بأوزانه ورويه وقوافيه ، ومعانيه طبعاً ، الشعر بدأ تعبيراً فنياً له قواعد وأصول وسيظل كذلك مدى الحياة حتى ولو جرى تصرف فيها ، وتجديدات تبقى فى اطار « القيود » ولكن كما قال بعض السابقين :

الشعر صعب وطويل سلمه
لا يرتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت بـه على الطريق قدمـه
يـريد أن يعربـه فيعجمه

## الحرب بين الشعراء

وهنا كان لابد أن أسأل الشاعر مصطفى بهجت بدوى :

• يحارب أصحاب حركة الشعر الحديث ، الشعر التقليدى ويتهمونه بالانغلاق داخل دائرة القوافى الموحدة .. فما رأيك ؟ .

ــ الحرب متبادلة ومستمرة بين دعاة الشعر الجديد أو الحر ، أو شعر التفعيلات من جانب والملتزمين بالشعر التقليدى من جانب آخر ، ولو أنها هدأت نسبياً آخر الأمر ، أو قرب نهاية المطاف .

ولقد أكون بطبيعتى ضد المغالاة والتطرف ، وأنتهج الطريق الوسط ، ثم إن رأيى الذى لا يتحول هو أن الشعر مادام شعراً فهو كذلك أياً كان لونه تقليدياً أو حديثاً وبالشروط التى أوضحتها آنفاً فى اجابتى على السؤال السابق ، ان حركة التجديد فى « شكل الشعر » ليست ابنة اليوم ، بل لعل الأندلسيين العرب بدأوها بالموشحات ، ثم توالت بعد ذلك الأشكال والصور : تغيير القوافى فى القصيدة الواحدة ، تجزىء التفصيلات ، تطويع الشعر للمسرح كما فعل أحمد شوقى فى مجنون ليلى ، ومصرع كليوبترا .

وفى أواخر الاربعينات من هذا القرن نشأ أو ابتدع شعر التفعيلة والتحرر من « ثقل » القوافى واضطرادها تحرراً جزئيا ، ولما كان هؤلاء المجددون قد درسوا اصول الشعر وملكوا موهبته فإنهم فى تقديرى لم يأتوا خرقاً بشعاً أو يقترفوا جرائم لا تغتفر ، ولقد مارسوا الشعر التقليدى وعرفوا أصوله ، ودرسوا أعلامه ورواده ومشاهيره ، لذلك جاءت قصائدهم الحرة « لوناً معقولا » ومقبولا عندى من الفن الشعرى .. صحيح أنهم تأثروا باتجاهات الشعر الانجليزى والغربى على وجه العموم فى عدم التقيد الشديد بالقوافى ، وفى استخدام الصور الرمزية ، وفيما يسمى وحدة القصيدة لا وحدة البيت الواحد التى يأخذونها على الشعر العربى التقليدى ، وهو اتهام غير صحيح على اطلاقه فالشعر العربى يعرف وحدة البيت ووحدة القصيدة على السواء ، وصحيح انهم خرجوا علينا بما تخيلوه من « الموسيقى الداخلية » فى القصيدة على حد تعبيرهم ، ولكن ظل كل ذلك اجتهاداً قابلا للمناقشة لا للرفض الحاسم أو اللعن الناقم حينما ينصف النقد غير أنه مع تعاقب السنين حلت لبعضهم اللعبة الأجنبية فأسرفوا فى الغموض الشديد بدعوى أن ذلك قمة البلاغة الحديثة التى تواكب العصر ، وآية العمق ، وهنا زلزلت القصيدة العربية زلزالها وكادت تفقد مقوماتها من طول مابدلت معالمها حتى تشوهت ومسخت أو كادت ، وكان منطق التقليديين المعتدلين المتفتحين ــ لا المتقعرين ــ بسيطاً ومفحماً فى المجادلة ، كانوا يقولون : ارونا قصيدة واحدة من الشعر ذى الموسيقى الداخلية المزعومة والغائص فى الرموز والأساطير والمعين فى الغموض .. أرونا مجرد قصيدة واحدة من هذا اللون هزت وجدان الناس ، أو تقبلوها قبولا حسناً اذا أنشدت أو حفظوها واستشهدوا بها اذا نشرت ؟ .. وكان هذا السؤال المحير والذى ظل بلا جواب شاف هو حسبهم ليقيموا على المعسكر الآخر الحجة ، غير أن الذى أساء أكبر اساءة الى حركة الشعر الجديد هو أن عناصر جديدة من « الشعراء » الذين لم يكتبوا فى مرحلتهم الأولى قصيدة تقليدية كاملة واحدة ، دخلوا الى المضمار أو « الهوجة » على الأصح ، فأعوزت قصائدهم لا القوافى فحسب ، بل الأوزان أيضاً فهى فى عرف الشعر .. أى شعر « مكسورة » ــ أى أنها لا هى شعر ولا هى نثر ــ وطائفة أخرى خلطت بين أوزان مختلفة فى القصيدة بل البيت الواحد ، وذلك منتهى العجز والضحالة والخفة والجهل .. انهم دخلاء طفيليون على الشعر ، منبوذون منه ، كأنهم لم يكسروا عموده فقط وانما وقع عموده على أم رأسهم حتى ولو تخيلوا أن رؤوسهم وهاماتهم مرفوعة بهذا التجديد الأعجمى « الألمعى » الكارثة ، وهكذا فهم فى مجموعهم ــ باستثناء عدد قليل جداً بينهم أخص منهم صلاح

## مصطفى بهجت بدوي

عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ، وأمل دنقل ، ونازك الملائكة ــ فشلوا فشلا ذريعاً ، فى حركة التجديد التى ضلت الطريق ، ولعل هذا هو ــ أشرتم إليه فى حديثك معى ــ ما انتهى إليه الدكتور الطاهر مكى فى كتابه « الشعر العربى المعاصر » من أن الشعر الحر فشل بسبب افتقاده للموسيقى الصالحة ، وأن افتقاده الى النغم الموسيقى يجعله غير صالح للتأثير على الناس ، ولقد أضيف : أن بعضاً من رواد الشعر الحر قد تراجعوا عنه وارتدوا أو بالأحرى آمنوا من جديد وعادوا الى أحضان الشعر الأصيل ، ومنهم : نازك الملائكة ، بل شملت المراجعة والتصويب عدداً من الشعراء الأوروبيين الذين كان يمثل نهجهم الحر « السائب » لمقلديهم العرب ذروة التقدم والأدب المتحضر ، ولعل فى ذلك درساً بليغاً مخجلا لهم ، لست أدرى ماذا هم قائلون فيه ؟ .

• ما الفرق بين الشعر العامي والزجل .. وأيهما أقرب الى الشعر العربى ، وأيهما أخطر على لغتنا العربية الأصيلة ؟ .

ــ الزجل يمثل جانب اللغة الدارجة الموزونة الذى سار بمحاذاة الشعر العربى التقليدى أما الشعر العامى فيمثل فى ظنى « الشعر الحر الحديث » باللغة الدارجة وإن كنت أعتقد أن ــ فرسانه ــ فرسان الشعر العامى ــ أنجح وأبلغ وأفصح من نظرائهم بصفة عامة فى الشعر الحر الحديث بالفصحى ، والنماذج التى نقرأها فيما يسمى الشعر العامى شديدة الدلالة على ذلك ، واعترف أنها تشدنى وتستهوينى مائة ضعف ما يفعل الشعر الحر بالفصحى ، وللانصاف فقد وظف هؤلاء موهبتهم فى الشعر العامى توظيفاً اجتماعياً وسياسياً وجماهيريا راقياً ، وطاوعتهم مواهبهم وأخيلتهم وتراكيبهم ومعانيهم وكلماتهم بصورة لافتة للنظر بلاشك ، من هؤلاء الافذاذ : فؤاد قاعود وسيد حجاب وصلاح جاهين ، والابنودى ، وفؤاد حداد وغيرهم ، وقد صادفت قرائح أفكارهم ذيوعاً وأمكن تلحينها وغناؤها ، ومادمنا بصدد الزجل والشعر العامى فلا يفوتنى أن أضع فى صدارة ناظميه المعاصرين شاعراً اعتبره عبقرياً فريداً فى فئة خصوصية هو أحمد فؤاد نجم وخاصة فى مقطوعاته الاجتماعية والسياسية وهو ــ بحق ــ خليفة بيرم التونسى ذلك الذى قال عنه أمير الشعراء أحمد شوقى قولته المشهورة ( انى لا أخاف على الشعر العربى قدر تخوفى من « براعة » أزجال بيرم التونسي ) ، بيد أن هذه الشهادة على أهميتها لم تشكل آنذاك خطراً على لغتنا العربية الأصيلة ، كما لا تهدد الاشعار العامية الجيدة الآن لغتنا العربية الجميلة ، فنحن نتحدث ــ غالباً ــ بالعامية فيما بيننا ، وحين نكتب أو نخطب نلتزم بالفصحى ، فلا خوف اذن ولا خطر ، وانما هو تعايش سلمى بينهما ، الضمان كل الضمان والحفاظ الأخلد للفصحى باق أبد الدهر ، ما بقى الذكر الحكيم ، والقرآن الكريم ( وانا له لحافظون ) ، ثم إن لكل شعب من الشعوب العربية لهجته الخاصة ، ولا مانع ، وانما الذى يجمع بين تلك الشعوب العربية هو الفصحى التى لن تضمحل ولن تنقرض مادمنا نتمسك بها ونحرص عليها وأحسبنا متيقظين لذلك ... أرجو.

### هذه هى دواوينى

والشاعر مصطفى بهجت بدوى فى انتاجه الغزير المتميز ، ينتقى قصائده بعناية فائقة ولايقدمها إلا من خلال إحساس صادق ومشاعر فياضة ولهذا كان لابد أن أسأله :

• كم صدر لك من دواوين شعر ؟ .

ــ فى سنة ١٩٤٧ ــ أى فى مطلع الصبا ــ أصدرت ديوانى الأول « وجدان حائر » وهو من الشعر التقليدى مائة فى المائة ، ثم فى مارس سنة ١٩٥٦ تأثرت بموجة شعر التفعيلات ، ووقر فى ظنى أنه أفعل وأطوع وأوقع فى الشعر السياسى بالذات ــ فكتبت قصيدة طويلة أو « ملحمة » كانت باكورة العمر ــ والقلم ــ الذى نذرته للقضية الفلسطينية العربية ( وان ضاع هباء .. للأسف ) وسميتها « لن نخون فلسطين » وحقق توزيعها رقماً قياسياً « عشرة آلاف نسخة » ثم صدرت لها طبعة ثانية فى سوريا بعد شهور ، ثم طبعة ثالثة فى القاهرة عام ١٩٦٧ ، ولقد احتفى النقاد بهذا الديوان احتفاء ملحوظاً ، وأجمعوا على أن ابياته من الشعر التقليدى المتطور فضلا عن كونى فى مواضع عديدة منها ، وخلال استرسالى على مستفعلن الأساسية تطول أو تقصر ، تلتزم بعدد متماثل ، أو تختلف والقافية قائمة منغمة ، وإن تنوعت من حين لحين ، كنت أعود خلال استطرادى الى القصيدة الكاملة التقليدية بكل مواصفاتها المنتظمة المعروفة فى سبعة أبيات متعاقبة أو أقل أو أكثر ، وراقت لى هذه الطريقة فى قرض الشعر السياسى ، فكررتها بعد قرابة عامين فى أعقاب تأميم قنال السويس والعدوان الثلاثى ، ثم وفاة أخى المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى ــ حيث أصدرت ديوانى الثالث « القناة والمعركة وأخى » فى يوليو ١٩٥٨ بعدها وفى عام ١٩٦٣ جمعت قصائدى التقليدية التى كتبتها ونشرتها عبر الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٣ واصدرتها فى ديوانى الرابع « عندما توحى الليالى » وتلت ذلك فترة طويلة ، جفانى فيها الشعر وجفوته ، حتى كدت استسلم لظنة أن الالهام الشعرى قد رحل عنى بغير رجعة ، لا مجرد أننى شغلت عنه ولا أخفى عنك أن هذا « العقم » أرقني وعذبنى طويلا حتى كان ذات يوم وأنا فى مدينة لينتجراد سنة ١٩٧٢ وأحمل فى صدرى هموماً ثقيلة جداً خلفتها هزيمة يونيه ١٩٦٧ ومزقتنى تمزيقا مثلما عصفت تلك المنكودة فى نفوس شعوبنا العربية فجأة جاشت مشاعرى حيث كنت أجهش بالبكاء على حالنا ووجدتنى أرتجل على البديهة خمسة أبيات من الشعر تحناناً وشوقاً ونداء لمصر وللنصر ... الله ؟ .. اذ ما فتئت الشاعرية كامنة لا ينقصها الا ان أرنو لها وترنو لى .. أن أحركها وتحركنى ، وكان آخر العهد بها من قبل بيتان منذ سنوات مثلا حالى ومثلا بى :

رثيت أبى ثم واريت شعرى
كأنـى فقدت بـه الموهبـه
وجفت ينابيع روحى فباتت
حيـاتى موحشـة مجدبه

واهتبلت الصحوة الشعرية الفجائية فى لينتجراد ، وأعجبنى أن المعنى استوفى أغراضه فى خمسة أبيات من الشعر فقط لاغير ، فمضيت على النهج بعد أن تفجرت طاقتى ، وخلال رحلات متفرقة فى روسيا والمجر وبلغاريا والنمسا وبريطانيا ومدريد والأندلس ولبنان وجبهة القنال بين ربيع وصيف سنة ١٩٧٢ ، كنت قد أتممت نظم حوالى ٧٠ قصيدة خماسية .. وهكذا كتب لديوانى الخامس « خماسيات عربية أوروبية » ، أن يؤلف ويعد للطبع وينشر خلال خمسة أشهر فحسب من البداية للنهاية ، وكان لوناً جيداً وفريداً فى دواوينى الشعرية وتجربة عزيزة سعدت بها ويكفى أنها انبعثت معها نفسى الى الشعر انبعاثاً وقد طبعته ونشرته دار النجاح فى بيروت فى أكتوبر ١٩٧٢ .

على أن أفضل وأنضج دواوينى وأحبها الى هو ديوانى السادس « رسالة إلى المسيح » الذى كان هو الآخر تجربة مختلفة عن سوابقه ، فهو قصيدة وطنية دينية سياسية اجتماعية طويلة جداً .. واقعية وخيالية ، بمعنى انها تصور الواقع وتحلله وتنتقده فنياً ثم تسبح فى سيناريو « تتخيله » لنزول المسيح عليه السلام ، كما بشرتنا بذلك أحاديث نبوية شريفة فى صحيحى البخارى ومسلم .. والقصيدة حاولت أن تتلافى بعض رتابة الشعر التقليدى ، وبعض شطحات الشعر الحر وقد صدر الديوان المذكور سنة ١٩٧٥ .

أما ديوانى السابع « أوراق من قصة العمر الحالم » فيضم قصائد تقليدية وأخرى حرة مزج بينها ، وأصدرته ونشرته دار الوحدة ببيروت فى يناير سنة ١٩٨١ ، وكان حلقة أخرى من حلقات انتمائى للقضية الفلسطينية ، واشتياقى للنصر العربى ، والتى بدأتها بديوان « لن نخون فلسطين » وأتوق أن أختمها وأتوجها بديوان لا يتوجع للنكبات أو يحث الهمم والعزائم لتحقيق النصر والأمل المنشود ، وانما يحتفل بالنصر فعلا وحقاً وصدقاً ، ويسجله ويؤرخه وينظمه بعد أن نكون قد انتزعناه من ضمير الغيب .. وبمشيئة الله .

سعد صادق محمد

# عالم السدود

شعر: محمد التهامي



يا طَـائِري لا تَنْطَلِـقْ          أَخَـافُ مِنْ أَنْ تَحْتَرِقْ
يَا طـائِري إِلَيْكَهـا          تَجـارِبَ الَّذي سَبَقْ
أَكَلْتُ قَبْلَكَ اللَّظى          شَرِبْتُ قَبْلَكَ العَرَقْ
وَخُضْتُ مُوحِش الطَّرِيق          والظَّلَامُ يَنْطَبِقْ ...
وَمِنْ مَخَالِبِ السبَاعِ          وَالضِّباعِ أَرْتَزِقْ ...
فَعَضَّني مِن النُّيوبِ          مَا أَحَالَنِي مِزَقْ ...
فَنَظْرَتي إِلَى السَّمَا          وبالتُرَابِ أَلْتَصِقْ ..
وصَحوَتي إلى الضَّنَى          ونَوْمَتي إلى الأَرَقْ

* * *

حَاوَلْتُ أَرْكَبُ النِّفَاقَ          قُلْتُ حَسْبنا اتَّفَقْ
فَخَانَني بِهِ الجَوادُ          بَعْدَ خُطْوَةٍ نَفَقْ
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ          مَطِيَّةٌ لِمَنْ حَذَقْ
وَمَن يَخُضْ بِحَارَهُ          بِلا دِرَايَةٍ غَرِقْ
فَعَالَمُ المُنافِقِينَ          أَهْلُهُ لَهُمْ فِرَقْ ...
شِعَارها مِلْءُ العُيونِ          في سَمائنا خَفَقْ
فَلِلْيَمِينِ مُنْتَمى ..          ولِلْيَسارِ مُعْتَنَقْ
مُخَادِعٌ وَلَاؤُهُ          فَهَمُّهُ أَنْ يَرْتَزِقْ
فَلِلضَّيَاعِ إِنْ خَطا          ولِلضَّلَالِ إِن نَطَقْ
يَبِيعُ حَتَّى دِينَهُ          لَوْ سَاوَمُوا فِيهِ مَرَقْ

* * *

فَقُلْ لَنَا يَا صَاحِبي          قُلْ كَيْفَ أَنَا نَتَّفِقْ ؟
وَفِي الضُّلُوعِ خَافِقٌ          لِغَيْرِ صِدْقٍ مَا خَفَقْ
قَدْ عَاشَ يَعْشَقُ الوَفاءَ          مُخْلِصاً لِمَا عَشِقْ ..
لَمْ يَعْرِفِ السُّجُودَ مَرَّةً          لِغَيْرِ مَنْ خَلَقْ ..
حَيَاتُه لَا تَسْتَحِقُّ          كِذْبَةً لَا تَسْتَحِقْ ...

* * *

يَا طَائِري .. يَا هَاجِري          يَا قَاتِلي .. لَا تَنْطَلِقْ
يَا وَيْلَتِي !! أَنَا الَّذي          هَيَّأْتُهُ لِلْمُنْطَلَقْ ...
مَا كُنْتُ أَدْرِي أَننا          في لَحْظَةٍ سَنَفْتَرِقْ
وَيَسْتَقِلُّ وَحْدَهُ          بَيْنَ الظَّلامِ المُنْطَبِقْ
قَدْ كُنْتُ أَنْوي حِفْظَهُ          بَيْنَ الجُفُونِ والحَدَقْ
لَكِنَّهُ .. لَكِنَّني ..          لَكِنَّ مَا نَخْشَى سَبَقْ



# الإكسير...

## قصّـــة الأعجوبـــة التي شــغلت النـــاس منـــذ آلاف الســـنين

بقلم : محمد عبد القادر الفقي

« المــكان معمل قديم ، قد تبعثر فيه أفران وبواتق وأنابيق ، وأجهزة للتقطير ومنافيخ ، والرجـــل القائم فيه عجوز ، قـد انحنى على وعاء عظيم يسلق فيه من البيض ألفين ، وهو من بعـــد السلق يقشر البيض فى عناية زائدة ، ثم هو يجمع القشر فى كومة كبيرة ، ثم هو يسخنه على لهب هين حتى يصير أبيض كالثلج ، بينما صـــاحب له يقوم بفصل البيض عن صفاره ، ثم هو يقوم بادخال الفســـاد إليهما جميعاً بوضعهما فى روث جاء به من خيول بيضـــاء ، ويقوم الرجل ، ويقوم صاحبه ، على تقطير هذه الأنتجة الغريبة ثماني سنوات طويلة ، وهو يقطرها ويعيـــد تقطيرها لاستخراج سائل أبيض خفى غريب وزيت أحمر ... وبهذين المذيبين القويين ، اللذين يذيبـــان فى زعمهما كل شيء ، يأمل هذان الـــكيماويان أن يستخرجا « حجر الفلاسفة » ، وجاء اليوم الأخير المأمول الذى تظهر فيه نتيجة جهودهما ، ويبدآن يومهما هذا كما بدءا كل يوم ، بأنفاس متلاحقة ، وأنفاس قلق مضطربة ، فيهـــا الرجاء كل الرجاء ، وفيها الخشية كل الخشية ، ويختتمان اليوم بالفشـــل والخيبة .. إن حجرهما يأبى أن يحول معدناً واحداً من المعادن الخسيسة الى الذهب !! » .





رأس ذهبى من أيام الرومان .. وقد شد بريق الذهب العلماء فحاولوا أن يصنعوه من المعادن الرخيصة



ملكة النمسا إليزابث التى كانت ترتدى فستاناً مرصعا كله بالذهب والمجوهرات ..

## ● عدد من علماء الكيمياء يلقون مصرعهم فوق مشنقة ذهبية لعجزهم عن استخراج المعدن النفيس من المعادن الرخيصة !



الذهب فى صورته الأولى وقبل تشكيله فى مصوغات جميلة

قلادة مشهورة فى منطقة الخليج العربى .. وهى من الذهب .

قصة واحدة من مئات القصص التى تروى عن « الاكسير » المزعوم ؛ ذلك الأعجوبة الذى شغل العالم ـ شرقه وغربه ـ بالبحث عنه ، قروناً طويلة ، حتى لأكاد أجزم أنه لم تشغل الفكر البشرى مسألة كمسألة البحث عن هذا الاكسير ، اللهم إلا المسألة الأولى فى هذا الوجود وهى البحث عن الخالق الذى أبدع صنعه فى خلق السماوات والأرض ! .

قصة أسند دور البطولة فيها إلى شخصيات مختلفة تنتمى إلى كافة طبقات المجتمع البشرى ، فتارة يقوم بها « سيميائى » ، وطوراً يقوم بها « كيميائى » ، وأحياناً راهب ناسك فتنه بريق الذهب الأصفر ، ومرة ملك ، وأخرى صعلوك .

ولاتكاد توجد على الأرض مادة لم تختبر ، فى سبيل الحصول على الاكسير ! لقد كان البعض على استعداد أن يصنع المستحيل ، وأن يسافر حتى بلاد الواق واق فى سبيل التوصل الى سر هذا الاكسير !

### وكانت البداية على يد ديموقريطوس :

كان بولوس ديموقريطوس ـ كما تقول بعض الروايات التاريخية ـ هو أول من مهد لفكرة الاكسير الذى يحول المعادن الخسيسة ، كالرصاص ، إلى الذهب !

ولا غرابة فى ذلك ، فإن لفظة الاكسير ـ هى فى حد ذاتها ـ مشتقة من كلمة اغريقية معناها ( جاف ) ، وربما كان ذلك لاعتقاد البعض أن الاكسير يجب أن يكون جافاً وصلباً . أى حجراً ، ولا غرو أن تكون من بين تسمياته الشهيرة ذلك الاصطلاح الذى شاع فى العالم ، أعني ( حجر الفلاسفة ) .

ولقد كان بولوس ديموقريطوس يجمع بين الفلسفة والسيمياء ( والسيمياء هى علم الكيمياء القديم ) ، وقد حاول هذا الرجل أن يجمع بين خبرة المصريين العملية فى استخلاص الفلزات وبين نظريات أرسطو ، وكان يعلم أنه إذا عولجت الفلزات معالجة معينة فإن لونها يتغير ، على سبيل المثال ، إذا مزج النحاس الأحمر بالخارصين ( الزنك ) ، وهو فلز رمادى اللون ، حصلنا على سبيكة من النحاس الأصفر يشبه لونها لون الذهب ، وقد تراءى إلى بولوس أنه ما دام أصبح فى الامكان الحصول على لون الذهب ، فما هى إلا خطوة أخرى حتى يمكن الحصول على الذهب نفسه ، ومادام الرصاص والذهب ، بناء على نظريات أرسطو ، يتكونان من العناصر الأربعة ( وهى التراب والماء والهواء والنار ) ، لذلك ، تساءل ديموقريطوس : ألا يمكن تحويل الرصاص إلى الذهب عن طريق تغيير نسب هذه العناصر تغييرا مناسباً ؟

ولم يقف بولوس عند حد السؤال ، وانما ـ كما تحكى كتب التاريخ الاغريقي ـ بدأ يجرى سلسلة من التجارب ، من شتى الأنواع ، لتحويل الرصاص إلى ذهب .

ومنذ ذلك الحين تحمس الكثيرون لفكرة بولوس ، وتبنى نظريته عدد كبير من الناس بتحمس شديد ، واستمر حلم تحويل المعادن



العالم العربى جابر بن حيان الذى واصل التفكير فى آراء جديدة عن الأكسير (الذهب)

# الإكسير...

## قصة الأعجوبة التى شغلت الناس منذ آلاف السنين

الخسيسة إلى ذهب يداعب خيال الكثيرين حتى وقت قريب جداً !

ومن الطريف أن نجد رجلا كالامبراطور الرومانى دقلديانوس يحارب هذه الفكرة ، لا لشىء إلا مخافة أن يتعلم الرعاع صنع الذهب عن طريق الاكسير ، ومن ثم ينهار نظام النقد ، وتنهار كذلك اقتصاديات الامبراطورية الرومانية ، ولذلك دعا هذا الرجل إلى إصدار الأمر باتلاف جميع الكتب السيميائية ، سواء ما كان منها يعالج قضية الاكسير ، أو لا يعالجها من قريب أو بعيد !

غير أن أبحاث السيميائيين لم تقف عند حد معين ، وكيف تقف وهم مقتنعون تمام الاقتناع بأنه يمكن تحويل المادة من صورة إلى أخرى ، ومن عنصر إلى عنصر آخر مخالف ؟ لقد كانوا يرون بأعينهم أوعية من الحديد تغمر فى ما يخرج من نبع ، يحتوى أملاح النحاس ، فتخرج تلك الأوعية وقد غطى سطحها بطبقة من معدن النحاس الأحمر ، وفى الواقع ، لم تكن طبيعة التفاعلات الكيميائية قد درست أو فهمت جيداً يومذاك ، حتى يمكن فهم سر ترسب فلز النحاس على الحديد ، نتيجة لإزاحة الأخير للأول من كبريتات النحاس حين يغمس الحديد فيها .

وكان السيميائيون أيضاً يرون كيف يخرج من خامة سوداء قذرة — عند صهرها بالنار — لفترة طويلة — معدن جميل براق ، وذلك بعد أن يزول عن الخامة ما فيها من خبث ، وكثيراً ما كانت تخرج الفضة والذهب ، بكميات غاية فى الصغر ، من الكثير من الخامات ، نظراً لوجودهما فى الطبيعة بهذه الخامات . وقد استنتج السيميائيون أن الزيادة فى الصهر تزيد من مقدار الفضة ومقدار الذهب ، ومن ثم كانوا يسهرون الليالى الطوال يصهرون الخامات أملا فى الحصول على الذهب ، أو الاكسير ! ، بل انهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، إلى احتمال أن تتحول الخامة كلها إلى ذلك المعدن الأصفر الجميل ، إلى الذهب ، وكانت فروضهم لاحتمال حدوث ذلك معقولة ، خاصة بعد أن نظروا إلى ما يحدث فى الطبيعة من ناحية ، وفى جسم الانسان من ناحية أخرى ، من معجزات ؟! أفليس الرجل يأكل طعامه فلا يلبث أن يتحول الطعام إلى دم ، وفى غير جسم الانسان ، ألا يحول النبات التربة الزراعية إلى أوراق خضراء وإلى ثمرات مختلفة الألوان والمذاق والرائحة ؟ وكان فى السيميائيين بعض ذوى الأمزجة الصوفية الذين رأوا أن الحصول على الذهب من المعادن الخسيسة لا يتم إلا بقتل المادة الأصلية واستبدالها بعنصر جديد ، ولذلك ، فقد أنفقوا سنوات عمرهم فى الكشف عن سر المادة التى تقتل روح المادة الأصلية لكى تحولها إلى ذهب ، والتى قلنا عنها أنها الاكسير .

### المسلمون والاكسير

تنسب إلى جابر بن حيان — أحد عباقرة المسلمين — عدة كتب وآراء ونظريات فى السيمياء ، وفضلا عن ذلك ، لم يكن هذا العلامة مقتنعاً بأن جميع المواد تتكون من عناصر أرسطو الأربعة ( الماء والتراب والهواء والنار ) ، ومن ثم أخذ جابر بن حيان يواصل التفكير فى آراء جديدة فى مسألة الاكسير .



وقد بنى جابر تفكيره على ما كان واضحاً من أن خواص الفلزات واللافلزات كانت على طرفى نقيض ، فهل من الممكن أن تكون — الفلزات واللافلزات — مكونة من التراب ، ذلك العنصر الذى يمثل الصلابة ؟ ولذلك ، قرر جابر أن الفلزات لابد أن تحتوى على جوهر خاص إذا أضيف إلى التراب بنسب مختلفة ، نشأت أنواع مختلفة من الفلزات الفردية ، كما قرر أن طبيعة كل فلز تتوقف على نسبة ما أضيف من ذلك الجوهر إلى التراب ، ولابد أن الزئبق يحتوى على أكبر نسبة من ذلك الجوهر ، لأنه سائل ، ومن ثم فلا يحتوى إلا على نسبة ضئيلة من التراب .

وأيضاً ، لاحظ جابر بن حيان أن أنواعاً معينة من اللافلزات تشتعل ، فى حين أن الفلزات لا تفعل ، وقد علل هذه الظاهرة بأنه لابد من وجود جوهر خاص ، إذا أضيف إلى مادة ما أكسبه خاصية « القابلية للاشتعال » ، وقرر أن الكبريت لابد أن يحتوى على كمية كبيرة من هذا الجوهر ، لأن الكبريت يشتعل بسهولة ، ومن ثم كان جوهر الاحتراق عنده هو « الكبريت » .

وتوصل جابر إلى هذه النتيجة ، وهى أن جميع المواد الصلبة تتركب من جوهرى « الزئبق » و « الكبريت » ، ومن ثم فما علينا إلا أن نغير تركيب مادة ما ، إذا كان ذلك ممكناً ، حتى نراها تتحول إلى ذهب .

ولذلك ، اهتم السيميائيون القدامى اهتماماً كبيراً بالزئبق كأحد أركان الاكسير ، يقول جابر بن حيان : « لاتشد عليه النار فى أول التدبير فيفر » ، ومعنى ذلك أنهم عرفوا أن النار القوية تجعل الزئبق يطير ، وهذا صحيح علمياً ، فالزئبق يتبخر عند درجة حرارة ٣٠٠ مئوية ، أما النار الخفيفة فتحوله ببطء إلى أوكسيد الزئبق .

وقد حضر السيميائيون المسلمون الزئبق بتسخين « القنبار » ، وهو مادة ترابية حمراء إذا سخنت تحللت إلى كبريت يحترق وزئبق يبقى فى الإناء ، ولاشك أن خروج الزئبق بخواصه التى نعلمها من جسم ترابى وعودته إلى حالة التراب حين يتأكسد ، كل ذلك بالنار ، قد أوجد أمام هؤلاء السيميائيين مجالا واسعاً لتفسير طبائع الأجسام ، والحلم بالحصول على الذهب من الرمال أو المعادن الأخرى عن طريق التسخين . ومن الجدير بالذكر ، أن الحلم بالاكسير ، أو بتحويل العناصر من حالة إلى حالة أخرى لم يكن مقبولا من جانب بعض علماء المسلمين ، فابن سينا — على سبيل المثال — كان يرفض تماماً فكرة تحول عنصر إلى عنصر ، وله رسالة فى ذلك ، وقد ذهب بعض العلماء مذهب ابن سينا فى ذلك الرفض .

### تحضير الاكسير

اختلفت طرق تحضير الاكسير وتنوعت ، وكان السيميائى القديم لا يترك مادة يقع عليها بصره أو تطوف ذكراها بخياله دون أن يحاول اختبارها للحصول على الاكسير المزعوم ، وكان كتابع السراب يحلم بالماء فى الصحارى الجافة ، وكم كان الواحد منهم يذيب ويبلور صفوفاً كثيرة

من المعدنيات ومن الأملاح الطبيعية ، وكان يفعل الشيء الواحد مرة ، ومرتين ، وعشر مرات ، ومائة مرة ، فكان يذيب ويجبن ويكلس الشب والزاج الأخضر ، وكل مادة نباتية أو حيوانية ، سواء أكانت عشباً أو زهراً أو لحماً أو حتى روثاً ، يضعها فى الأنابيق وفى المعوجات ، ويعالجها بالغلى وبالترجيع وبالتقطير وبالتكثيف ، وبالصهر وبالاشعال ، وبالتبسيط وبالتكرار وبالتبخير ، وبالضم والقران ، وبالترفيع وبالتصعيد ، وبعمليات أخرى عديدة : فيزيائية أو كيميائية .

وقد جاء فى كتاب الملك أن الاكسير « قد يخرج — وحق سيدى — للكثير من الناس بالاتفاق — أى بالمصادفة — ويحصل فى أيديهم على غاية ما يكون من الفضيلة فلا يعرفونه ويضيعونه ، وقد يعرفونه بعدما يفقدونه ، فيجتهدون فى إعادته ثانية فلا يقدرون عليه إلى أن يموتوا بحسرته » ، وقال بعض السيميائيين : « إن تدبيره لا يفهمه إلا الواصل ، والواصل فى غنى عن ذلك » ، وقال جابر بن حيان : « إن العلماء كتمت وقت العمل فى كل تدبير » ، وكان جابر يوصي الباحثين عن الاكسير بالعمل فى السر ، حيث يقول : « بالله عليكم لا تجعلوا سهولة صنع الذهب تغريكم فتفضحوا سر صنعه ، أو تطلعوا أحداً ممن حولكم على طريقة صناعته ، كان هذا من كان ، وسواء أكان زوجكم ، أو كان ابنكم ، أو أحداً آخر ليس تجمعكم وإياه قرابة ، وأنتم إذا لم تنتصحوا بالذى أنصحكم به فسوف تندمون حين لا ينفع الندم ، إنكم إذا فضحتم السر فقد أفسدتموه ، ذلك أن الذهب من بعد ذلك سوف يصنع فى سهولة ، كالسهولة التى يصنع بها الزجاج للأسواق » .



ابن سينا .. كان يرفض فكرة الحلم بالحصول على الذهب من الرمال أو المعادن الأخرى

## فى العصور الوسطى

شغلت مسألة البحث عن الاكسير كافة الشعوب والمجتمعات ، وجميع طوائف الشعب الواحد . وفى أوروبا فى العصور الوسطى ، نجد بعض رجال الدين المسيحى يهتمون بهذه المسألة اهتماماً بارزاً ، مثل الراهب الفرنسى جتفريدس لوربيه والبابا جون الثانى عشر الذى شاع عنه أنه أقام معملا كيماوياً شهيراً فى مدينة أفنيون بفرنسا ، وعمل فيه بنفسه بغية صنع الذهب ، وأنه جمع لنفسه من تلك الصناعة ثروة بلغت ١٨ مليوناً من الفلورينات ، وأنه كان يحمى نفسه من منافسيه الكيميائيين بالأوامر البابوية يصدر منها الأمر بعد الأمر .

## حمى البحث عن الاكسير

وصلت حمى البحث عن الاكسير إلى ملوك أوروبا ، وكان الملوك فى انجلترا ، على سبيل المثال : ابتداء من عصر الملك هنرى الخامس ، يمنحون بين حين وآخر ، بعض الأفراد ترخيصاً بالاشتغال بمسألة صنع الذهب ، وكان هدفهم من ذلك أن يسيطروا على الذهب بأنفسهم .

كما تعرض بعض الملوك لعمليات نصب وخداع من قبل بعض الأفاقين الذين زعموا أنهم على دراية بسر صناعة الذهب من المعادن الخسيسة ، وكثر عدد الذين ادعوا أن النجاح كان حليفهم ، ومن أشهر هؤلاء عالم أسبانى يدعى ( رامون للى ) ، فقد نسب إليه أنه صنع ذهباً لادوارد الأول ملك انجلترا ، ولكنه بالطبع لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل فى الواقع يبدو أن ( للي ) كان من السيميائيين القلائل الذين لم يكونوا يعتقدون بأن تحويل الفلزات من الأمور الممكنة ، وبالرغم من ذلك ، فإن الناس كانوا متحمسين لتصديق قصة هذا الانجاز المزعوم !

وتحكى كتب التاريخ التى تتناول سيرة حكام أوروبا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كيف كان هؤلاء الحكام يميلون إلى تصديق السيميائيين الذين كانوا يزعمون لهم أن الذهب يمكن صنعه من الحديد ، مثال ذلك ما يروى عن كريستيان الرابع ملك الدانمرك الذى كان يضرب عملته الذهبية خلال المدة من ١٥٨٨ إلى ١٦٤٨ من الذهب الذى كان يصنعه له أحد السيميائيين ، وكذلك فعل فرديناند الثالث امبراطور الدولة الرومانية خلال الفترة من ١٦٣٧ إلى ١٦٥٧ .

على أن بعض الملوك والأمراء كانوا يتوعدون السيميائيين بأقصى أنواع العذاب إن هم فشلوا فى تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب ، وسجلات التاريخ مليئة بقصص من حياة دجالين افتضحوا وماتوا شر ميتة ، منهم ماركو براجادينو الذى شنقه أمير بافاريا ، ومنهم وليم دى كرونيمان الذى شنقه مركيز بيروث ، ومنهم امرأة تدعى مارى زجلرين حرقها يوليوس دوق برنزويك ، أما فريدريك أمير فرتزبرج فقد نصب مشنقة ، وجعلها قائمة دائمة ، يشنق بها كل من وعده بانتاج الذهب ولم ينتج ، ودهن هذا الأمير المشنقة باللون الذهبى إمعاناً فى السخرية والاستهزاء !

## وفى العصر الحديث تحقق حلم الاكسير .. لكن !

مع التطور العلمي الهائل الذى حدث فى القرن العشرين ، تحقق حلم الإنسان فى الحصول على الذهب من المعادن الأخرى الأقل قيمة ، ولم يكن الأكسير الذى استخدم لتحقيق هذا الحلم شيئاً معروفاً من قبل ، وإنما كان بعض المكونات الدقيقة للذرة التى عرف الانسان أسرارها مؤخراً .

لقد تمكن العلماء من الحصول على الذهب من فلز الزئبق الذى كان القدماء يحلمون بتحويله إلى ذهب ، وذلك عن طريق استخدام قذائف نووية من الجسيمات الدقيقة الذرية ، كما تمكن العلماء أيضاً من الحصول على الذهب عام ١٩٣٦ فى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك عن طريق قذف عنصري الايريديوم والبلاتين بنيوترونات ذات طاقة عالية ، إلا أن الذهب المتكون بهذه الطرق غير مستقر كيميائياً ، إذ أنه سرعان ما يتحلل بمجرد أن يتكون .

وقد تمكن العلماء مؤخراً فى جامعة كولومبيا من الحصول على الذهب من البلاتين عن طريق وضع البلاتين بجوار عنصر الراديوم المشع الذى تنطلق منه دقائق صغيرة تحول البلاتين إلى ذهب مشع ، وهكذا ، يتحقق قول الشاعر : « ولكن من الأحلام ما يتوقع » ، ولكن للأسف ، فإن البلاتين الذى يحضر منه الذهب أغلى ، وتكاليف عملية التحويل هذه باهظة ! !

**محمد عبد القادر الفقى**

### أهم المراجع :


١ — برنارد جاف — بواتق وأنابيق — ترجمة د . أحمد زكى — مكتبة النهضة المصرية ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة .

٢ — البحث عن العناصر — تأليف اسحاق اسيمون وترجمة اسماعيل حقى — مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٨ .

٣ — ألان هاريسون ، « الذهب » ، الولايات المتحدة — ١٩٤٨ .

# عندما تتحول الخضرة إلى أرقام



كان من المتوقع والميسور أن يضع صاحب هذا البيت لافتة معدنية تحمل هذا الرقم الواضح ــ أى ٥٠ ، لكن ذهنه تفتق عن فكرة مبتكرة وجميلة ، فراح يشذب جزءاً من الأعشاب النباتية النامية كسور حول منزله ، حتى أخرج منها رقم البيت ، وهو هنا قد ضرب عصفورين بحجر واحد ، أولهما أن يوضح لغيره أنه صاحب أفكار تنطوى على لمسة من لمسات الفن والجمال ، وثانيهما أن ييسر لزواره معرفة البيت دون أدنى عناء ، ولقد جاءت هذه اللقطة المثيرة كتعبير حي لما تنطوى عليه النفس البشرية من حب وميل لكل ما هو طبيعى ، ولاشك أن للناس فيما يعشقون مذاهب ، خاصة إذا كان فى هذا العشق ما يريح نفوس الآخرين .. ومع ذلك ، فهذه اللقطة متروكة لتقديرك ، فربما تستحسنها ، وربما يراها غيرك « تقليعة » لمجرد جذب الأنظار ، أو دعاية بدائية لصاحب الدار .





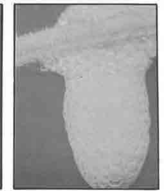
# جمال لا يراه الناس

يعيش العلماء حياة البشر فى حين ، وفى حين آخر يعيشون مع عوالم أخرى لا يراها الناس ، فهؤلاء يرون الظاهر ، لكن العلماء يرون كثيراً من الباطن ، وغالباً ما يكون هذا الباطن مطوياً على نظام جميل ، وتناسق عظيم ، وهذا ما توضحه تلك اللقطة الغريبة ، التى تبدو بتشكيلات مثيرة ، لأنها جاءت مكبرة بالميكروسكوب مئات المرات ، وهى ــ كما ترى ــ تنطوى على تناسق يعبر عن نفسه أجمل تعبير ، وكأنما هى من عمل فنان يقدر الزوايا ، وينظم الأشكال ، ويوزع اللمسات الجمالية بفن واقتدار .. ترى ، ماذا تعنى هذه اللوحة ؟ .. الواقع أنها لاحدى المواد التخليقية المعروفة باللدائن والتى تنتج من عمليات كيميائية يطلق عليها البلمرة ، اى التى تتشابك فيها جزئيات المادة الصغيرة المتجانسة ، لتؤدى الى جزئيات أكبر فأكبر ، فيظهر على أساسها النايلون أو البولى استر أو الباكالايت .. الخ ، والصورة توضح بلمرة مادة السيليكون ( الرمل ) عندما صهر ثم تجمد ، ثم قطع الى شرائح رقيقة ، فظهر تحت عدسات الميكروسكوب على هيئتين مختلفتين ، وللعلماء فى هذه التكوينات شرح وتعليل يتشعب الحديث فيها ويطول ، وأيا كانت الأمور ، فان العين البشرية قاصرة عن رؤية ما تنطوى عليه هذه العوالم الدقيقة من نظم مثيرة ، ولهذا فما أعظم ما يخفى على الحواس ، وما أكثر مالا يراه الناس .



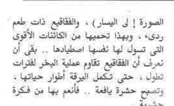
# بيت من الفقاقيع

كل كائن حي ينشد الأمان ، ويطلب الحماية ، ولكل وسيلته التى يراها مناسبة وفعالة ، وفى ذلك تختلف الكائنات اختلافاً عظيماً ، لكن أحياناً يجيء تصميم البيت بأنماط غريبة من مواد البناء ، الا أن أغرب نمط هو ما تراه فى هذه اللقطة ، فلقد غاب صاحب البيت واختفى تحت سقف من الفقاقيع ( الى اليمين ) ورغم أن الفقاقيع واهية ، الا أنها فعالة ، وتخدم الغرض تماماً ، بدليل أنها قد عبرت بأجيال المخلوق الذى يسكنها عشرات الملايين من السنين ، هذا وصاحب بيت الفقاقيع يسمى « الباصوق » .. وهو اسم على



مسمى ، لأنه يبصق لعابه على هيئة رغوة ذات فقاقيع ، وله فى ذلك وسيلة مبتكرة ، تشبه فكرة مضخة ماصة كابسة ، فعندما تقف يرقة الباصوق على سطح نبات غض ، تمتص عصارته ، وتخلطها بمادة لعابية تشبه الصابون ، ثم تضخ الخليط مع شيء من الهواء ، فيتحول الى فقاقيع ( بدايتها فى





الصورة إلى اليسار ) ، والفقاقيع ذات طعم ردىء ، وبهذا تحميها من الكائنات الأقوى التى تسول لها نفسها اصطيادها .. بقى أن نعرف أن الفقاقيع تقاوم عملية البخر لفترات تطول ، حتى تكمل اليرقة أطوار حياتها ، وتصبح حشرة يافعة .. فأنعم بها من فكرة حشرية .



# وبيت من الخشب



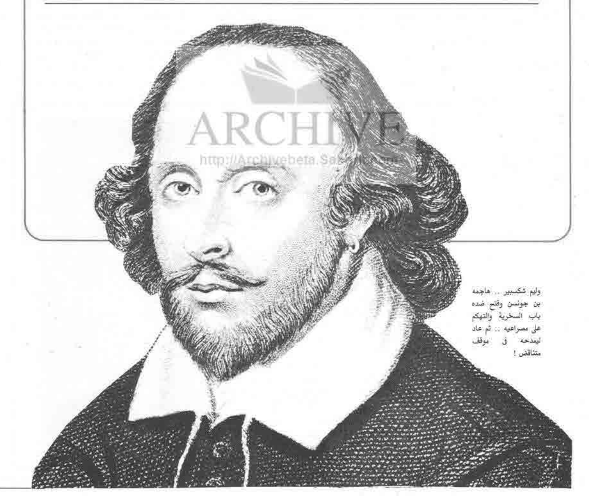
الحياة حرص وتنمر وحذر ، ومن لا يأخذ حذره ، فلا يلومن الا نفسه ، يستوى فى ذلك أرقى وأضأل المخلوقات ، وهذه اللقطة المثيرة خير تعبير لتلك الحقيقة ، إذ هى لدودة أو يرقة تعرف باسم دودة الحقيبة ، والاسم أيضاً على مسمى ، فهذه الدودة تخرج الى الحياة ضعيفة ، وكأنما هى تدرك أن القوى يأكل الضعيف ، ولكى تؤمن على حياتها ، راحت تبنى لنفسها بيتاً ، لتحتمى فيه ، وتأوى إليه ، وهى تبدأ أولا فى طلب الحماية قبل أن تطلب الطعام ، وحسناً فعلت ، والا راحت فى خبر كان .. من أجل هذا تهديها غريزتها منذ الصغر الى تجهيز « خوذة » من القش الصغير ، فتضم القشة بجوار القشة بخيوط من حرير ، وتغطى بها رأسها ، وجزءاً من جسمها ، وبمرور الزمن تأكل وتنمو وتكبر ، ولابد أن يتسع سكنها ، ليوافق نموها ، وعندئذ تبحث عن خامات أكثر صلابة ، وأكفأ تمويها ، فتقطعها من مصادرها ، وترصها وتثبتها بمزيد من خيوط الحرير ، وبهذا تحمل بيتها الخشبى على ظهرها وبه تسير ، ولولا هذه الصورة الواقعية لظن البعض أن ذلك ضرباً من الأساطير !

# ناقد كبير يفتري على شكسبير

● لماذا شنّ بن جونسن حملة عنيفة ضد شكسبير بعد وفاته ووصفه بأنه كان فناناً مضحكاً ؟

بقلم : عبد الحق فاضل

ليس مستغرباً من ضعاف الأدباء أن يتورطوا في نقد مالا يفهمون ، لكن من المستغرب جداً من أديب وشاعر ومؤلف مسرحي خطير مثل بن جونسن (١) أن يتدهور في وهدة كهذه تتوارثها الأجيال . وأكثر غرابة ألا يتصدى فرد من الشراح الشكسبيريين لدحض خطأ جونسن دفاعاً عن صواب شكسبير .





وليم شكسبير .. هاجمه بن جونسن وفتح ضده باب السخرية والتهكم على مصراعيه .. ثم عاد ليمدحه في موقف متناقض !

قال بن جونسن في كتابه ( خشب ) عن شكسبير : «لقد سقط مراراً في تلك الأشياء (٢) فلم يستطع أن ينجو من الضحك ، فمثلاً قال أحدهم لقيصر (٣) : قيصر انك تظلمني ، فأجابه : إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل ، وأشباه ذلك ، ما كان مضحكاً » ( ٣ : ١ ) .

إن بن جونسن الذي كان يعد أكبر كتاب المسرح وأبرز شخصية أدبية في بريطانيا ، بعد وفاة شكسبير ، هو الذي يسقط هنا سقطتين كبيرتين .

أولاهما مرفوضة حتى لو صدرت عن بعض المبتدئين من المسرحيين .

فان من البداهة أن ما يقوله شخوص التمثيلية إنما يعبر عن نفس المتكلم لا عن نفس المؤلف .

فهذه العبارة التي أضحكت جونسن لم يقلها شكسبير ، بل قيصر .

وقيصر — لا شكسبير — هو الذي يحاسب على ما فيها من خطأ إن كان فيها خطأ .

فلمَ لا نقول ، بل لَم يقل بن جونسن الذي يحسب العبارة مغلوطة متناقضة مع نفسها باعتبار الظلم والسبب العادل لايجتمعان — أنها من هفوات قيصر التعبيرية ، أي أن شكسبير أراد بها تصوير أسلوب قيصر في الكلام ، بدلاً من عدها من هفوات المؤلف ؟ لكن بن جونسن لم يميز بين قيصر وشكسبير .

**وعَمَى التمييز بين المؤلف وشخصياته آفة قاصمة لظهر الفن .**

ولو كان ما يقوله الشخوص معبراً عن شخص المؤلف لاالتزموا جميعاً بمنطق واحد — سديد أو **فاسد — ولا نهار مبدأ الحوار وانتقص الفن المسرحي من أس قواعده .**

وهل انتقد جونسن يا ترى قول اكتافيوس زعماً أنه كلام شكسبير : « إن بعض من يبتسمون لنا أخشى أنهم يضمرون في قلوبهم ملايين الإساءات » **( في المسرحية ١/٤ : ٥٠ ) . باعتبار أن الاساءات مهما كثرت لا تعد بالملايين ؟**

ثم إن كلمة قيصر تلك التي يزدريها جونسن ويضحك منها ضحكاً بلغ صداه مسامعنا عبر القرون ، ليست صحيحة فقط بل ورائعة . إنها تطبيق بارع للقالة العربية القدمَى : « البلاغة الايجاز » ، فقوله « إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل » يفهم البلغاء وأهل الفطنة انه يعني « إن قيصر لم يظلم قط ( ولم يعاقب ) إلا بسبب عادل » .

وبديهي أن هذه الصياغة الأخيرة أوضح من عبارة شكسبير المكثفة وأقرب إلى بساطة الفهم .

لكن هل هو شكسبير الذي تجوز مطالبته بالتبسيط والتسطيح ؟

هذه القالة الشكسبيرية تذكرنا بالآية الكريمة : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ( الأنعام — ١٥١ ) . والمعنى الذي يفهمه بن جونسن من هذه الآية : كيف يمكن قتل النفس ( التي حرم الله ) بالحق ؟ أما ما يفهمه ويعجب به الفاهمون فهو « لا تقتلوا النفس إلا بالحق ، فان الله حرم قتلها بغير حق » .

الشاعر والمؤلف المسرحي بنجامين جونسن الذي شن حملة عنيفة طائلة ضد شكسبير

لكن تركيز المعنى بإزالة المكرر ، وإعادة صياغة العبارة بقلبها هذه القلبة الفنية المثيرة ، جعلها مرصوصة مشحونة على هذا الشكل . واذا بالمعنى أعلى وأغلى وأحلى .

ولم يتطرق المفسرون فيما يظهر ، حتى الزمخشري في كشافه إلى هذه النقطة ، بل النكتة البلاغية ، واكتفوا من تفسير الآية بناحيتها العقابية ، ربما لأنهم عدوها أوضح من أن تحتاج إلى مزيد وضوح .

آية مكتنزة أخرى : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ( النساء — ٢٩ ) . ليظن جونسن إذا هو قرأها أنها تعني جواز أكل المؤمنين أموالهم بينهم بالباطل اذا كانت تجارة عن تراض منهم .



ويلحظ القارئ من غير ريب ما في تعبير ( لا تأكلوا أموالكم بينكم ) من إختزال فني لتعبير ( لا يأكل بعضكم أموال بعض ) أو ( لا تأكلوا أموال بعضكم بعضا ) .

وفي القرآن عينات كثيرات من روائع الاختزال يتمثل فيهن فن البلاغة بالحذف . وهي فيما نعتقد من جملة المفاتن النفسانية والذوقية التي خلبت ألباب عرب الحقبة بالبيان القرآني .

وإنما تكمن لذة عبارة شكسبير المتلثة الحبلى تلك في هذا الالتواء والتناقض الظاهري .

وهي أنفس من عشرين عبارة مسطحة يصوغها لنا جونسن لأداء هذا المعنى . وكأني بشكسبير قد قال : إن قيصر لم يعاقب بريئاً إلا بالحق .. تلك إذن غلطة جونسن لا غلطة شكسبير .

قال بروتس في خطابه يبرر إشتراكه في اغتيال قيصر : « ... لا لأني أقل حباً لقيصر ، لكن لأني أكثر حباً لروما » .

في المنطق الأرسطوي لا يمكن أن يكون بروتس أكثر حباً لروما إلا إذا كان أقل حباً لقيصر ، لكن هذا الخلل الشكلي والتداخل في المعنى ، والتنازع بين الأقل والأكثر ، أجمل وأقوى إيحاء مما لو قال « قتلته مع حبي له لأن حبي لروما أكبر » .. وأوقع كذلك في قول أرسطو نفسه فيما أثر عنه : « إني أحب أفلاطون لكن حبي الحقيقة أكبر من حبي أفلاطون » — أو كما قال — مع تسجيل إعجابنا بهذه المقولة .

فكيف يا ترى غفل جونسن عن الضحك من قولة بروتس هذه أيضاً ، في نفس المسرحية ؟ أم تراه انتقدها شفاهاً ، أو تحريراً ولم تحفظها السجلات فحملتها الريح ؟

على أن عبارة شكسبير — أو قيصر — إن قيصر لم يظلم إلا بسبب عادل ، لم ترد بهذا الشكل في الفوليو الأول (٤) لأنها حرفت بتأثير انتقاد جونسن على الأرجح ، فجاء النص في الفوليو هكذا : « اعلم أن قيصر لا يظلم ، ولا هو بغير بينة يمكن اقتناعه » ( المسرحية ١/٣ : ٤٧ و ٤٨ ) .

كلام سليم لكنه عادي وبارد إذا هو قيس بصيغة شكسبير التي ذهب سحرها بهذا التبسيط ، وغدت أقرب إلى ذوق بن جونسن ومتابعيه وهم فيما يظهر جميع النقاد والشراح منذ قرابة أربعة قرون حتى الساعة .

منطق ومنطق .

منطق بن جونسن ومنطق شكسبير ، كلاهما صحيح . والفرق بينهما كالفرق بين ( ١+٢=٣ ) والرياضيات العليا .

ونحن إذ نعيد إلى التحفة الشكسبيرية اعتبارها هنا نشكر لجونسن الذي سبب هذا التحريف أن أطلعنا على طراز الكلام الذي يضحكه .

وها هو شكسبير يرد عليه ضحكه كاملاً مع الفائض .

ما أكثر من المؤلفين من يدرجون انتقاد جونسن بنصه في كتبهم دون أن يبدي واحد منهم رأيه فيه أو يعترض عليه انتصاراً لشكسبير كأنهم مجمعون مع بن جونسن على تخطئته .

وأحسب ذلك قد استفز شاعر العرب المتنبي ، فقال نيابة عن أخيه في العبقرية :

أتيت بمنطق ( الفن ) الأصيل
وكان بقدر ما ( حلقت ) قيلي (٥)
فعارضه كلام كان منه
بمنزلة النساء من البعول !

— مع المقدار المناسب من اعتذارنا إلى النساء عن تفريط شاعرنا بحقهن .

## فرار التمييز

على أثر انتهاء بروتس القاتل من خطابه الذي هيج به العامة فهتفوا له وتنددوا بقيصر القتيل ، ارتقى المنبر انطونيو ، ومن جملة ما قال في خطابه التأبيني على جثة قيصر :

كلكم أحببتموه ذات مرة ، لا لغير سبب .
فأي سبب يمنعكم إذن أن تندبوه ؟

إيه أيها التمييز ، لقد فررت إلى البهائم العجماء ،





فعدم البشر عقولهم . ( ٢/٣ : ١٠٤ ــ ١٠٧ )
وكان ( فرار التمييز ) إلى البهائم مادة لانتقاد جونسن وسخريته كذلك .

وفي مسرحيته (كل امرئ معتكر المزاج ) (٦) عرض بشكسبير في عدة مطاعن من جملتها قول أحد الشخوص متهكماً : « إن العقل فر منذ عهد بعيد إلى الحيوانات ، كما تعلمون ، » وقول آخر في مسرحية أخرى « عندئذ فر العقل إلى الحيوانات ، فيما أرى » .

يلاحظ أن انطونيو ، صديق قيصر ، بل أصدق أصدقائه ، كان يخطب الجمهور بعد أن أوغرهم بروتس على قيصر الذي كانوا يهتفون له ويمجدونه أمس وحسب ، واذا بهم يذمونه اليوم .

فأراد أنطونيو أن يبكتهم على هذا التقلب ، وأن يشتمهم ، لكنه بدلاً أن يقول لهم في غيظه أنهم أحط إدراكاً من البهائم ، بهذا التعبير الغليظ المكشوف ، قالها على طريقته المواربة ، المبطنة ، شبه المهذبة ، بعبارة تؤدي المعنى دون أن تخدش مشاعرهم الكثيفة ، لأنه يريد استجلابهم إلى قضية قيصر القتيل لا تنفيرهم .

وهو أسلوب برهن جونسن نفسه على أنه ناجح جداً ، إلى حد أنه هو الأديب الفهامة لم يدرك المراد بالعبارة ، ناهيك بجمهور العوام .

ولا هو ــ جونسن ــ فطن إلى أن مثل هذا الموقف كان قد وقفه ( مارللوس ) في المشهد الأول من الفصل الأول من نفس المسرحية ، حيث عنف العامة تقريعاً لهم على نسيانهم ( بومبي ) الذي أحبوه ذات زمان ، قبل أربع سنوات (٧) ، فانهال عليهم سباً ، صريحاً ، مباشراً ، غير مقنع :

يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور (!) إيه أنتم يا غلاظ القلوب ، يا رجال روما القساة .أما عرفتم بومبي ؟ ( ١/١ : ٣٥ ــ ٣٧ )

أنطونيو كان أكثر كياسة مع غوغائه .
انه رفع مرتبتهم فجعلهم أحط إدراكا من البهائم فحسب ، بدل الجمادات .

ثم هو يستهويهم ببلاغته وضربه على أوتارهم العاطفية . وعندما أفلح في إعادتهم إلى حب قيصر وانحيازهم إليه أخبرهم بأن قيصر أوصى للشعب بكل ممتلكاته ، فطالبوه بقراءة الوصية . فكان من ألاعيبه الخطابية أن قال لهم لتهييجهم : « ما أنتم خشب ، ما أنتم حجارة ، وإنما أنتم بشر (!) .. وما دمتم بشراً فلئن سمعتم وصية قيصر لتؤججن فيكم ناراً » ( ٢/٣ : ١٤٤ ــ ١٤٦ ) .

رد الاعتبار ــ من حيث قصد أو لم يقصد ــ إلى بشريتهم حين انقلبوا علىّ بروتس هذه المرة بعد انقلابهم على قيصر .

إن فرار العقل أو انتقاله من شخص إلى شخص ، في المعاني المتكررة عند شكسبير في مختلف مسرحياته ، و ( فرار العقل ) في مسرحيته ( يوليوس قيصر ) تخفيف لقول ( مارللوس ) «يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور » آنفاً ، وتشديد لقول كاسيوس في نفس المسرحية « لقد هلكت عقول آبائنا فغدت تحكمنا نفوس أمهاتنا » ( ٣/١ : ٨٢ ــ ٨٣ ) .

وعلى سبيل المثال وحسب نذكر قول القائد الفرنسي في مسرحية ( هنري الخامس ) عن الجنود الانكليز « إن الرجال يشبهون الكلاب في قوة أجسادهم وخشونة طباعهم ، ويتركون عقولهم عند زوجاتهم » ( ٧/٣ ص ١١/١٢٢ ) .

وليس المقصود أن الزوجات أصبحن عاقلات حكيمات بل إن الأزواج أجساد قوية بلا عقول .
ولا ننس أن نكتة ( فرار العقل ) التي سخر منها جونسن إنما قالها أنطونيو ، لا شكسبير ، وهو المسؤول ــ مسرحياً ــ عما فيها من خطأ أو صواب .

وقالها لهم بعد تمجيدهم قيصر وانقلابهم عليه بعد خطبة واحدة . لم ينسوه فقط مثلما نسوا (بومبي ) بل جعلوا يثلبونه .
والمقصود طبعاً في جميع الحالات مجموعة الجماهير لا أفراداً معينين منها .

وهذه أيضاً غلطة بن جونسن ، لا غلطة شكسبير . وجدير بالملاحظة كذلك أن انطونيو قال إن الذي فر إلى العجماوات هو التمييز( Judgment ) الذي يتعرف به المرء الخير من الشر والحق من الباطل ، وأن فراره صير البشر كأنهم فقدوا العقل كله ، لا ملكة التمييز فقط ، لكن جونسن لم ( يميز ) بين العقل والتمييز فقال في المرتين من سخريته أن العقل ( Reason ) هو الذي فر .

إن ذنب شكسبير أن جونسن ومتابعيه لم يستوعبوا هاتين العبارتين الشكسبيريتين الفنيتين .
وهنا ينبري شاعرنا المتنبي مرة أخرى ، ليقضي بين شكسبير ومخاصميه :

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وما دام جونسن قد فتح باب السخرية والتهكم على مصراعيه فمن حق شكسبير كذلك أن يتهكم ويسخر .

ومن غرائب المصادفات أن شكسبير قبل أن يعلم ما سيصيبه من مسرحيته هذه من أباطيل النقاد ، جازاهم فيها على ما سبق أن قدمت أيديهم من انتقادات واهية شفهية وربما تحريرية أيضاً من جونسن وغيره ، فأعد لهم منصوبة (٨) لا أعرف لها مثيلة في سخريتها وفي عمقها وبراعتها ، هي أنه جعلهم يفهمون عكس ما يقرأون ، مما سنميط عنه النقاب حين يأتي دوره عند تناولنا المسرحية .

فكأنما حجز جونسن في المسرحية مكان الصدارة لنفسه بين طائفة النقاد والشراح الذين استطاع شكسبير أن يغشي على أبصارهم أجمعين ، قرابة أربع مئات من السنين .

## بحر بوهيميا

عام ١٦١٩ ، بعد ثلاثة أعوام من وفاة شكسبير ، قال جونسن لأحد أصدقائه : « كان شكسبير يعوزه الفن » .

ذلك أن شكسبير « أدخل في مسرحيته ( حكاية الشتاء )(٩) عدداً من الرجال يقولون إنهم نكبوا بغرق السفينة في بوهيميا ، حيث لا بحر في الجوار إلى نحو مئة ميل » ( ٤٧/٤ ) .

هذه غلطة جغرافية لا فنية ، في مفهوم عصرنا . غير أن جونسن معذور لأن الجغرافيا كانت عنده فناً .

والظاهر بالاضافة إلى مفهومه هو أن تعبير ( الفن ) كان القوم يستعملونه بمعنى العلم فعلاً كالذي وجدناه مثلاً في قول الكاهن ( وارد ) : « سمعت أن مستر شكسبير كان ذكياً بالفطرة دون أي فن قط » ( ١٤/٥ ) ــ أي دون تعلم .

وبهذا المعنى وحده يمكن فهم قول بن جونسن في تقريظه لمجموعة المسرحيات بعد سنوات أربع :
« يجب ألا أعزو إلى الطبيعة كل شيء ، فإن فنك يا شكسبير المهذب ، يجب أن يحظى بنصيبه . فان الشاعر الحق يصنع ، مثلما أنه يولد » .

أي أن معارفه يجب أن توفى حقها من التقدير إلى جانب موهبته . فعلى هذا يكون معنى انتقاد جونسن آنفاً هو (إن شكسبير تعوزه المعرفة ) ، وهي هنا المعرفة بجغرافية بوهيميا .

فلو كان جونسن في مكان شكسبير لكان « يمضي حالاً إلى أقرب خبير جغرافي ، ويمحص القضية تمام التمحيص قبل أن يضيف سطراً واحداً إلى مسرحيته » ( ٢/ ٢٠٤ ) .

فاذا دافع المنكران عن صاحبهما هناك فما دفاعهما هنا ؟

إن الأمر أهون من هجوم جونسن ودفاع المنكرين على كل حال ، فقد وجدنا أن شكسبير إنما استعار « ساحل البحر من قصة خيالية لروبرت كرين كان يعمل فيها في تلك الآونة ، ولم يخطر له أن يتحرى المسألة » ( ٢٠٤/٢ ) . وما كان ليتحراها حتى لو خطر له أن يفعل .

وما كان ليحجم عن خلق محيط في بوهيميا أو في أي مكان إذا اقتضت حبكته ذلك ، عامداً لا مخطئاً فقط .

الدراما هي التي تهمه لا الجغرافيا ولا التاريخ .

إن تقييم المسرحيات لا يقاس بمقدار ما فيها من علم وجغرافيا بل بمقدار ما تختزنه من فن وتجاوب مع النفس الانسانية ، وبراعة .

## تهجمات أخرى

لم تقتصر تهجمات بن جونسن على شكسبير على ما تقدم وإنما أورد في مسلاته ( كل امرئ معتكر المزاج ) تعريضات مختلفة بشكسبير منها تلميحات إلى مسرحيته ( هنري الرابع ) ومنها وخزات في ( يوليوس قيصر ) على الأخص مثل ايراده تعبير « أنت أيضاً يا بروتس ؟ » .

في هزل عابث ، بالاضافة إلى ما سبق ذكره من ( فرار العقل إلى الحيوانات ) وبالإضافة إلى ( عدم الظلم إلا بسبب عادل ) ، وإلى السخرية من شعار النبالة الذي كان قد منح لوالد شكسبير ثم ورثه عنه شكسبير .

يعقب ( هالليداي ) على هذا بقوله ما موجزه : «ربما كان الرد السريع على هذه الطعنات المازحة هو أن شكسبير تناول جونسن المعارض للابتداعية ( الرومانسية ) في أشد مسرحياته ابتداعية — فمثله في شخصية ( جاك ) السوداوي ... ووسمه باسم يدل حالاً على جونسن لمن كانت له أية معرفة بالفرنسية . وكان جونسن قد وصف نفسه في شخصيته ( أسبر **Aspar** ) ومن دون تواضع كاذب بأنه « ذو روح مبدع حر ، مولع ومتماد في التقريع دون خوف متحكم في مساوىء العالم ... » ، .. مع هذا إن كان جاك ضربة لجونسن فقد كانت المباراة ودية ولم تكن ضغينة في صورتها الكاريكاتورية » ( ٥/ ١٨٠ ) .

ونعتقد أنه لابد أن لجونسن انتقادات أخرى شفوية كذلك كان يدلي بها لشكسبير نفسه أو لغيره من الناس .

ولسنا نعرف شيئاً عن المناقشات الفنية التي كانت لا محالة تجري بينهما — تعقيباً على



قيصر .. الذي قال عنه بروتس بعد أن اشترك في قتله : لا لأني أقل حباً لقيصر .. لكن لأني أكثر حباً لروما

كان جونسن يلتزم في التأليف المسرحي بحقائق العلم ومدونات التاريخ ، ويدرس المراجع ويحقق ويدقق ، ويخضع فنه لمعلوماته لا معلوماته لفنه .. على حين أن شكسبير يتعمد — كما فعل في ( يوليوس قيصر ) مثلاً — أن يجانب التاريخ أو يعاكسه أحياناً .

وما يهمه - إذا تطلب فنه — أن يحور ويحرف .

المنكران (١٠) اللذان يدعيان أن المؤلف شكسبير الحقيقي هو ( ايرل اكسفورد ) يتطوعان للدفاع عنه بقولهما متحمسين : « إن الذين تابعوا جونسن في السخرية من إشارته إلى ساحل البحر في بوهيميا إنما فضحوا جهلهم بأن بوهيميا في أوج سطوتها كانت تمتد إلى البحر الادرياتيكي » ( ٦/ ٦٧ ) .

لكن هل وقعت أحداث المسرحية في ذلك العهد ؟ ثم أن هذه ليست الغلطة الوحيدة في جغرافية شكسبير فإن لها في مختلف مسرحياته لمثيلات .

فبحره في بوهيميا يشبه بحره الوهمي بين ميلانو وفيرونا مثلاً حيث لا بحر ولا سفر من إحدهما إلى الأخرى إلا على اليابسة (١١) .



## ناقد كبير يفتري على شكسبير

مسرحياتهما ومسرحيات سواهما من المؤلفين ـ لكننا نستطيع أن نرجح أنها كانت هادئة ، لأن « شكسبير كان واحداً من الكتاب النادرين الذين لم يشتبك معهم بن جونسن في شجار علني قط » (٢/٢٠٣) .

### ندرة الشطب

همينكز وكوندل (*) ، رفيقا شكسبير اللذان عملا معه في التمثيل وفي تمثيل مسرحياته على الأخص أكثر من عشرين عاماً قالا إنه « كان ذهنه ويده يسيران معاً ، فما كان يفكر فيه كان يقوله بتلك السهولة ، حتى أننا يندر أن تلقينا منه شطباً في أوراقه » .

حقيقة واقعة قد يذهب الوهم بأحد مذهب الشك في صدقها والظن أن الصديقين الوفيين قد افتعلاها أو بالغا فيها ، لولا أن جونسن شهد بها متذمراً وعابها على نحو ينبئ أنها خصلة كانت شائعة عن شكسبير وكان اصدقاؤه ما يفتأون يذكرونها ويشيدون بها مما أثار غيظه ، بينما كان هو ، بن جونسن ، متأنياً ومدققاً في كتاباته .

سجل في دفتر مذكراته في سنوات لاحقة : « إني أتذكر أن الممثلين كثيراً ما ذكروا كمفخرة لشكسبير أنه مهما سطر في كتاباته لم يشطب سطراً قط . وكان جوابي : ليته شطب ألفا ، فكانوا يحسبونه كلام موجدة ، إني لم أقل ذلك للأجيال التالية بل خاطبت جهلهم الذي اختار تلك الظاهرة لإطراء صديقهم في ما هو على أشد الخطأ فيه ، كان لطيف التعابير ، حين يتدفق بتلك السهولة التى كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف » (٤/٥٠) .

أما هذه فأشهد أن جونسن محق فيها . ولعلنا لو أحصينا السطور التي كان يحسن بشكسبير أن يشطبها من مسرحياته الست والثلاثين لأربت على الألف .

وإن كان المتفق عليه في فن المسرح أن من خصائصه التركيز فإن هذه الخصلة لم تكن دائماً من سجايا شكسبير ، فهو كثيراً ما يتبسط من غير داع في حديثه فتسحبه نشوة الكلام وتدفق القريحة الى مسافات بعيدة عن صدده .

وعجيب أن تفوت شكسبير مثل هذه البديهية غير ما مرة في مسرحياته .

ولا ينقضي عجبنا إلا إذا اكتشفنا أن أمثال هذه السطور المطنبة مدسوسة على شكسبير ، لكن نقد جونسن ينبئ أنها واقع حق .

ويبقى مبرر آخر يشفع لشكسبير في أمثال هذه الهفوات وكل أنواع الهفوات بوجه عام هو أنه لو كان يعيد النظر فيما يكتب لهذب وشذب .

ومبرر ثالث هو أخطاء النسخ والطبع التي ليس في مستطاعنا تقدير مدى تخريبها ، والتي تمنى الزميلان الناشران معها أن لو كان شكسبير حياً ليصحح مآثره بنفسه .

أما نقد جونسن هذا فسواء أكان يمازجه شيء من موجدة وحسد أم لم يكن فأنا شخصياً أعتقد أنه مصيب فيه .

إن تأليف تلك المسرحيات الباهرة دون شطب وتنقيح إلا النادر ، يبدو غريباً لايكاد يقبل التصديق . لكن « كان لشركته فيما بعد كاتب آخر هو (جون فليجر) الذي كان يعمل بنفس الطريقة » ، وقد قال ناشره : « إن كل ما رأيته من يد مستر فليجر كان خلواً من التحشية بين السطور . ويؤكد أصدقاؤه أنه لم يكتب شيئاً مرتين » .

ويبدو أنه كان يملك تلك الموهبة النادرة في أن يهيئ ويتيقن كل شيء أولاً في ذهنه » .. » (٢/١٥٦) .

ولا نعرف مستوى انتاج فليجر ، لكني أعد ارتجال روائع شكسبير من أعاجيب الدنيا . وهذا الارتجال يبرر الكثير من المآخذ التي كان يجب أن تكون أكبر وأكثر .

### شخصية الأديبين

ومن يكون بن جونسن هذا ؟

إنه رجل مزاجي ، خشن الطباع ، تياه بنفسه ، تدرّ من أدباء زمانه من لم يشتبك معه في مخاصمة أو مهاترة ، و « حين كان يكدح في سطوره التلاوية (الكلاسيكية) المضبوطة ، كان يعيش حياته في تطرفات عنيفة : عرف غيابة السجن ، ثم دخل السجن ثانية لقتله ممثلاً زميلاً (في مبارزة) . وقد أزعج السلطة بانقلابه كاثوليكياً خلال مدة السجن .

وبعد اثنتي عشرة سنة ارتد ثانية بدرجة من الحماس أشد .

وكانت له حزازات مع أناس مسالمين ، وقد ضرب (جون مارستن) وأخذ مسدسه وأخاف (مايكل دراتين) ، وأهان (إينيكو جونز) العظيم .

كان يحب النكات العملية .

وقد صارح رجلاً مزهواً مثل الملك جيمس في وجهه بأنه لايملك أذنا موسيقية .

كان شريباً مكثراً جداً ، « محباً عظيماً لنفسه ، مداحاً لها ، ورجلاً يحسن الحب ويحسن البغض معاً ، منفعلاً في رقته وغضبه ، غير مبال بأن يكسب ويدخر » .

« صديقه وليم شكسبير يكاد يكون على تمام التضاد . وعلى قدر ما تظهره كل الدلائل المتيسرة ، لم يكن قط في السجن ، ولم يقاتل أحداً في مبارزة ، ولم يحمل ضغينة مطلقاً .

وكان متدبراً جداً في نقوده .

وقد عاش وعمل عشرين سنة بانسجام مع نفس الزمرة من الرجال » (٢/٢٠٤ و ٢٠٥) .

أي أن شكسبير وبن جونسن أشبه بالموجب والسالب في الصورة الفوتوغرافية ، ما تراه أبيض في هذه تجده أسود في هذه . لكن لا في السلوك وحسب بل في الفن أيضاً .

وكلاهما متناقض مع نفسه .فبقدر ما كان شكسبير حريصاً مدبراً في أمواله ومتحفظاً ورقيقاً في سلوكه كان منطلقاً متحرراً سادراً في فنه ، عنيفاً سفاحاً في مسرحه ، علاوة على كونه كثير العبث بالحقائق التاريخية والقوانين الفنية المتعارف عليها .

يقابل ذلك استهتار جونسن بالمال وتسيبه في التصرفات مع حرص شديد على المواصفات المسرحية ورعاية القواعد والألفاظ وطرق التعبير التلادية وتحريم العنف في اللفظ والحركة على الخشبة وما الى ذلك مما نَسَفَه شكسبير ولم يتقيد منه إلا بما يلائمه في الوطن الملائم له ، نزولاً على حكم الحبكة الفنية والاثارة الدرامية والمصلحة التجارية لجذب أوسع جمهور إلى مسرح شركته .

وعنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته واستقامته على خشبة الحياة ، يناظر عنف جونسن وتسيبه في سلوكه على مسرح الحياة مع تحفظه الزائد على مسرح التمثيل .

انطلاق في الفن وتقيد في الحياة يقابله انطلاق في الحياة وتقيد في الفن ، وكأن كل واحد منهما يعوض بقلمه عن ممارساته في حياته .

### تصفيته الحساب

بعد كل هذا ترانا نتساءل حيال هذه الاختلاطات :

ما موقف بن جونسن من صديقه الحميم اللدود شكسبير ؟ ويالها صداقة عدائية تنافسية بين رجل فظ كبير القلب من أشد الرجال تطرفاً في زمانه ، وآخر من أرصنهم وأكثرهم دماثة .

إنها مواقف لا موقف .

موقف سوء فهم يشوبه سوء نية ، في مثل التشنيع التهريجي على (الظلم بسبب عادل) و (فرار التمييز إلى العجماوات) وموقف سوء نية خالص مثل الطعن ، والسخرية من شعار النبالة الممنوح لوالد شكسبير .

ثم موقف حسد كالذي يكون عادة بين أبناء الحرفة ، ولا سيما أن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظارة كالمغنطيس بينما كانت مسرحيات بن جونسن التي يعتز بها ويكدح في تدبيجها بعد مراجعة المصادر العلمية والتثبت من صحة كل خبر وقضية ونظرية ولفظة فيها ـ تمثل في قاعات شبه خاوية ، وأحياناً في نفس القاعة التي تعود فتكتظ بالنظارة حين تمثل فيها مسرحيات شكسبير .

**● عنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته على خشبة الحياة.. يناظر عنف جونسن في حياته وتحفظه على مسرح التمثيل!**

**● هل هو موقف حسد.. لأن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظّارة كالمغناطيس.. بينما مسرحيات بن جونسن تُمثَّل في قاعات شبه خاوية؟!**

ثم هناك موقف الخلاف العقائدي في فهم ( الفن ) من قبيل الاعتراض على غلطة البحر الموهوم في بوهيميا خلافاً لما تصرح به الخرائط الجغرافية والتقيد بالوحدات الثلاث ( وحدة المكان والزمان والموضوع ) ، وتحريم الألفاظ الجديدة ، واستهجان العنف في المقال والفعال على المسرح حتى أنهم كانوا يستعيضون عن حوادث القتل بدخول رسول ينبئ الحاضرين بمصرع فلان على يد فلان ، فجاءهم شكسبير ليعرض على الخشبة مبارزات بالسيوف ومشاهد تقتيل ، إلى آخر ما خرقه من قوانين فنية مطاعة .

وأخيراً هناك موقف النقد النزيه لتدفق شكسبير في الكتابة دون ضبط ولا تنقيح .

ولئن كان جونسن قد آذى شكسبير بأية من الصور وبأي من الدوافع فان إيذاء شكسبير لجونسن قد كان أكبر وأوجع ، ولو عن غير قصد ، في ثلاثة شؤون على الأقل : خروج شكسبير في فنه على القواعد التي يؤمن بها جونسن ولا يستطيع عنها حولا ، وتفوقه الفظيع في الموهبة والنبوغ ، ونجاح مسرحياته على الخشبة .

من أجل هذا يلوح أنه كان يبغضه فناناً منشقاً أولا ، ويحسده منافساً كاسحاً ثانياً ، ومع ذلك فرضت شمائل شكسبير نفسها عليه وأجبرته على أن يحبه انساناً نبيلاً ثالثاً ـ بالرغم من ( عيوبه ) هذه .

ويظهر في ثناء جونسن نفسه عليه في بعض المواطن وهو الصريح الذي لا يهاب ولا يداجي ، ومن اعجاب ( هنرى جتل ) على أثر التعرف به ، ومن تسميته من قبل معاصريه : شكسبير ( الحلو ) و ( المهذب ) ، ومن حب زميليه اللذين تجشما مشقة جمع مسرحياته الست والثلاثين ونشرها بعد وفاته بسبع سنوات في مجموعة واحدة ـ أنه كان جذاب الشخصية آسرها .

هنا يأتي من جونسن دور ( موقف ) الحب والاعجاب ليزيد الأمر تعقيداً والمواقف اضطراباً وتضارباً وتداخلاً وتشابكاً :

« لقد أحببت الرجل . واني لأجل ذكراه ـ دونما تعبد ـ بقدر ما يجلها أي أحد . كان أميناً حقاً ، ذا طبع متفتح حر ، رائع الخيال ، جريء الآراء ، لطيف التعابير ، حين يتدفق بتلك السهولة التي كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف » ( ٥٠/٤ ) .

مديح حتى في معرض النقد .

ويأتي الاطراء الأكبر في قصيدة جونسن الرثائية التقريظية التي افتتح بها الناشران مجموعة المسرحيات :

« في ذكرى محبوبي المؤلف وليم شكسبير ، وما خلفه لنا » ( ٣٣٣/٢ ) .

ومما جاء في القصيدة :

« لك النصر يا بريطانيتي ، فإن لديك واحداً تقدمينه تدين له كل مسارح أوربا بالتبجيل ، إنه لم يكن لعصر ، بل لكل زمان » ( ٤٧/٤ ) .

ومنها :

« أيها التم (١٢) الحلو من نهر ( أفون ) ، أي منظر كانت رؤيتك وقد ظهرت ذات يوم في مياهنا ، وحلقت على ضفاف التيمس تلك التحليقات التي فتنت اليزا وجيمس » ( ٤٧/٤ ) .

وما كان جونسن ليقول هذا لولا تأكده ( علمياً ! ) من افتتان الملكة اليزابيث ومن بعدها الملك جيمس فعلاً بمسرحيات شكسبير .

ومن التسجيلات الباقية عن ذلك أن الملك جيمس بلغ من استحسانه لمسرحية ( تاجر البندقية ) التي شاهدها يوم ( أحد المرافع ) . . **أن طلب إعادتها يوم الثلاثاء التالي ( ٢٢٩/٥ ) . أي بفاصل يوم واحد .**

« يجب ألا أعزو الى الطبيعة كل شيء ، فان فنك ياشكسبير المهذب يجب أن يحظى بنصيبه ، فإن الشاعر الحق يصنع ، مثلما أنه يولد » ( ٣٣٤/٢ ) .

وهذا اعتراف بفن شكسبير الذى كان أنكره سابقاً .أي سعة اطلاعه ووفرة معارفه ، المكتسبة خارج مقاعد الدرس .. وكأنه تعديل للقالة الشائعة يومئذ ، من أنه موهوب وحسب ، من جهة ، وكأنه تراجع عن قوله إن « شكسبير يفتقر إلى الفن » قبل أربع سنوات ، من جهة أخرى .

ولم يستطع جونسن « إن يتمالك عن القول ان شكسبير كان يملك القليل من اللاتينية والأقل من الاغريقية ، لكنه استرسل يقول إن أعاظم الدراميين الاغريق وحدهم كان في استطاعتهم مباراته ، وأنه حلق فوق جميع معاصريه » ( ٣٣٣/٢ ) .

ومثلما يتكون اللون الأبيض من مزاج ألوان الطيف الشمسي المختلف بعضها عن بعض ـ تمخض مزيج مشاعر بن جونسن المتباين بعضها عن بعض ، عن هذا الحب الفياض والإعجاب الصادق ، والاعتراف له بالتفوق ، مع الاعتراف ضمنياً بخطئه هو في تخطئة شكسبير أو بضآلة شأن انتقاداته على الأقل بالقياس إلى روائع أعظم الرجلين .

حتى لو افترضنا أنه كان في قصيدته هذه عاطفياً إلى حد ما ، ومنساقاً مع العادة المألوفة من المغالاة بعض الشيء في التقريظ كما قد يرى بعضهم ، فان تعاظم إرتفاع قدر شكسبير منذ وفاته جيلاً بعد جيل ـ قد جعل إطراء جونسن متزناً ومعتدلا ، وربما قاصراً ، في معايير جيلنا .

ولا نعلم إلى أين سيصل في معايير أجيال قادمة .

على أن قصيدة جونسن هذه لم تنفع شكسبير في شيء لأنه غني عنها ، بقدر ما أفادت جونسن الذى صححت موقفه وخففت من نقمة الأجيال عليه .

ولو لم يكتبها لبقي مذموماً متهماً بالحسد والصغار لدى التاريخ « لا لعصر ، بل لكل زمان » .

أية كانت الحال فإن جونسن قد صفى حساباته بهذه القصيدة مع مناوئه ومنافسه وصديقه ، وحقق لنفسه المصالحة مع ضميره .

**عبد الحق فاضل**

هوامش :

١ ـ أثل اسمه بنجامين جونسن ثم اختزل .

٢ ـ قوله ( مراراً ) ينبئ أن له اعتراضات أخرى غير المدونات القليلة التى وصلتنا .

٣ ـ في مسرحية ( يوليوس قيصر ) .

٤ ـ الفوليو الأول هو الطبعة الأولى الكاملة من مجموعة مسرحيات شكسبير الست والثلاثين . صدر عام ١٦٢٣ بعد وفاة شكسبير بسبع سنين . وقد آثرنا استعمال كلمة ( الفوليو ) بصيغتها هذه الأعجمية لانها أصبحت أشبه باسم العلم .

٥ ـ أصل البيت :

أتيت بمنطق العرب الأصيل
وكان بقدر ما عانيت قبلي

٦ ـ **Heminges & Condell**

٧ ـ قتل بومبي في ٤٨ ق . م ، وقيصر في ٤٤ ق . م .

٨ ـ المنصوبة بالفصحى هي ما يسمى بالدارجة المصرية ( المقلب ) .

٩ ـ **Winter's Tale**

١٠ ـ هما دوروثي أوكبرن وكارلتن أوكبرن مؤلفا كتاب ( شيك ـ سبير ) « الرجل الذي وراء الاسم » (٦٧/٦) .

١١ ـ مسرحية ( سيدان من فيرونا ) ـ (١/١ : ٥٣ و ٥٤ ) .

ـ . **Every Man out of his Humour**

١٢ ـ التم بالفتح كالعم ، هو الأوز العراقي ، وهو أكبر من الوز حجماً وأطول عنقاً .

## الفنان التشكيلي القطري .. علي حسن





# الحرف العربي والصحوة الفنية الجديدة

بقلم: سلمان المالكي

يكاد الحرف العربي أن يصبح قاسماً مشتركاً لدى الفنانين التشكيليين العرب .. فهو صحوة جديدة، أو ربما ولع قديم يتجدد عبر أطر حديثه .. لكن يبقى أن لكل فنان رؤيته الخاصة وتفسيره الخاص أيضاً؛ وربما سيبقى الاهتمام بالحرف العربي قائماً مادامت الايحاءات اللامحدودة التي تميزه قائمة، ومادام بخطوطه اللامتناهية وامتداداته الرائعة يشكل مجالاً خصباً لفنانينا .. ولهذا كان هذا اللقاء مع أحد الفنانين الذين استلهموا من الحرف العربي رؤياهم الخاصة



تكوين

علي حسن واحد من الفنانين التشكيليين القطريين الذين استهواهم الخط العربي ، فاستغرقوا ليس في خطوطه وشكله المجرد فحسب ، لكن أيضاً — وهو الأهم — بتعبيراته ومعانيه العديدة ، انه دائم البحث عن الجديد في هذا الحرف ، لم يكتف بما قدمه بل مازال يسعى بدأب كبير لرسم لوحة حروفية متكاملة تتناسب وعظمة الكلمة ومقدرتها على الفعل .

## استخدام الخط العربي

قلت للفنان علي حسن :

• يميل عدد من الفنانين التشكيليين العرب الى استخدام الخط العربي ، حتى أن الأمر أصبح بمثابة ظاهرة تستحق الوقوف عندها طويلاً ، كيف تفسر ذلك من خلال تجربتك مع الخط العربي ؟ .

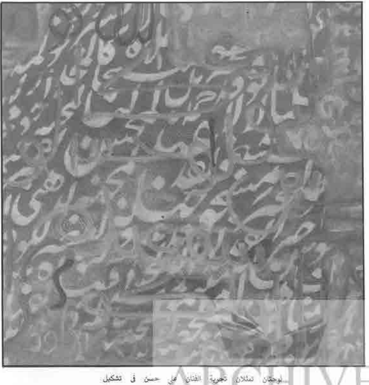
— ثمة ظاهرة لابد من الاشارة اليها وتتلخص في أن الفنان التشكيلي العربي ابتدأ من حيث انتهى نظيره في دول العالم وعلى الأخص في أوروبا ، بمعنى أن مدارس الفن التي عرفها الغرب لم يكن لها وجود في بلادنا فكان أن عشنا هذا الانقطاع بين ماض نفخر به لم نسجله وحاضر منقطع الجذور يبحث عن هوية ، وطبيعي والأمر هذا أن نعود الى التراث الغائب حتى الآن فكان أن حظي الخط العربي بكل هذا الاهتمام في محاولة لربط الجذور ووصل ما انقطع .

• وهل ينطبق هذا الأمر على الفن التشكيلي في الوطن العربي بشكل عام ؟

— بشكل عام ، نعم ، لكن هناك خصوصيات معينة تميز عدداً من المناطق العربية ، حيث موضوعات صيد اللؤلؤ على سبيل المثال تشكل سمة أساسية لدول الخليج ، البادية ، الصحراء ، حتى اللباس يختلف عما هو سائد في دول عربية أخرى ، لاشك اننا نشترك في نواح عديدة بل وكثيرة لكن تبقى هناك خصوصيات لكل دولة ، أو مجموعة دول كما هو الحال بالنسبة لدول الخليج العربية كما ذكرت .

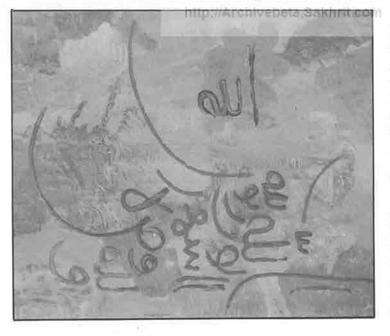
• ولكن الملاحظ أنك استخدمت الحرف في جميع لوحاتك ، كيف تلخص تجربتك والى أي مدى ساعدك في تحقيق طموحاتك الفنية ؟

— هناك سمتان أساسيتان تميزان الحرف العربي .. تعبيره عن معنى معين وطبيعة شكله الطيع الذى يساعدك على التعبير عما هو أكثر من المعنى المتجسد في الكلمة ، وطبيعي والحال هذا أن تستغرقك التجربة فهو يفتح أمامك مجالات غير محدودة للتعبير ، ودائما اشعر بأن هناك المزيد لأقدمه وطالما لازمني هذا الشعور فأنني بالضرورة



لوحتان تمثلان تجربة الفنان علي حسن في تشكيل الحرف العربي بصورة جذابة ومتناسقة





## الحرف العربي
### والصحوة الفنية الجديدة



كتابات : لوحة استخدم فيها الفنان اللون الأبيض والأسود

سأجرب مرة ومرات أخرى .

• هذا يعني أن لديك شيئاً تسعى لتحقيقه من خلال الحرف العربي ؟ .

ــ بالتأكيد لكن ليس من خلال الحرف العربي فقط بل من خلال اللوحة التشكيلية ككل فالحرف العربي فيها وسيلة للتعبير تماماً كما هو وسيلة لربط التراث الغائب ، لا أدعي بأنني أسعى لتحقيق المعجزات من خلاله ، لكنني بالتأكيد أسعى لأعمال متفردة مميزة .

### الأفكار ومشاكل التذوق

وهنا سألت الفنان علي حسن :

• ماذا تريد أن تطرح من خلال لوحاتك ، بمعنى ما هي الأفكار التي تريد ايصالها ؟

ــ من الصعب القول انني أريد طرح أفكار محددة من خلال لوحاتي ، ربما الأصح من ذلك انني أسعى للتعبير عن مواقف محددة ، هموم محددة وقضايا محددة . اللوحة البعيدة عن هموم المجتمع ليست لوحة ، واللوحة التي لا تصور موقفاً محدداً ليست هي الأخرى لوحة ، لا يمكن أن ترسم لمجرد الرسم أو لمجرد طرح فكرة محددة ، هناك قضايا عديدة لابد من نقلها عبر اللوحة ولئن بدا اهتمامي بالحرف العربي كبيراً فلأنني أحس بأن للكلمة دوراً هاماً في حياتنا ، منذ أن وجدت هذه الكلمة ونحن مولعون بها وبالتأكيد فأنها قادرة على التعبير عن الكثير من همومنا ومواقفنا .

• ولكن هناك مشكلة تتعلق في مدى تذوق الجمهور للحركة الفنية التشكيلية أو لمدى تذوق الجمهور للغموض الذي يميز بعضاً منها ، كيف تفسر هذه القضية ؟

ــ لاشك ان الكثير من الفنانين يلجأون الى الغموض أحياناً في لوحاتهم ، لكن الا ترى معي أن الغموض بات يميز جزءاً كبيراً من حياتنا ؟ طبيعي أمام هذا الواقع ان تأتي اللوحة لتعبر عنه ، إنها صدى لما نعيشه وانعكاس حقيقي لما نحياه ، والحقيقة ان غموض اللوحة ليس أكثر من غموضنا نحن واضطرابها ليس أكثر من اضطرابنا ، انها التعبير الأكثر دقة عن حياتنا وربما الأكثر أهمية .

• ولكنك شاركت ، في معارض عديدة وجربت أساليب عديدة أيضاً ، هل هناك مشروع محدد لاقامة معرض خاص بلوحاتك ؟

ــ أفكر جدياً في إقامة معرض خاص لكنني مازلت متريثاً في هذا الخصوص ، ليس لدي أسباب محددة لهذا التريث فهذه الخطوة أعتبرها أهم منعطف يمكن أن أصادفه في حياتي الفنية ولابد من اتخاذ كافة الاستعدادات التي تتناسب ومثل هذا الحدث الذي يشكل أهم طموحات كل فنان ، لكنني لا أعتقد أن الوقت سيطول كثيراً .

### الفنانون القطريون

• ما رأيك بالحركة التشكيلية في قطر ، والى أي مدى استطاعت أن تحقق لنفسها ملامح تميزها عن باقي الأقطار العربية ؟ .

ــ لاشك أن هناك تفاعلا بين التشكيليين العرب من خلال القضايا الواحدة التي تواجههم ، لكن تبقى هناك خصوصية محددة تفرضها البيئة التي ينتمي إليها الفنان ، وهي خصوصية تتعلق ربما بالمفردات وليس بالمدلول العام ، اننا نواجه هموماً واحدة على امتداد الوطن العربي ، ومن الطبيعي أن تكون موضوعاتنا واحدة لكن يبقى الخلاف في المفردات الصغيرة ، أو في وسيلة وطريقة التعبير عن تلك الهموم .

وإلى هنا ينتهي لقائي بالفنان التشكيلي القطري علي حسن .. الذي استلهم الحرف العربي في لوحاته برؤية خاصة وتفسير متميز .

سلمان المالكي

### الفنان في سطور

- مواليد ١٩٥٧
- سكرتير الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .
- بكالوريوس آداب قسم تاريخ جامعة قطر .
- المعارض الجماعية التي شارك بها :
- جميع المعارض المحلية ٨٣ ــ ١٩٨٥ .
- النمسا ــ اليابان ــ كوريا ــ الهند ــ باكستان ــ تركيا ــ المعرض العربي بمدريد
- العيد الوطني لدولة الكويت ١٩٨٤ .
- بينالي القاهرة ١٩٨٤ .
- معرض المؤتمر الرابع لدول مجلس التعاون الخليجي ــ الدوحة .
- معرض المؤتمر الخامس لدول مجلس التعاون الخليجي ــ الكويت .
- المعرض التاسع للفنانين التشكيليين العرب ( الكويت ) .

# وسرب الفراشات يسأل عنك

إلى الشاعر الراحل
صلاح عبد الصبور

شعر: عزت الطيري

(١)

لماذا نعيدُ التحدثَ عنك
ويرشق صمتَ السويعاتِ سهمُ السؤالِ
فنسأل عنك الليالي
ونسأل عنكَ المطاراتِ،
نسأل عنكَ الفناراتِ،
نسأل ورد الجبالِ
لأنك حين ارتحلتَ، ارتحلنا
الى غابة الجدب والأمسيات الخوالي
لأنك حين ارتحلتَ، انتهينا
وضاع الحُداء.. وضاعت خيول الخيالِ
وغادَرَنا الصحوُ،
هاجَمَنا القيظُ.
سامَرَنا الغيظُ،
ماتت مع الفجرِ أغنيةُ البرتقالِ
لأنكَ تعشق إنقاذ لون الفراشاتِ،
تقصير بُعدِ المسافاتِ،
تطويل هامات نخل الأماني
فيصطك بالغيمِ، تمطر،
يضحك سهل الشمالِ
فيطلع في الصخر عشب الصفاء
وينبت في الليل بدر الأغاني
فكيف تظن بأنا
نخليك ترحل عنّا
فيقتلنا:
نحيبُ النوارس حين تجفُّ
بحار الحياةِ وتهوى المرافئْ
بكاء القواقع والصَدفاتِ
اذا ما تسممَ رمل الشواطئْ
عذاب العصافير عند المساء
اذا ما أطل الخريف المفاجئْ
فكيف نخليكَ ترحل عنّا
وكيف نخليك تهرب منّا
لأنَّ
لأنَّ
لأنَّ...

(٢)

وسرب الفراشات يسألُ عنكَ،
وسرب العصافير، رجع الغناء البعيد،
المواويلُ، دمع المجاديف حين يعاندها الموجُ،
صوت الدفوفِ، الدراويش حين يغنون للوصلِ والهجرِ،
همس المآذن في الفجرِ، لون الصباح، الورود، البنات،
العبير، القصائد، والعاشقون الذين يحبون في الحُبِّ،
والثائرون الذين يموتونَ في الجُبِ، هل ترجع الآن
سيفاً تجرده للزمان الخئون؟
وهل ترجع الآنَ أغنيةً وبيارقْ
وقوس قُزَحْ؟!!




## "الدوحة" في مهرجان "كان" السينمائي

## القصة الكاملة للفيلم الفائز بالجائزة الكبرى للجنة التحكيم

بقلم:
رءوف توفيق

# الطائر المهزوم

«بيردى» مع العصافير فى محاولة لابتكار نوع من التفاهم معها




فى بداية الفيلم يجلس ومعه قفص الحمام قبل التعرف على صديقه

فى اليوم الأخير لمهرجان « كان » السينمائى .. تبدو المدينة وكأنها فى حالة « عزال » .. ناس تجرى هنا وهناك .. حقائب وصناديق تتكدس داخل السيارات وشاحنات النقل .. مئات العمال ينتشرون فى ايقاع سريع ، يفكون الديكورات ويزيلون الملصقات واعلانات الأفلام ، ويخلعون الأضواء ..

وفى مساء ذلك اليوم ــ وبعد الاحتفال الصاخب باعلان النتائج وتوزيع الجوائز ــ تسترخى المدينة بعد طول ارهاق وازدحام ..

ولكن الحال يختلف .. بالنسبة لرجال صناعة السينما الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم يعرضون « بضاعتهم » من الأفلام ..

انهم ــ فى ذلك اليوم الختامى ــ يحسبون نتيجة صفقاتهم : الأرباح والخسائر .. الفرح وخيبة الأمل .. الانتصار والفشل .. والاستمرار أو التوقف !

والحسابات تختلف عند النقاد والعشاق الحقيقيين للسينما .. إنهم يحسبون حصيلتهم من الفن .. ويعطون أصواتهم بما كسبه الفن من اضافات جديدة .. أو اكتشافات متميزة فى الخلق والابداع السينمائى ..

وقد كان الفيلم الأمريكى « بيردى » أحد أهم الاكتشافات السينمائية المثيرة هذا العام .. والذى فاز بالجائزة الكبرى الخاصة بلجنة تحكيم المهرجان .

## ميلاد الصداقة

وكلمة « بيردى » تحمل معنى الاسم والصفة .. فبطل هذا الفيلم اسمه « بيردى » وهو أيضاً



الصديقان بعد رحلة صيد الحمام ليلا يعودان بالأقفاص فى سعادة

# الطائر المهزوم

عاشق الطيور .. الذى يحلم دائماً بأن يحلق مثلها فى الفضاء..

وقصة الفيلم عن الصداقة بين شابين .. جمعتهما مشادة حامية .. تبادلا الضرب واللكم والمطاردة .. ثم انتهت المشادة بالتقاط الأنفاس .. والضحك .. والمصافحة ..

إنهما فى نفس السن تقريباً .. ومن نفس الطبقة المتوسطة التى تعيش فى « فلادلفيا » .. أحدهما نموذج لغالبية الشباب الأمريكى الذى يهوى رياضة « البيسبول » والمطاردات والعنف .. والثانى « بيردى » المغرم بالطيور ، والذى تنحصر أمنيته فى أن يصنع جناحين لنفسه ويطير..

غرفته مليئة بصور الطيور .. والكتب التى تحكى عن أنواعها وخصائص كل منها .. والتشريح الدقيق لجناح الطائر ، وحركته أثناء الطيران ..

يقول لصديقه : « هل تحب الحمام » ؟

يرد عليه : « ماذا أحب فيه » ؟

ــ إنه يطير ..

ــ ثم ماذا .. ؟

ــ هذا يكفى جداً ! .

ولكن الصديق تبدو عليه الدهشة والفضول .. ويستغل « بيردى » حب المغامرة فى صديقه ، ويدعوه لمشاركته فى اصطياد الحمام ليلا ، حيث يأوى بين أعمدة الكبارى الحديدية ..

والمغامرة لذيذة ، فتسلق الأعمدة .. والامساك بالحمام بتلك السهولة .. ووضعه فى الأقفاص .. مسألة مثيرة ربطت الصديق بهذه الهواية ..

ولكن « بيردى » لايصطاد الحمام لكى يعذبه بالحبس داخل الأقفاص .. وانما لكى يراقبه وهو يحرك جناحيه للطيران .. وفى سبيل ذلك فهو يبنى برجاً من بقايا الأخشاب المستخدمة .. ويشاركه صديقه فى بناء أعشاش الحمام وتقديم الحبوب والماء والرعاية لها .

ويمتلىء البرج بالحمام .. الذى يطير فى أسراب ثم يعود فى تشكيل رائع .. وكل حمامة تعرف عشها ، تأوى إليه فى طمأنينة واستقرار..

وتشتد السعادة بالصديقين .. ليصبح برج الحمام هو مكان لقائهما وهوايتهما معاً .. يواصل « بيردى » تأملاته فى الطيور .. أما صديقه فتستهويه مغامرة الامساك بالحمام واحضاره الى هذا البرج .. وفى إحدى محاولاته يتسلق سقف أحد المصانع ليلتقط الحمام النائم فى الظلام بين ثنايا السقف .. العدد وفير .. والحمام مستكين تماماً .. وتنطلق ضحكته بفرح .. ولكن فى لحظة يفقد توازنه ويسقط من هذا الارتفاع الشاهق .. ومن خلفه صوت « بيردى » يناديه بلوعة وحزن .. وهو يلهث للهبوط من على سقف المصنع .. ويكاد لا يعرف من شدة الاضطراب أين يضع قدميه !

فى المشهد التالى .. نرى عربة اسعاف .. ولا نتبين ما حدث .

## حرب فيتنام .. وما بعدها

ينتقل الفيلم بعد ذلك مباشرة الى داخل أحد المستشفيات العسكرية للأمراض العقلية والعصبية .. لنرى « بيردى » حليق الرأس .. يجلس منزوياً مكوماً على نفسه فى أحد أركان حجرة عارية تماماً الا من سرير حديدى .

انها ليست حجرة .. بل « زنزانة » سقفها عال .. حوائطها سميكة .. وليست هناك سوى نافذة صغيرة ، مغروزة بقضبان الحديد .. وباب الغرفة من الحديد الأسود ، يفتح ويغلق من خلال الحراس المسلحين .

ويأتى صديقه لزيارته مرتديا زيه العسكرى .. مصاباً فى ذراعه ورأسه ، مربوطاً بالشاش .. وفى مشيته بعض العرج .. وقد اختفت من وجهه كل ملامح الحيوية والمرح .

ونفهم من حديثه مع مدير المستشفى العسكرى .. أنه كان مع « بيردى » .. فى كتيبة واحدة بحرب فيتنام .

لقد استدعيا للانضمام الى الجيش الأمريكى .. والترحيل الى فيتنام .. فى حرب لا يعرفان لها أى مبرر .. وبلا أى قدرة على الرفض !

وها هى النتيجة .. إنه مصاب فى أكثر من مكان بجسده .

أما « بيردى » فقد أصابه اختلال عقلى .. يرفض الكلام تماماً .. يبدو مذعوراً دائماً .. يجلس على الأرض مثبتاً عينيه على النافذة الضيقة ..

وقد اعتبرته إدارة المستشفى ، حالة خطيرة .. فوضعته فى غرفة منفردة وتحت حراسة مشددة ..

ويظن الصديق الذى جاء لزيارته .. أنه سينجح فى دعوته للنطق والكلام .. ولكن « بيردى » ينزوى مذعوراً .. ينظر إلى صديقه وكأنه لا يعرفه ..

يهرب منه خائفاً .. يتكور على نفسه فى ركن الحجرة .. ولا ينطق بكلمة .

وتنتهى الزيارة .. ويخرج الصديق تعيساً .. تعصره المرارة والألم ..

## الذكريات الجميلة.. ومحـــاولات القهر

ويتنقل الفيلم بين ذكريات الماضى .. وأهوال الحرب .. وتعاسة الحاضر .

إنها الذكريات كما تتراءى « لبيردى » .. أحداث متقطعة تفجرها زيارات صديقه ومحاولاته لدفعه للكلام ..

إنه يتذكر برج الحمام .. وكيف ثارت والدته عليه وصرخت غاضبة لأنه أفسد جزءاً من حديقة المنزل .. وأسرعت تحطم برج الحمام ، يشاركها والده ، بكل الانفعال والثورة .. حتى هشما البرج تماماً .. وطار الحمام مذعوراً فى الفضاء .. وكأنه يبحث عن مكان آمن يحط عليه .

إنه يتذكر .. كيف فكر مع صديقه فى شراء سيارة قديمة للانطلاق بها واسترداد حريتهما المكبلة بهذا المكان الضيق المزدحم المليء بالنفايات ..

وكيف ذهب الى مقبرة السيارات المستهلكة .. وتقاسما شراء سيارة صدئة .. وعملا معاً ـ بكل الصبر واللهفة ـ لاصلاحها واعادة طلائها ـ حتى أصبح للسيارة شكل ولون .. واستجابت لهما .. ودار محركهـا .. وانطلقا يصرخان من الفرح والسعادة .. لا يصدقان ما حدث .. وقررا الاحتفال بهذا الانتصار .. فاستقلا السيارة كأنهما يغسلان كل هموم الأيام الطويلة والانتظار والقلق .. ثم انطلقا بعد ذلك الى الملاهى وقد عادا طفلين يمرحان بلا هموم أو خوف .. ولكن والده لا يعجبه هذا الحال .. فيضرب صديقه .. ويبيع السيارة !!

## الطائر المكسور الجناح

لقد برع المخرج « آلان باركر » فى نسج هذه المشاهد التى تعبر عن الصداقة الجميلة .. والرغبة فى التحرر والانطلاق .. ثم تلك الاحباطات القاسية والمتلاحقة .. سواء من عائلته وحواجز سوء الفهم واستخدام البطش والعنف فى تحديد اقامته ، وتحديد أفكاره وطموحه وأحلامه ..

واحباطات المجتمع ككل .. والزج بهما فى حرب قذرة تستخدم فيها أبشع أسلحة الدمار والموت .. لتحصد الأرواح وتحرق المزروعات .. وتمزق أجساد الأطفال والنساء فى فيتنام .. وأيضاً تمزقهم هم ـ شباب الجيش الأمريكى ـ الذين يجدون أنفسهم يواجهون نيران جهنم ومقاومة عنيفة .. ولا يساندهم ايمان أو هدف !

تمتزج مشاهد الذكريات .. مع مشاهد مستشفى الأمراض العقلية .. وكأنما المخرج يؤكد تلك الحقيقة البديهية التى يتناساها الكثيرون .. وانه



هل كان « بيردى » يتصور بعد الحلم بالطيران أن يدخل مستشفى الأمراض العقلية ؟

لا شيء يأتي من فراغ .. وان كل فعل له رد فعل ..

و « بيردى » نموذج واضح « للشخصية المحطمة » .. التى اغتالوا شبابها .. وامتصوا فى داخلها كل رغبة فى الحياة .. حتى مجرد التعبير عن النفس ، والكلام .. أصبح لا معنى له .. فآثر الصمت والانزواء كحمامة مكسورة الجناح غير قادرة على الانطلاق .. وغير قادرة على الصراخ بالألم !

وقد اختار المخرج « آلان باركر » أن يجسد هذا المعنى بالضبط .. من خلال تشكيل جسد الممثل الذى يؤدى دور « بيردى » .. فجعله يجلس القرفصاء .. محنى الظهر .. مكتوف اليدين .. لا يقف .. ولا يسير .. وانما يتقافز مضموم الساقين والقدمين .. وكأنه طائر جريح ..

وعيناه دائماً على النافذة المعلقة فى آخر الحائط العملاق .. حيث لا يرى الا السماء من خلف القضبان الحديدية .. وحيث يتلقى وجهه كتلة الضوء الطبيعى وكأنه يتنفس ويحيا من خلالها .

## الحلم المستحيل .. بالطيران !

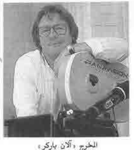
ويتوالى شريط الذكريات مع زيارات صديقه الذى يحاول جاهداً أن يدفعه للكلام والمشاركة فى الحوار معه .

« بيردى » يتذكر علاقته مع عصفور صغير أصفر اللون .. وكيف كان يجلس بالساعات يلاعبه ويحاول أن يكتشف لغة أو صوتاً ليتفاهم معه .. حتى فوجىء ذات لحظة غادرة .. بقط متوحش يهجم على العصفور محاولا التهامه .. ويقترب « بيردى » بتحفز وحذر شديد .. لينقض على القط







المخرج «آلان باركر»

بيردى يحاول الطيران بالجناحين اللذين صنعهما بنفسه !

.. ويستخلص العصفور من بين أسنانه ( فى مشهد سينمائى بارع ) .. ثم يمسك العصفور بين أصابعه يربت عليه .. وينفخ الهواء فى رأسه .. وكأنما يدفع الحياة لكى تدب مرة أخرى فى هذا الجسد الصغير المذعور ..

ويبدأ العصفور فى التحرك .. والانطلاق .. ويسترد هو أنفاسه .. ويمتلىء وجهه بالسعادة والفرح ويستلقى على أرض حجرته منتشياً .. والعصفور فوق صدره .. ويحلم بأنه يطير مخترقاً هذه المساكن المزدحمة .. والدروب الضيقة .. ويرتفع فى الهواء .. بعيداً عن كل التلوث والشرور .

وتتحرك الكاميرا معه فى مشهد بارع التنفيذ .. وكأننا نعلو معه فى الفضاء تدريجياً .. وتتصاعد الموسيقى فى ايقاع يوحى بالانتصار والتدفق ..

وتتردد كلمات « بيردى » فى مونولوج داخلى شديد العذوبة .. يقول فيه .. « فى أحلامى دائماً .. أن تكون لى أجنحة وأطير .. الطيران هو الصعود .. وكأنما هناك من يسحبك الى أعلى خلال السحب البيضاء .. لتسبح فى هواء نقى .. وتظل تصعد فى طبقات الجو .. حيث لا شيء تلمسه .. ولا مكاناً محدداً تريد الوصول إليه » .

وفى واحد من أجمل مشاهد الفيلم .. يحاول « بيردى » مع صديقه .. تجربة التحليق مثل الطيور .. فيرتديان رداءً من ريش الطيور .. ويصنع «بيردى » لنفسه جناحين لهما مفصلات استوحاها من دراسته لتشريح أجنحة الطيور .. ويضع فى قدميه تلك الزحافات التى تستخدم فى التزحلق على الجليد .. ويدعو صديقه لدفعه من الخلف بسرعة ..

وبالفعل يدفعه صديقه .. فينطلق «بيردى » بالزحافات .. حتى يصل الى منحدر جبل .. ويحرك جناحيه .. ولكنه لا يطير .. بل يسقط فى مستنقع مياه .. وتتحطم الأجنحة

انه الحلم المستحيل !

## • الفساد لدرجة التعفن !

وتتكرر زيارات صديقه له فى محاولة لا تعرف اليأس لاخراجه من حالة الصمت والشرود .. وفى كل مرة يفتح الصديق صندوق الذكريات لينعش ذاكرة « بيردى » ويدفعه للكلام .. ولكن بلا فائدة ..

ويفقد الصديق أعصابه ذات مرة .. ويهز « بيردى » بعنف ... يؤنبه على هذا الصمت .. ويستفزه أن ينجو بنفسه من هذا السجن الكئيب .. ولكن بلا فائدة .. ويخرج الصديق من « الزنزانة » هائجاً فى غضب وانفعال .. ليواجه بمدير المستشفى العسكرى وهو يطلب التحقيق معه .. والتفتيش فى تاريخه وحالته الاجتماعية والنفسية ..

ويندهش الصديق من هذه الأسئلة المتلاحقة .. ويدرك أنهم يحققون معه بالفعل ، فهناك من يسجل كلماته فى محضر الاستجواب .. وكأنما أراد أن يتأكد مما يحدث حوله .. يسأل مدير المستشفى .

ــ هل تحققون معى أنا .. ؟

ويرد مدير المستشفى بصرامة : كان لابد أن نفعل هذا .. لنتأكد من صلاحيتك للتحدث مع بيردى !

ويترك الصديق غرفة مدير المستشفى .. وهو ينظر حوله وكأنه لا يصدق .. هل هذا هو الثمن الذى يستحقه كل من اشترك فى هذه الحرب ؟

إنه يرى حوله .. مرضى .. ومشوهين .. ومعوقين ..

تقول الممرضة التى تنحصر مهمتها اليومية فى تقديم صحن الطعام لبيردى فى زنزانته ..

« كل الحروب تنتج عنها حوادث عرضية .. وربما لم تلاحظ ما حدث لأفراد مثل صديقك لأنهم لا يهمونك فى شيء .. لقد فسد بعضهم لدرجة التعفن .. والبعض مات ببساطة وصمت » .

وفى مشهد آخر يبرر مدير المستشفى العسكرى موافقته بالسماح له بزيارة « بيردى » فيقول له :

ــ عندما علمنا بحالتك .. ظننا أنك من الممكن أن تساعدنا فى العلاج

فيرد الصديق بلهجة جادة وساخرة :

ــ علاج من ؟ أنا أم بيردى ..؟!

فالكل ضحايا .. ولا أحد يهتم !!

## • الهروب

ورغم عدم الاستجابة من « بيردى » للمحاولات التى يبذلها معه صديقه .. الا أنه فى



فى هذه اللقطة يبدو البطل مع عصفوره الأصفر بعد انقاذه من فم القط المفترس !

إحدى الزيارات الأخيرة .. ظهرت على ملامح « بيردى » شبح ابتسامة ..

إنه لأول مرة ينتبه .. ولأول مرة تتغير ملامحه المذعورة ويبتسم ..

ويقفز الصديق من الفرح .. إنها بادرة طيبة .. لقد أوشكت محاولاته على النجاح .. ويهرع الصديق الى مدير المستشفى يبلغه بما حدث .. « لقد ابتسم » !

وببرود شديد يتلقى الطبيب هذا الخبر .. ويعلق « إن هذا لا يعنى شيئاً » !

ويشعر الصديق بإحباط شديد .. ويثور فى انفعال .. ثم يدرك للحظة أن حالة « بيردى » تهمه هو شخصياً .. وقد لا تعنى لادارة المستشفى سوى مجرد « حالة » ..

وبهذا الادراك .. يسحب ثورته .. ويعتذر للطبيب ويخرج .

ويواصل محاولاته مع « بيردى » ويقول له فى توسل وهو يكاد يبكى .. إننى فى كل مرة أحضر الى هنا على أمل أن تكلمنى .. ولكني أظل أتكلم أنا .. ولا ترد على .. هل أنا مجنون لأتحدث مع نفسى طوال الوقت .. لماذا لا تكلمني .. لقد تعبت .. تعبت .. واذا كنت لا تريدنى أن أحضر لزيارتك .. فأنا لن أحضر .. وستكون هذه هى زيارتى الأخيرة لك » ..

ولأول مرة يخرج صوت « بيردى » فى لهفة .. « لا .. لاتتركنى » ..

ويفاجأ الصديق بأن « بيردى » تكلم .. ويصرخ من السعادة والفرح .. وهو يطلب منه أن يتكلم أكثر .. ويهزه بعنف وقوة .. كأنما يريد ألا يضيع الخيط من بين يديه .. وفى نفس الوقت يهتف منادياً الطبيب أن « بيردى » تكلم ..

وتنفتح أبواب الزنزانة لتهجم على الصديق .. فرقة من رجال الحراسة التى تقف فى ممرات المستشفى وتحاول اخراجه .. ولكنه يتشبث بمكانه .. ويمسك بذراع « بيردى » ويدفعه للهرب من هذا المكان .. وتدور معركة مع فرقة الحراسة .. وينجح الصديق فى التخلص منهم .. وينطلق مع « بيردى » بأقصى سرعتهما للهرب .

وينتهى الفيلم بخروجهما مرة أخرى الى العالم .. فى مشهد غاية فى الذكاء والاثارة .. والجمال .

ولكن هل يعني خروجها مرة أخرى الى العالم .. نهاية لمشاكلهما ؟

بالقطع لا .. ولكنهما حتما سيكونان أكثر فهماً لما يحدث حولهما .. وأكثر صلابة وقوة !

## • المخرج .. والمؤلف .. والممثلون

وقد استحق هذا الفيلم أن يفوز بالجائزة الكبرى الخاصة من لجنة تحكيم مهرجان « كان » ..

والفيلم مأخوذ عن رواية صدرت عام ١٩٧٩ للكاتب الأمريكى « ويليام وارتون » الذى استقر فى باريس منذ أكثر من ربع قرن .. وقد رشحت هذه الرواية لجائزة البوليتزار .. وفازت بجائزة الكتاب الأمريكى .

والرواية تدور أحداثها أثناء الحرب العالمية الثانية .. ولكن المخرج « آلان باركر » اختار أن يجعل الأحداث متعلقة . بحرب فيتنام .. وكتب السيناريو « ساندى كروبف وجاك بهر » .

والمخرج « آلان بكر » من أصل انجليزى .. لمع اسمه مع فيلم « اكسبريس منتصف الليل » .. ثم « اطلق النار على القمر » .. ثم « شهرة » .

ولكن هذا الفيلم يعتبر من أنضج أعماله .. وقد تعمد أن يختار اثنين من الممثلين الشبان غير المعروفين للقيام ببطولة الفيلم .. وأجرى عدة اختبارات على ألفي شخص ــ بمعدل ٣٥ شخصاً يومياً ــ حتى استقر الرأى أخيرا على « مثاو مودين » للقيام بدور « بيردى » .. ونيكولاس كاج » للقيام بدور الصديق ..

ومن الواضح تماماً الجهد الذى بذله المخرج فى ادارة الممثلين واستخراج الانفعالات الدقيقة دون افتعال أو هبوط .

ولكن المخرج يقول إن أصعب ما واجهه فى اخراج الفيلم هو التحكم فى الطيور .. والقطط والكلاب التى ظهرت بمشاهد الفيلم والتى أكدت مهارة المصور « ميشيل سرسين » .

تكلف الفيلم ١٢ مليون دولار ..

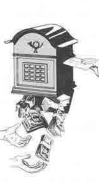
* * *

إنه فيلم عن الشباب الأمريكى .. والحروب الأمريكية .. سواء أكانت فى فيتنام .. أو فى أى مكان آخر ..

فالنتيجة واحدة .

رءوف توفيق

# استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رووف

## أصل وصورة







بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان العربى دريد لحام الذى أمتعنا بفيلمه « الحدود » اختلافات طفيفة .. حاول أن تتعرف عليها لتحصل على جائزة .

## المثل يقول



مازالت أمثالنا الشعبية تعبر فى كل زمان ومكان عن أخلاقيات وسلوكيات يجب أن نتبعها .. ولهذا فإذا تعرفت على المثل الشعبى لهذا الرسم الكاريكاتيرى فى انتظارك جائزة .

## لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر عربى راحل اشتهر بقصائده الوجدانية التى غناها كبار المطربين مثل عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ونجاة .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية الشاعر لتفوز بجائزة ؟

## هات أجمل تعليق :





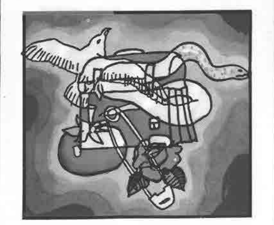

هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .حاول وأرسله الينا لتحصل على جائزة .

## لعبة الظلال



حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، فقد تحصل على جائزة .

## لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

## يخلق من الشبه أربعين









اللوحات الست المنشورة للفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت ( ١٥٩٦ ــ ١٦٥٠ ) الذى اشتهر بقواعده فى البحث عن الحقيقة كأساس للتربية الحديثة التى تدرب العقل على التفكير المنظم الحر .. وفى هذه اللوحات واحدة تشبهه تمام الشبه ، وفى البقية اختلافات بسيطة .. حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة .




بقلم
عبد الله الجفري



# من الذي ضاع ؟!

ــ يا من رأى منكم امرأة ضائعة ! !

كان هذا النداء يتردد باللغة الانكليزية من ميكروفونات البوليس وهم يتلقون الأخبار باللاسلكي !

أما المرأة التي ضاعت ، فهي ليست قصة.. وأيضاً لم تعد تصلح أن تكون « أنثى » ومطابقة لقصيدة شعر ، ولم يعد في وقتها ما يسمح لها بسماع الموسيقى ، أو بأن تبدو هي « كنغم » زئبقي متماوج !

أبداً ... هي سيدة تسكن في حارة من حارات أوروبا ذات السوق المتحدة ، ولم تكن ترتاد الشوارع الكبيرة الواسعة في مدينتها كثيراً إلا عند الحاجة القصوى !

ولكن هذه السيدة ضاعت فجأة ! !

تركت بيتها صباحاً ولم تعد ، وخرج زوجها وأولادها يبحثون عنها ولم يعثروا عليها أبداً ..

وفي أوروبا .. من المستحيل أن تضيع المرأة بالذات عن عنوان بيتها ما دام انها نجحت في اقامة بيت ، ولكنها من الممكن أن تضيع عن عناوين كثيرة في نفسها من الداخل !

واتصل زوجها بالبوليس عله يعثر عليها ..

والبوليس يسأل زوجها : هل تشاجرتما في الصباح ، هل تحبها . هل لكما اصدقاء وأعداء . هل هي جميلة ، نحيفة ، رفيعة ، تشرب أم انها عطشى ! متزنة ، عاقلة ، أم « خلبوصة » على حل شعرها ؟!

ولا يطيق الزوج هذه الأسئلة ، ويصرخ : أولاً أعيدوها .. أوجدوها وسأجيب على جميع أسئلتكم ، ومستعد أن أضيف اليها أسئلة وأجوبة من عندي !

وطيلة ست وثلاثين ساعة كان البحث يجري على قدم وساق ، وسيارة وطائرة هليكوبتر .. حتى كاد اليأس أن يصيبهم .

وأخيراً وجدوها ، كانت سيدة عاقلة ، متزوجة ، ولوداً ! !

كانت سيدة تحسن القراءة والكتابة ، ولكنها ترفض الكثير مما تقرأه في الصحف ، وتحب أن تقرأ الكتب بطريقة خاصة !

كانت سيدة تحب زوجها بهدوء شديد .. تحبه فقط كلما خرج من البيت أو خرجت هي ، لأنها تقيس ميزان أشواقها له طالما هو بعيد عن وجهها !

كانت سيدة يحكمها المزاج ــ في بعض الوقت فقط ــ ولكنها تعتقد أن المزاج يحكم العالم كل الوقت !

• • •

وهكذا عثروا على تلك المرأة ــ وهي ذات وجه جميل ومريح ــ وكانت تجلس في إحدى الحدائق ، وبجانبها كتاب تقرأ منه ، وهي مستغرقة تماماً .. مبتعدة عن كل ما حولها .. حتى أنها نسيت الوقت ، ولم تهتم بذهاب النهار ، ووضعت الكتاب بجانبها لأن الليل قد ساد ، ولم تفكر أن تعود الى البيت في هذا الوقت .. فما دام اننا نشعر باحساس معين فالوقت هو ملك الأحساس ، والوقت يبقى متوقفاً بأمر الاحساس !

كانت سيدة في منتصف الثلاثين .. رشيقة ، مبتسمة ، وعندما لقيها رجال البوليس لم يسألوها : أين أنت .. ما الذي تفعلين ؟ .. بل قالوا لها عبارة واحدة فقط هي : لقد تأخرت على زوجك ويريد أن ينام دون أن يترك باب البيت مفتوحاً ! !

وعندما دخلت بيتها .. كان زوجها قد هدأ بعد أن أخبروه بالعثور عليها تليفونياً ، واستقبلها مبتسماً وهو يتفرج على التلفاز ، ودخلت إلى المطبخ وأعدت العشاء وقالت لزوجها بهدوء : أريدك أن تقرأ هذه الرواية التي شغلتني اليوم عنكم .. اسمها ( حيثما اتفق ) وكاتبها هو : جيمس هيلتون ، وتحكي قصة عضو في مجلس العموم البريطاني تورط في عدة مشكلات بسبب فقدان الذاكرة ، ومن هذه المشكلات التي تورط فيها ....

ــ وقاطعها زوجها قائلاً : لا أرغب أن تقصي أحداث الرواية .. فأنا أعرف أنك خيالية أحياناً ، وأنك عاطفية جداً ، ولكني اكتشفت اليوم صفة جديدة فيك وهي أنك فقدت ذاكرتك !

ــ وابتسمت الزوجة وقالت : ألسنا نحيا عصراً بهذه الصفة ؟ .. انه العصر الذي فقد ذاكرته ، فلا تتوتر ، وإنما عالج ذلك بقراءة القصص القديمة يا عزيزي . والمهم أنني وأنت نحب بعضنا للأبد ! !

فمن الذي ضاع في هذه الحكاية .. الزوجة ، أم الزوج ؟!

جدة